

أطلس الشيعة

التمكين الشيعي

استراتيجيات تمكين الشيعة وتعزيز أوضاعهم في العالم



صادق جعفر



إكتشف أفضل الاستراتيجيات لتمكين الشيعة في العالم

في العقد الأخير حدثت تحولات جيوسياسية عميقة في المنطقة وفي العالم. هذه التحولات وآثارها لا زالت في بداياتها، وهي مقدمة لرسم عالم جديد في السياسة والفكر والاجتماع والجغرافيا. في وسط هذه التغيرات يتموضع الشيعة الإثنا عشرية بل هم جزء أساسي في صناعة هذه التحولات إن لم يكونوا قطب الرحى فيها.

وما جرى ويجري يستلزم منا نحن الشيعة أن نعيد النظر إلى ما حولنا من فرص وأزمات، ونعيد تقييم ما لدينا من نقاط قوة وما فينا من نقاط ضعف، وأن نرسم استراتيجيات جديدة للتعايش والتفاعل والتواصل مع العوالم السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية من حولنا.

هذا الكتاب ليس بصاحب دعوة مذهبية أو طائفية أو عصبية على الإطلاق، وليس موجهاً ضد طوائف أو ملل أو نحل أخرى، فالمؤلف يؤمن بأن المسلمين بجميع طوائفهم ومذاهبهم ومدارسهم الفقهية هم أمة واحدة هي أمة لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، كما أنه ليس بكتاب دعوة إلى التشيع أو إلى التحول الديني أو العقائدي.

من خلال هذا الكتاب يمكن للقارئ أن يتعرف على:

- الوجود الشيعي والتضاريس السكانية للشيعة حول العالم.
- مسارات الإحياء الشيعي خلال العقود الأربعة الأخيرة.
- أهم التحديات التي يعايشها الشيعة وكيفية التعامل معها.
- نموذج عمل سياسي واستراتيجي لتمكين الشيعة في مختلف بقاع الأرض.
- الفرص والمسارات العالمية التي يمكن أن يتقدم فيها الشيعة.
- استراتيجيات تمكينية لمستقبل شيعي أفضل.



صادق جعفر

ماجستير إدارة أعمال - جامعة Hull البريطانية (٢٠٠٢)

- مستشار في الإدارة، وباحث في شئون الإستراتيجية والقيادة.
- مؤسس "المبادرة الشيعية للتمكين".
- قام بتصميم وإطلاق عدة مشاريع ذات علاقة بتنمية القدرات القيادية للمرأة وللشباب، وتطوير أداء منظمات المجتمع المدني، وذلك خلال الفترة ما بين ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٠.
- له عدة بحوث ودراسات ميدانية ذات صلة بالمجتمع المدني، مطبوعة ومنشورة بالتعاون مع مجموعة من المؤسسات المحلية والدولية، منها:
- الإستراتيجيات الناجحة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة (٢٠٠٤).
- الحقوق الشخصية للمرأة البحرينية في ظل الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٦ - (٢٠٠٧).
- لمحات من واقع المسؤولية الاجتماعية للشركات في مملكة البحرين - (٢٠٠٧).
- الأحوال الشخصية والأسرية والقانونية للمرأة البحرينية - (٢٠٠٨).
- دور المجتمع المدني والمنظمات النسائية غير الحكومية في الخليج العربي في رفع مستوى الوعي بأهمية الأحوال الشخصية - (٢٠٠٩).
- دليل أفضل الممارسات الإدارية في العمل التطوعي - (٢٠١٠).



منشورات الهدى
طبع في بيروت - لبنان

ت : ٠٣/٦٣٨١٨٤ - بيروت - لبنان
E-mail: alreda.af@hotmail.com



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لا يجوز طباعة أو نشر أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه
بدون إذن خطي وقانوني من المؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

هوية الكتاب:

الكتاب: التمكين الشيعي

المؤلف: صادق جعفر

تصميم وإخراج: فايف تولف ميديا

+973 77222512

+973 33309512

info@5-12media.com

www.5-12media.com

الناشر:



ت : ٠٣/٦٣٨١٨٤ - بيروت - لبنان

E-mail: alreda.af@hotmail.com

التمكين الشيعي

استراتيجيات تمكين الشيعة وتعزيز أوضاعهم في العالم

صادق جعفر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

شكر و تقدير

لولا توفيق من الله وسداد من رسول الله وأهل بيته عليهم جميعاً صلوات الله لما كان لي أن أباشر في هذا العمل أو أن أتوفق - إن شاء الله - إلى إخراجه بالصورة التي هو عليها.

وبعد فضل الله وفضل رسوله وأهل بيته عليهم السلام، أود أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى أسرتي العزيزة وبالخصوص إلى زوجتي التي ساندتني بقوة وأبدت تعاطفاً وتفهماً كبيرين لعملي في مشروع هذا الكتاب - وغيره من المشاريع - وكانت تقف دائماً مع الخيارات التي ترى بأنها يمكن أن تقدم فائدة ما للناس بصورة عامة ولشيعة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام بصورة خاصة.

أرجو من العلي القدير أن يتقبل مساهمتنا البسيطة هذه بقبول حسن وأن يفيض علينا من رحمته ويبارك لنا في عطائه إنه سميع مجيب.

محتويات الكتاب

قائمة الأشكال ١٥

قائمة الجداول ١٧

القسم الأول

معطيات الوضع الشيعي ٢٣

مداخل نظرية

مدخل أول: التهميش ٢٧

مدخل ثاني: ما هو التمكين؟ ٣٣

مدخل ثالث: التمكين قيمة قرآنية وشرعية ٤٣

مدخل رابع: لمحة تاريخية عن التشيع و الشيعة ٤٧

مدخل خامس: الفرق الإسلامية الأخرى ٥٩

خاتمة: النهوض الشيعي ٦٤

الفصل الأول

معطيات الوجود الشيعي في العالم

- ٦٧
- ٦٩ التضاريس السكانية للشيعية
- ٧٢ أولاً: الحوض الشيعي المركزي
- ٩٠ ثانياً: الشيعة في باقي العالم
- ٩٦ عدد الشيعة في العالم

القسم الثاني

١٠١ قراءات في الوضع الشيعي العام

الفصل الثاني

١٠٣ مسار الإحياء الشيعي

- ١٠٥ المرحلة الأولى: ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م: التجديد عبر الثورة
- المرحلة الثانية: ١٩٨٠ - ١٩٩٠ م: انتفاضة الشيعة والهجوم المضاد ودوامه
- ١٠٨ الدفاع عن النفس
- ١١١ المرحلة الثالثة: ١٩٩١ - ١٩٩٩ م: فرص إعادة التوضع الاستراتيجي ..
- ١١٥ المرحلة الرابعة: ٢٠٠٠ - ٢٠٠٢ م: بداية الحصاد
- ١١٦ المرحلة الخامسة: ٢٠٠٣ - ٢٠١٠ م: بيئة استراتيجية جديدة
- المرحلة السادسة: بدء من ٢٠١١ م: الربيع العربي وشرعية التغيير
- ١١٩ والإصلاح
- ١٢٢ الخلاصة: عصر الشيعة؟

الفصل الثالث

١٢٥ الساحات السبع للوجود الشيعي

- ١٢٩ ساحة متمكنة: إيران

١٢٩	ساحات صعود: العراق ولبنان
١٣١	ساحة مغية: آذربيجان
١٣٢	ساحات محقنة: البحرين والسعودية
١٣٣	ساحات حاضنة: بقية بلدان الحوض الشيعي المركزي
١٣٥	ساحات معولة: أوروبا الغربية والولايات المتحدة
١٣٦	ساحات المأوى: باقي دول العالم

الفصل الرابع

التحديات الثلاثة

١٣٩

١٤١	أولاً: التكفير (أزمة التعايش)
١٤٦	ثانياً: التمييز (أزمة الحقوق)
١٥١	ثالثاً: الإقصاء (أزمة المواطنة)

الفصل الخامس

قراءة في الاستراتيجيات الشيعية للتغيير

١٥٧

١٥٩	مطالب الشيعة
١٦٠	مسارات استراتيجية

الفصل السادس:

حالات ونماذج تمكين شيعية

١٦٩

١٧١	حالة تمكين فاشلة لأكثرية شيعية
١٧٨	حالة تمكين ناجحة لأكثرية شيعية
١٨٤	حالة تمكين ناجحة لأقلية شيعية

القسم الثالث

استراتيجيات تمكينية

١٩١

الفصل السابع:

مسارات التقدم في البيئة الشيعية

١٩٣

أولاً: نقاط القوة ١٩٥

١. الانتشار الجغرافي ١٩٥

٢. التموضع الاستراتيجي ١٩٨

٣. بنية القيادة المرجعية ٢٠٦

٤. منظومة سياسية متواسكة وصاعدة ٢١٣

دلائل انحدار المنظومة الغربية الأمريكية في الوقت الحالي ٢١٤

دلائل صعود منظومة إقليمية جديدة بقيادة الشيعة ٢٢٠

ثانياً: الفرص ٢٢٤

١. العولمة ٢٢٤

٢. ثورة التكنولوجيا والاتصالات ٢٢٦

٣. الفراغ الاستراتيجي الإقليمي ٢٢٩

الفصل الثامن:

مسارات التأزم في البيئة الشيعية

٢٣٩

أولاً: نقاط الضعف: التحدي العددي ٢٤١

التأثيرات العددية ٢٥١

استراتيجيات الأنظمة في التعامل مع الوجود الكمي الشيعي ٢٥٥

استراتيجيات شيعية حول كيفية التعامل مع وجودهم الجغرافي

وأحجامهم السكانية ٢٥٦

٢٦٢	ثانياً: المخاطر: الفتنة الطائفية
٢٦٢	منطلقات الإثارة المذهبية
٢٦٤	لماذا يتم اعتماد الفتنة الطائفية كاستراتيجية سياسية؟
٢٦٦	كيف يتم اعتماد هذه الاستراتيجية؟
٢٦٨	النموذج الوهابي السعودي

الفصل التاسع:

العلاقات التفاعلية البينية للشيعنة حول العالم

٢٧١	منذ عام ٢٠٠٣م
٢٧٣	النموذج القائم منذ عام ٢٠٠٣م
٢٧٧	أولاً: الدولة - المركز: الجمهورية الإسلامية الإيرانية
٢٨١	مؤشرات الدور المركزي للجمهورية الإسلامية
٢٨٦	منطلقات التموضع المحوري للجمهورية الإسلامية
	مكاسب الجمهورية الإسلامية الإيرانية من التموضع المحوري
٢٨٧	وعمليات الرعاية
٢٨٩	ثانياً: الأطراف المشعة: العراق و لبنان
٢٨٩	التأثير اللبناني
٢٩٤	التأثير العراقي
٢٩٧	الفرق بين نمط تأثير المحور والأطراف المشعة
٢٩٩	ثالثاً: أطراف الحوض الشيعي
٢٩٩	١. أطراف مستقرة
٣٠١	٢. أطراف مُستفزة
٣٠٢	٣. أطراف مُستهدفة
٣٠٤	٤. أطراف متوجسة
٣٠٦	٥. أطراف مشوشة

رابعاً: الثغور الشيعية: الوجود الشيعي خارج الحوض المركزي ٣٠٩

الفصل العاشر:

استراتيجيات التمكين الشيعي ٣١٣

الاستراتيجيات التمكينية العامة	٣١٦
الاستراتيجية الأولى: التعبئة	٣١٦
الاستراتيجية الثانية: بناء الموارد	٣٢٠
الاستراتيجية الثالثة: إعادة إنتاج النجاحات	٣٢٦
الاستراتيجية الرابعة: توظيف النجاحات	٣٣٠
الاستراتيجية الخامسة: التشبيك البيئي	٣٣٤
الاستراتيجية السادسة: المناصرة	٣٣٦
الاستراتيجية السابعة: كسب التأييد	٣٣٨
استراتيجيات خاصة بالأطراف المهمشة	٣٤٣
استراتيجية الاحتواء السياسي	٣٤٣
استراتيجيات خاصة بالمركز	٣٤٦
استراتيجية منح التأييد	٣٤٦
استراتيجية التشبيك الخارجي	٣٤٨
المصادر و المراجع	٣٥١

قائمة الاشكال

- خارطة توضح المناطق التي قامت عليها دول شيعية عبر التاريخ الإسلامي ٥٧
- خارطة توضح العالم الإسلامي تحت حكم الشيعة في القرن الرابع الهجري ٥٨
- خارطة توضح توزيع المذاهب الإسلامية على أقاليم العالم الإسلامي ٦٣
- خارطة تبين حدود الحوض الشيعي المركزي ٧٢
- رسم بياني يبين حجم الشيعة في دول العالم ٩٨
- رسم بياني يبين حجم الشيعة في دول العالم ١٠٠
- خارطة توضح أصناف الساحات التي يتواجد فيها الشيعة ١٢٨
- خارطة توضح التموضعات الاستراتيجية للوجود الشيعي ١٩٩
- رسم بياني يبين نسبة الشيعة في الخليج ٢٠٣
- رسم بياني لأحجام أتباع المدارس الفقهية الإسلامية في دول الحوض الشيعي المركزي .. ٢٤٤
- رسم بياني يبين نسبة الشيعة الإثنا عشرية في المشرق العربي ٢٤٦
- رسم بياني يبين نسبة الشيعة بصورة عامة في المشرق العربي ٢٤٦
- رسم بياني يوضح نسبة أتباع المذاهب الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي ٢٥٠
- رسم بياني لأكبر عشر كتل سكانية شيعية ٢٥٠
- رسم بياني للدول العشر التي تضم أكبر نسب الكثافة السكانية الشيعية ٢٥١

- خارطة توضح مجالات التأثير الذي يولّده المركز والأطراف المشعة الشيعية ٢٧٦
- رسم بياني يبين نسب الشيعة الناطقين بلغة المركز وباللغات الأخرى ٢٧٩

قائمة الجداول

٩٧	عدد الشيعة في دول العالم
٩٩	المساحة الجغرافية التي تمثل الحوض المركزي للشيعة
٢٠٢	نسبة الشيعة في الخليج
	حجم الشيعة ونسبتهم مقارنة باتباع المذاهب الأخرى في
٢٤٣	الحوض الشيعي المركزي
٢٤٥	عدد الشيعة في بلدان المشرق العربي
٢٤٥	عدد ونسبة الشيعة الإثنا عشرية في المشرق العربي
٢٤٥	عدد ونسبة الشيعة بصورة عامة في المشرق العربي
٢٤٨	عدد ونسبة الشيعة في بلدان العالم الإسلامي
	عدد ونسبة اتباع المدارس الفقهية الرئيسية في بلدان
٢٤٩	العالم الإسلامي
٢٧٨	نسب الشيعة الناطقين بلغة المركز وباللغات الأخرى

.....

مقدمة

في العقد الأخير حدثت تحولات جيواستراتيجية عميقة في المنطقة وفي العالم. هذه التحولات وآثارها لا زالت في بداياتها، وهي مقدمة لرسم عالم جديد في السياسة والفكر والاجتماع والجغرافيا.

وفي وسط هذه التغيرات يتموضع الشيعة الإثنا عشرية بل هم جزء من صنّاع هذه التحولات إن لم يكونوا قطب الرحى فيها.

وما جرى ويجري يستلزم منا نحن الشيعة أن نعيد النظر إلى ما حولنا من فرص وأزمات، ونعيد تقييم ما لدينا من نقاط قوة وما فينا من نقاط ضعف، وأن نرسم استراتيجيات جديدة للتعايش والتفاعل والتواصل مع العوالم السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية التي من حولنا.

ولكن تلك الدعوة لإعادة التقييم والتفاعل بحاجة إلى أرضية علمية ومعلوماتية دقيقة وواقعية يمكن التأسيس عليها والانطلاق منها.

وهذا الكتاب هو محاولة متواضعة للتأسيس لذلك، فهو كتاب يدعو إلى أن يأخذ الشيعة المبادرة بأيديهم لإصلاح وتعزيز أوضاعهم وتمكين أنفسهم، وأن يتوقفوا عن لعب دور المدافع والمنفعل بردود الأفعال أمام كل من يسعى للتأثير عليهم بصورة لا تليق ولا تناسب مع البيئة والمتغيرات الجيواستراتيجية الجديدة التي ساهموا في إيجادها وبذلوا فيها الكثير من العرق والصبر والتضحيات وتعاملوا معها بحكمة وبصيرة وطول نفس ورباطة جأش.

هذا الكتاب ليس بصاحب دعوة مذهبية أو طائفية أو عصبية على الإطلاق، وليس موجّهاً ضد طوائف أو ملل أو نحل أخرى، فالمؤلف يؤمن بأن المسلمين بجميع طوائفهم ومذاهبهم ومدارسهم الفقهية هم أمة واحدة هي أمة لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، كما أنه ليس بكتاب دعوة إلى التشيع أو إلى التحول الديني والعقائدي، بل يمكن القول أن أغلب الأفكار الواردة فيه يمكن لأي شخص وأية ملة وطائفة أن تستفيد منها وتفعلها في واقعها وتطبقها بما يلائم أوضاعها. ولكن كما أن لرب كل عائلة أن يفكر في مصلحة عائلته وتعليم أولاده وإنهاء تجارته وتحصيل رزقه ورزق عياله أولاً دون أن يلومه أحد بدعوى أنه فكر في مصلحة أولاده وزوجته دون أن يفكر في مصلحة أولاد جاره وعائلته - حيث أن تلك هي مسئولية جاره ولا أحد آخر - وكما أن كل الأمم والطوائف والمجتمعات لا تجد غضاضة في إبراز اهتمامها بأبنائها وأعضائها ومكوناتها الاجتماعية والثقافية والدينية، وذلك كله حق إنساني لجميع العوائل والأمم واتباع الأديان والملل، فكذلك يحق للإنسان الشيعي - دون أن يتعدى على حقوق غيره أو يؤذيه وضمن كل ما تسمح به القوانين والضوابط والقيم المجتمعية والإنسانية - أن يسعى ويخطط ويعمل في سبيل عزته وكرامته وصلاح حاله ومستقبله.

وعلى هذا السبيل يمضي كتاب «التمكين الشيعي»، فهو يبدأ بعرض مجموعة من المداخل النظرية التمهيدية للموضوع عبر تعريف التمكين ومعانيه وطبيعته، وشرعيته الدينية القرآنية، إلى جانب التطرق إلى لمحة سريعة عن الشيعة وعقائدهم الأساسية ووجودهم التاريخي من خلال استعراض أهم الدول الشيعية التي قامت في التاريخ، مع إطلالة على أهم المدارس الفقهية والمذاهب الأخرى القائمة حالياً في البلاد الإسلامية، والإشارة إلى أفكار كانت تمس موضوع التمكين الشيعي - إيجاباً وسلباً - كالصحوة الشيعية والهلل الشيعي وغيرها.

الكتاب ثلاثة أقسام، الأول عبارة عن معطيات الوضع الشيعي، وفيه فصل عن الوجود الشيعي في العالم والتضاريس السكانية للشيعة، والثاني عبارة عن قراءات في الأوضاع الشيعية، وفيه يسعى لتعريف مسارات الإحياء الشيعي

خلال العقود الأربعة الأخيرة وبالتحديد منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران (الفصل الثاني)، ثم نحاول التعرف إلى طبيعة الدول والمجتمعات - الساحات - التي يتواجد فيها الشيعة (الفصل الثالث)، وأهم التحديات التي يعايشونها وكيفية التعامل معها (الفصل الرابع).

في الفصل الخامس يتطرق الكتاب للاستراتيجيات التي مارسها الشيعة واعتمدوا عليها خلال العقود الماضية للتعامل مع التحديات التي مرت عليهم وسعيهم الحثيث والمتواصل لإصلاح أوضاعهم وتنمية واقعهم، ونضرب في الفصل السادس أمثلة وحالات استطاع فيها الشيعة تمكين أنفسهم في مجتمعات عاشوا فيها بعد أن مروا بتجارب كانت فاشلة ودفَعوا فيها أثمان كبيرة.

القسم الثالث من الكتاب عبارة عن أربعة فصول تتكلم عن استراتيجيات تمكينية لمستقبل شيعي أفضل، حيث يبدأ في الفصل السابع بتحليل الفرص والمسارات التي يمكن أن يتقدم فيها الشيعة في العالم، وفي الثامن تحليل لأهم نقاط الضعف والمخاطر التي يتعرض لها الشيعة وكيف يمكن لهم تحويل تلك المسارات السلبية إلى فرص للتقدم والنمو إذا ما نظروا إليها من زوايا مختلفة، وفي الفصل التاسع يستعرض نموذج عمل سياسي واستراتيجي لتمكين الشيعة في مختلف بقاع العالم، وفي الفصل الأخير يقترح مجموعة من الاستراتيجيات التمكينية للشيعة في العالم بمختلف أصنافهم وتموضعاتهم والبيئات السياسية والاجتماعية والجغرافية التي يتواجدون فيها.

يحتوي الكتاب على العديد من الخرائط والجداول والأشكال البيانية التوضيحية التي أرجو أن تكون ذات فائدة للقراء عموماً ولكل من لديه اهتمام بالموضوع خصوصاً.

نوفمبر ٢٠١٣

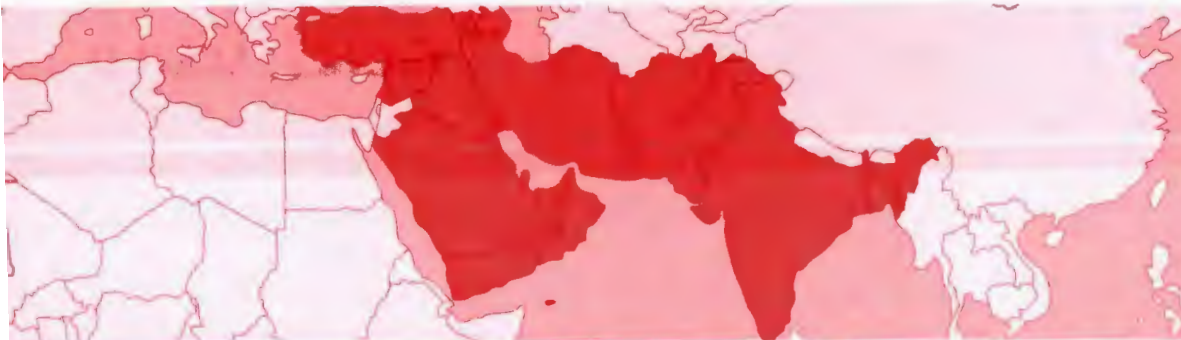
صادق جعفر

القسم الأول

معطيات الوضع الشيعي

مداخل نظرية

الفصل الأول: معطيات الوجود الشيعي في العالم





مداخل نظرية

مدخل أول:

التهميش^(١)

التمكين عملية حياتية تتناقض مع عملية التهميش، ولذا لا بأس بأن ندخل إلى فهم معاني التمكين من خلال فهم التهميش، سيراً على مبدأ فهم الشيء من خلال نقيضه.

مفهوم التهميش:

التهميش يعني وضع الشيء على الهامش، وفي الواقع البشري يعني دفع الإنسان ليكون على هامش الحياة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وفي الواقع العملي يعني التالي:

- خيارات محدودة: أي تحديد وتقليص الخيارات بالنسبة للطرف المراد تهميشه، كأن يكون للآخرين مثلاً حرية الدخول في كل مستويات العمل والدراسة، بينما لا يكون للطرف المهمش إلا مستوى أو اثنين، وذلك بسبب عرقه أو لونه أو طائفته أو مذهبه أو دينه أو طبقته الاجتماعية، وليس بسبب نقص الكفاءة وقلة الجدارة، ومثال على ذلك هو السماح لأبناء طائفة في بلد ما بالعمل في مؤسسات معينة دون السماح لهم بتقلد مناصب عليا في هذه المؤسسات.

(١) تم الاستفادة في هذا المدخل من الأفكار الواردة في Gordon: Advocacy toolkit

- العزل والإقصاء: وهو يشبه الوضع السابق ويقوم أساساً على تحريم امتيازات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها على جماعة معينة بصورة دائمة وإقصائها عن تلك الامتيازات لذات الأسباب الطائفية والعنصرية، ومثال على ذلك عدم السماح لأبناء طائفة ما من تقلد أية مناصب أمنية أو سيادية على الإطلاق.
- تغييب الفرص: ويعني إبعاد وإخفاء عوامل التقدم والتنمية في بعض حقول الحياة، وعدم إتاحة الفرصة أمام الجماعة المهمشة حتى لمحاولة الخروج من شرقة التهميش المحاصرة فيها، ومثال على ذلك إغلاق باب البعثات العلمية في الجامعات أو التخصصات العالية أمام فئة ما.
- التجاهل القانوني والدستوري: تجاهل الحقوق القانونية والدستورية للفئة المهمشة وعدم إيرادها في دستور البلاد وعدم الإقرار بخصوصياتها الدينية والمذهبية بحجة أن ما يسري على أبناء الوطن يسري عليها، في الوقت الذي يسمح لغيرهم من الفئات والطوائف بممارسة خصوصياتهم في الشؤون المشابهة بل والاعتراف بذلك دستورياً وتشريعاً قانونياً.

نتائج التهميش:

- للتهميش مجموعة من النتائج السلبية على الفئة المهمشة، أبرزها:
- صعوبة الوصول إلى الموارد: فأبناء الفئة المهمشة يصعب عليهم الوصول إلى الموارد المتاحة لغيرهم من الفئات، كالموارد المالية والمعرفية والاجتماعية وغيرها التي تتيحها فرص العمل أو الدراسة في حقول معينة. فإذا كان الطب مثلاً كحقل للدراسة والعمل مغيب أو ممنوع على فئة ما فإن الامتيازات المالية والعلمية والصحية والاجتماعية العالية التي تنتج عن هذا الحقل ستكون مغيبة أيضاً عنها.
- السير في سياسات منحدرية تؤدي إلى مزيد من التهميش: كما أن التمكين يؤدي مع الوقت إلى مزيد من التمكين، فإن التهميش المتواصل يؤدي أيضاً

إلى المزيد منه، إلى أن يصل الأمر إلى اعتبار أن الخسائر والأذى الذي يلحق بالفئة المهمشة أمر طبيعي ولا غضاضة فيه، فالله (كما سيدعى الآخرون) هو الذي كتب على هذه الفئة السخط والتهميش والإقصاء.

- قدرة محدودة لتحصيل الاحتياجات الأساسية: وهذا أمر طبيعي، فالفئات غير المهمشة يمكنها الوصول إلى الموارد بصورة طبيعية وآلية وقانونية بينما الفئات المهمشة تحتاج إلى الوساطات والرشوات والالتفاف على القوانين الظالمة لكي تحرز ما هو حق طبيعي لكل الناس.
- قمع الإحساس بالقدرة وجعل المهتمش يعتقد بأن إصلاح أوضاعه بيد غيره: مع الوقت - وإذا ضعف الوعي وتلاشت الإرادة - يصبح الإحساس بالتهميش والتعايش معه هو القاعدة وليس ظرفاً طارئاً، وتشكل قناعة لدى الفئة المهمشة بأن ما يحصل لها هو قدرها وأن تغيير هذا القدر محال، وإذا كان هناك من تغيير أو تطوير لوضعها فإن ذلك لا يكون إلا بمنحة من الغير أو مكرمة من القوى الطائفية والعنصرية المهيمنة.
- ضعف القدرة التفاوضية لتحصيل الحقوق: وهذه الحالة هي تحصيل حاصل لكل ما سبق، فضعف الموارد وغياب عوامل القوة والإحساس بالضعف، كل ذلك يجعل من الفئة المهمشة في مواقع تفاوضية ضعيفة سواء كانت تلك المواقع دفاعية أم هجومية، ويجعلها عاجزة عن الدفاع أو استرجاع حقوقها، بل الأسوأ من ذلك يؤدي بها إلى خسران المزيد من الحقوق كلما مر عليها الوقت وتكالب عليها الزمن.

أسباب التهميش:

هناك مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى التهميش في وضع الفئات والطوائف والأمم، وهي قد تكون ذاتية أو خارجية.

أسباب التهميش الذاتية:

- ضعف العلاقات البينية: من أسباب وقوع التهميش هو ضعف العلاقات

بين أبناء الفئة الواحدة، وهذا الشيء قد لا يؤدي إلى ضعف عناصرها كأفراد، ولكنه يؤدي إلى ضعفها كمجموعة، وبالتالي قد يكون وضع بعض الأفراد فيها قوياً كبعض السياسيين والتجار والنخب الثقافية ولكن على حساب المجموعة ككل، وبالتالي فإنك قد تجد في بلد ينتهك حقوق الشيعة وزيراً أو محافظاً شيعياً.

- الاستغلال البيني: وهذه الحالة أسوأ من الأولى، فهنا ليست العلاقات ضعيفة فقط، وإنما هناك استغلال من قبل بعض أفراد الفئة المهمشة لأغلب مكونات هذه الفئة، وذلك من أجل مصالح فردية تتعلق بالمال أو المركز الاجتماعي أو المناصب السياسية أو ما أشبه.
- غياب القدرة والوعي: غياب القدرات السياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها يؤدي إلى الانزلاق إلى الهامش، فإذا كانت فئة ما تفتقد لما يشكل فائدة للآخرين فإن الحاجة إليها والرغبة في التعامل معها تصبح ضعيفة، إلا لمن يريد استغلالها. وجزء من غياب القدرة يعود إلى غياب الوعي بأهمية بناء الموارد الذاتية.

أسباب التهميش الخارجية:

- ثقافة الفرز الفوقية: أحياناً تكون الفئة المهمشة خاضعة لسلطة ونفوذ فئة أكبر وأقوى منها لا تنظر إليها بمنظار ودي أو تعاوني، فتتعامل معها بفوقية وتحاول قدر الإمكان أن تجعلها في مستوى أدنى من النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها.
- الاحتلال: كذلك فإن وقوع فئة أو مجتمع ما تحت احتلال قوة معادية له غالباً ما يؤدي إلى تهميش الفئة الواقعة تحت الاحتلال في مختلف الجوانب، بل إن المحتل لا يريد لهذه الفئة أن تقوى في أي مجال لكي لا تقاوم احتلاله، كيف يكون ذلك وهو يسلبها حتى صلاحية أخذ القرار عن نفسها ومتابعة

مصالحها الخاصة والعامة؟^(١)

معالجة التهميش:

- يمكن لأي فئة مهمّشة أن تبدأ بمعالجة هذه الحالة من خلال التالي:
- إصلاح العلاقات البينية تمهيداً لإنشاء البنية التحتية للتعاون والتعاقد: فعلاج التهميش يقوم على أكتاف الجميع ولا يمكن لأفراد متفرقون أن يعالجوا هذه الحالة لوحدهم، والخروج منه بحاجة إلى تغيير وتطوير العلاقات والسياسات و البنى الداخلية للفئة المهمّشة.
- تغيير وتطوير الثقافة: بعض الفئات تظن بأنها خلقت لمصيرها وأن ما يجري عليها من ظلم وويلات هو قدرها الطبيعي لأنها بانتظار مخلص أو منقذ أو تغييرات كونية إعجازية تعالج أوضاعها المزرية، وأصبحت مؤمنة بعجزها وضعفها لدرجة أن التفكير بإصلاح أمورها يقترب في نظرها من درجة الكفر والتجديف، وقد تكرست هذه الثقافة عند الفئات التي استعبدت تاريخياً لفترات طويلة وعلى مدى واسع، وتغيير وضعها والارتقاء به يبدأ في عقلها أولاً وفي ثقافتها قبل أي شيء آخر، فمن يؤمن بأنه عبد لا يمكنك أن تبشره بالحرية، فهي في نظره جريمة لا تغتفر.
- قيادة تضع حاجات الآخرين أولاً: القيادة مسألة استراتيجية في هذا الشأن - وفي كل شأن تقريباً - فالخروج من الهامش بحاجة إلى قيادات قوية وصلبة ذات رؤية وبصيرة ولديها برنامج عملي، ومستعدة لأن تضحي بمصالحها الشخصية والضيقة من أجل تغيير حالة الفئة المظلومة والمهمّشة التي تقودها. لا يخلو مجتمع قط من قيادة على مر الأوقات، ولكن الفرق هو بين قيادة تسخر أمتها من أجل مصالحها - وما أكثر ذلك، وقيادة تضع حاجات فئتها أولاً - وما أقل ذلك.
- رؤية مشتركة: وهذه من أهم الأمور فحسن العلاقات البينية ووجود قيادة

(١) مهدي: التعددية الأثنية

ذات بصيرة ثابتة لا يؤدي إلى أي إصلاح في هذا المجال إذا لم تستطع القيادة أن تنقل رؤيتها إلى جمهور هذه الفئة وتجعله ينظر إلى الموضوع كما تنظر إليه هي، فتغيير الأوضاع والخروج من الهامش بحاجة إلى مشاركة جماعية والتزام عام.

مدخل ثانبي:

ما هو التمكين؟^(١)

التمكين حالة متعلقة بالاستطاعة والقدرة على شيء، والمنزلة والمكانة الرفيعة وتوافر الإمكانيات لفعل شيء ما، والشخص المتمكن هو القادر على فعل شيء والذي لديه إمكانية والمستقر في مكانه، والمكين هو القوي المتين^(٢).

صور التمكين:

والتمكين كعملية قد يأخذ الصور التالية:

- الأولى: منح القدرة للناس: وذلك يحصل عندما يوجد طرف يستحوذ على الإمكانيات والوسائل والأدوات التي يمكن للناس أو لفئة منهم أن تستقوي بها كالأنظمة المستبددة التي تستحوذ على كل شيء وتسلب الناس قدراتهم في كثير من مناحي الحياة لتمكن من السيطرة التامة عليهم بحيث يصل الناس في بعض الحالات إلى الاقتناع بأن هذا قدرهم في الحياة وأن لا حق لهم في عمل شيء لصالحهم فتكون الأنظمة في هذه الحالة مطالبة بمنح الناس الاستطاعة والقدرة في المجالات التي تهمشهم فيها.
- الثانية: تأهيل الناس لإحراز القدرة: وهذا يحصل عندما يرغب الناس في

(١) تم الاستفادة في هذا المدخل من الأفكار الواردة في Gordon: Advocacy toolkit

(٢) دار المشرق: المنجد

تمكين أنفسهم - سواء كانوا تحت سلطة نظام مستبد أم غير مستبد - ولكنهم عاجزون عن ذلك بسبب قصورهم، فيتم تأهيلهم وإرشادهم إلى كيفية سد نواقصهم ومعالجة قصورهم وبناء إمكانياتهم التي تقودهم إلى التمكن والاستطاعة والقدرة.

- الثالثة: السماح للناس بإطلاق قدراتهم الكامنة: وهذه الصورة شبيهة بالأولى إلا أن الناس في هذه الحالة يعون نظرياً سبل وآليات تمكين أنفسهم وقد يكونون في حالة سعي عملي لذلك، ولكن توجد حواجز قد تكون أمنية أو سياسية أو طائفية أو قانونية تقف حجر عثرة في سبيلهم، وكل ما يحتاجونه لبدء عملية التمكين هو إزالة تلك الحواجز.
- الرابعة: هي مزيج من بعض أو كل الصور السابقة، وفي حالات التهميش الحادة قد لا يتم الخروج من شرقة التهميش إلى فضاء التمكين إلا بالأخذ بأكثر من صيغة منها.

أنماط القدرة:

- والقدرات أنماط عديدة، منها على سبيل المثال:
- القدرة الاقتصادية: وتعني توافر المال وامتلاك المؤسسات الاقتصادية كالشركات التجارية والمصارف المالية، أو امتلاك القدرة على التأثير في السياسات الاقتصادية، أو امتلاك أصول مادية وغير مادية توفر دخلاً اقتصادياً جيداً، أو الهيمنة من خلال المعرفة العلمية والكفاءة العملية على المسارات الاقتصادية الهامة، وما أشبه ذلك.
- السلطة: وتعني حيازة موقع لصناعة القرارات المصيرية، وقد تكون هذه السلطة في يد فرد أو أفراد، وقد تكون أساساً في يد فئات وطوائف وتقوم هي بتفويضها جماعياً إلى فرد أو أفراد ينطقون باسمها وينفذون توجهاتها.
- القوة: سواء العسكرية أو الأمنية أو غيرها، وهي غالباً تولد الخوف من عدم التجاوب معها، وبالتالي فهي تحفظ للأقوياء حقوقهم، وهنا لا نقصد القوة

المتلازمة مع الاستبداد، ففي أغلب أحوال البشر نجد بأن الطرف الضعيف - وإن كان على صواب - فهو مهضوم حقه، بينما الطرف القوي - سواء كان على صواب أم خطأ - محسوب له حقه.

• **العلاقات الخارجية:** والتي تعني: من تعرف؟ ومن يعرفك؟ ومن يحترمك؟ ومن هو قريب منك؟ فالفئة التي لا يتجرأ أحد على ظلمها أو التعدي عليها قد لا تكون هي بذاتها صاحبة نفوذ، وإنما لأنها متحالفة مع سلطة أو مؤسسة أو نظام أو عشيرة من ذوي النفوذ، فالعلاقات قد تعني الحصانة والحماية والفرص والمعرفة، وكل هذه امتيازات توفر كل منها نسبة من التمكن والقدرة السياسية والاجتماعية والأمنية.

• **الشرعية:** وتعني مدى قبول الآخرين لك ولما تمثله، وقد تكون ذات منبع ديني كشرعية احترام المقدسات، أو منبع قانوني كشرعية احترام الإجراءات الاقتصادية والتعليمية التي يسنها دستور البلد، أو منبع عرفي وأخلاقي كشرعية احترام المعلم والشيخ الكبير وما أشبه. وغالباً ما تكون الفئات المهمشة متهكة الشرعية، بمعنى عدم الاعتراف بشرعيتها كلياً بحيث يصل الأمر إلى تجاهلها أو تكفيرها حتى، فتكون ممارساتها الدينية غير شرعية عند من يمتلك السلطة والنفوذ، ولغتها غير معترف بها ومناسباتها وأعيادها الخاصة لا تعامل باحترام ولا يعترف بخصوصيتها، وتفرض عليها أحكام المذاهب الأخرى حتى في قضايا الأحوال الشخصية.

• **التشبيك الداخلي:** وتعني تنظيم عوامل القوة لدى الفئات المعنية، فلا يكفي أن يكون فيها نسبة عالية من الأطباء والمثقفين والعلماء والاقتصاديين والمخترعين والتجار وغير ذلك إذا كان كل منهم يغرد على هواه ولا يراعي حالة تمكين وتعزيز ومساندة أوضاع الفئة التي ينتمي إليها.

• **المأسسة:** أي امتلاك المؤسسات العلمية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومدى احترام الناس لتلك المؤسسات، فالتمكين بحاجة إلى جهود جماعية، ولا يمكن تسهيل ذلك وتنسيقه بدون صياغته في مؤسسات مدنية ورسمية

تحفظ الجهود والموارد من الضياع وتوجهها بصورة استراتيجية. والعديد من أصناف القدرة التي أوردناها أعلاه إنما تنمو وتتعرّز في المناخ المأسس والمجموعي لا المنعزل والمنفرد.

- المعلومات والمعرفة: أي مدى الفهم والاطلاع والخبرة المنتشرة بين أعضاء وفي كيان فئة ما، فالعلم أمضى سلاح للارتقاء على مر الأزمان والدهور وفي أقسى الظروف، ولم نر أمة جاهلة تمكّنت إلا بشكل مؤقت وبأساليب غير صحيحة كالإجرام والقتل والغدر والظلم، فالجهل قرين تلك الأفعال.

- العلاقة مع الله سبحانه وتعالى: فالله سبحانه وتعالى هو القادر الذي ليس كمثل شيء، والارتباط به يعني الارتباط بسننه ووسائله التي جعلها سبباً للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وضعف الارتباط به وعدم الأخذ بقوانينه هو الذي يؤدي إلى المسكنة والانزمام، ولو قيل بأن هناك طغاة متمكنون في الدنيا فالمعادلة الحقيقية هي أن هناك فئات مخالفة لسنن الله تمكّنت بالظلم والغصب والانحراف على فئات أخرى غير ملتزمة بسنن الله تبارك وتعالى أيضاً، ولو كانت الفئة المغصوبة ملتزمة حقيقةً بأوامر ومناهي الله سبحانه وتعالى لما تسلّط عليها أعداءه.

- الثقافة والتقاليد: فالثقافة الانهزامية التي تقبل التهميش - حتى بين المؤمنين - تؤدي إلى التهميش، والثقافة المبادرة التي تعزز حالة التقدم والعزة والتنمية تؤدي إلى التمكين - حتى بين غير المؤمنين - والحقيقة هي أن الثقافة الإيمانية إذا أخذت بشكل صحيح فإنها تؤدي في النهاية إلى طريق التمكين، أما الإكتفاء بالقشور فلا يؤدي إلا إلى نتائج سطحية وقصيرة المدى ومحدودة الأثر.

- الموارد: بمعنى أن يكون لديك شيء يريده الآخرون، كالموارد البشرية والكفاءات العلمية والإختراعات الآلية والبصائر العقائدية والثروات الإقتصادية والعلاقات السياسية والنفوذ الاجتماعي وما أشبه ذلك، فتلك كلها موارد يمكنها أن تقود الفئات التي تمتلكها إلى التمكين وتعزيز أوضاعها

بين مختلف المجتمعات البشرية سواء التي تودها أو تلك التي تختلف معها.

مستويات التمكين:

يمكن أن يأخذ التمكين مستويات متدرجة، كالتالي:

- **المستوى الشخصي:** وهو أن يعمل المرء على تعزيز وضعه ولو بصورة نسبية في جانب أو أكثر من جوانب حياته، كالحصول على شهادة أكاديمية تعزز وضعه العلمي والمهني والاجتماعي وغيره.
- **المستوى العائلي:** إلى جانب ما هو مذكور أعلاه، زرع ثقافة التمكين وحق التمكين في أذهان وسلوك أعضاء العائلة، فالشخصية المكافحة الواثقة القوية هي أفضل ميراث تربوي للأبناء، فالابن والبنات اللذان يعيان حقوقهما وآليات الحفاظ عليها لا يمكن أن يعيشا حياة خاسرة ومهزومة مهما تعرضا للضغط أو المضايقات - ألم يقل الأولون: علمه الصيد بدل أن تطعمه سمكة.
- **المستوى المجتمعي:** وذلك يكون مثلاً بإطلاق برامج لتعزيز وتمكين المجتمع على المستويين الأهلي والرسمي في مختلف الحقول -تمكين المرأة- وتعزيز وضع الناس بنشر الثقافة والأفكار التمكينية وورش العمل ومراكز التأهيل.
- **المستوى الوطني:** السعي لتكون حصة كل فئة في الوطن متناسبة مع حجمها، وأن لا يحظر عليها حقل من حقول المعرفة أو الاقتصاد أو السياسة أو الإعلام أو غيره، وأن لا تغيب عن المناهج التعليمية أو القنوات الإعلامية أو الفنون أو المؤسسات الوطنية والإدارية.
- **المستوى العالمي:** إن قوانين ومؤسسات المساواة والعدالة والحقوق العالمية هي موضوعة لخدمة كل الفئات البشرية ومتاحة مبدئياً للجميع، ويمكن لأي فئة تسعى لتمكين نفسها والخروج من شرنقة التهميش أن توظفها وتحركها من أجل قضاياها ومظالمها وإصلاح شئونها، فمجموعات الدعم والضغط الدولية المختصة بالقضايا الإنسانية والحقوقية تعمل من أجل كل

من يطلب مساندتها ويتفاعل معها، فهي تتفاعل مع من يتفاعل مع حقوقه وتتجاهل من يتجاهل حقوقه.

والخلاصة أن التمكين يبدأ من الفئة المحتاجة وينتهي إليها، والاتكال على الآخرين في هذا الأمر إنما هو تعلق بالسراب، فحتى الذين يريدون مساعدتها لا يمكنهم القيام بذلك إذا لم تكن هي من يؤسس الأرضية لذلك.

لماذا التمكين؟

إن تمكين فئة ما لنفسها إنما يقوم على رؤيتها للمستقبل القريب والبعيد، وعلى الفئة المهمشة أن تسأل نفسها:

- ما هي صورة المستقبل الذي تتمنى أن تعيشه هي أولاً ويعيشه أبنائها ثانياً؟ وهل ترغب أن يتكرر على أجيالها التالية ذات السيناريوهات التي مرت عليها من التهميش والظلم والقسر والتغيب؟ أم ترى بأن ما دفعته والأجيال الماضية منها من أثمان يجب أن لا تذهب سدى، وأن تكون النتيجة مستقبل آمن وصالح لأجيالها القادمة؟

- كيف تريد أن ترى البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تعيش فيها وجميع مكوناتها بعد عشر سنوات من اليوم؟

- إلى متى هي مستعدة لأن تكون من أصحاب الدرجة الخامسة أو السادسة أو العاشرة في المواطنة؟

إن المبرر والدافع والحافز للتمكين يكمن في الإجابة على هذه الأسئلة وأخرى مشابهة، وفي النظر إلى التمكين كحق طبيعي وإنساني، يحق لكل الناس مزاولته ضمن الحدود والمبادئ التي شرعها الله سبحانه وتعالى للبشرية.

الطريق إلى التمكين:

يمكن أن نوجز الطريق إلى التمكين، بالإشارة إلى مجموعة خطوات مؤثرة، كالتالي:

١. زيادة المشاركة السياسية وإنهاء العزلة القسرية أو الطوعية للفئة المهمشة،

فالحياة كلها سياسة، واعتزال السياسة وإدارة الشؤون العامة يعني أن تسلم رقبك طوعاً لمن همّشك أصلاً، والأجدر بالإنسان أن يتعلم ويمارس المعارف التي تنصره وتنصر مبادئه، بدلاً من خذلانها.

٢. العمل على تغيير القوانين التي تتجاهل حقوق الفئات المهمشة، أي إنهاء حالة التجاهل القانوني، وهذا لا يكون إلا إذا اعتمدت النقطة السابقة. ففي بعض الدول التي تعيش فيها أقلية - وأحياناً أغلبية - مهمشة قد لا تجد لديها حتى محكمة أحوال شخصية رسمية، بل ويتم استنقاصها ودمجها في المناهج التعليمية الرسمية، ويتم نعتها بأسوأ النعوت في القنوات الإعلامية لذات البلد! بينما قانونياً لا يسمح بانتقاد أي شخص من أي مذهب أو دين آخر في نفس المكان!

٣. السعي لزيادة تأثير الفئة المهمشة في صناعة القرار، فلماذا عندما يصدر قرار اقتصادي أو تعليمي أو إسكاني أو غيره في هذا البلد أو ذاك تراعى فيه حقوق الفئات والطوائف الأخرى مهما كان حجمها وتاريخها، بينما يكون الوضع بالنسبة للمهمشين وكأنهم أشباح لا حساب ولا اعتبار لهم؟ (إلا إذا أرادوا منهم أن يقدموا تضحية من أجل الوطن، فحينها تغدق عليهم الوعود .. الكاذبة - وما أكثرها).

٤. زيادة الوعي بأهمية التمكّن، وهذا هو الأساس الذي يمكن بناء النقاط السالفة عليه، فالذي لا يعتقد بأن عليه أن يمكّن نفسه أو يرى ذلك عاراً طائفاً أو حالة مجتمعية متخلفة، فكيف يمكنه أن يرتقي بوضعه أصلاً؟ وقد يقال دعونا معاً مع أبناء الطوائف الأخرى كمواطنين بنينا مجتمعنا. ولكن من قال بأن من يمكّن نفسه هو ضد هذا المنطق؟ إنه إنما يقول دعونا نكون أقوياء لبنينا الوطن مع أبناء المجتمع الآخرين الأقوياء، فكيف يبنينا الوطن من هو ضعيف أو مستضعف؟

٥. التمكّن المطلوب لا يعني الاعتداء على حقوق الآخرين أبداً، وإنما تصحيح ميزان القوى في المجتمع، فإذا كانت هناك حقوق مأخوذة أو ممنوعة على

الفئات المهمشة - وما أكثرها، فعليها السعي لضمانها واسترجاعها ممن سلبها إياها.

قد تنتظر الفئة المهمشة سنوات وعقود بل وقرون بحسن نية لكي ترجع إليها حقوقها ولا يحصل شيء، ومن يريد الانتظار بهذه الأوهام السلبية أكثر فتمنى له حظاً سعيداً. إن التمكين لا يحصل مع التواكل وإنما مع السعي والعزيمة والبصيرة، وهو الذي يبني مستقبل الأمم.

التمكين تنمية وليس مواجهة:

سعي الفئات المهمشة لتمكين نفسها في أي مكان لا يعني المواجهة مع أحد، بل بالعكس فهو يعني تركيز مواردها وطاقاتها على تشييد بنائها، لا على هدم أبنية الآخرين.

إن الفئة التي تريد أن تتمكن لا بد وأن تمضي على هذا الأساس، وتتحاشى قدر الإمكان جميع محاولات جرّها إلى صراعات داخلية تستنزف طاقتها ومواردها بلا جدوى، وتركز على بناء كفاءاتها ورفع مؤهلاتها العلمية والاجتماعية والعسكرية والسياسية والأمنية والثقافية وغيرها.

إن اعتماد منهج التنمية في التمكين ينمي من نفوذ الفئة نفسها لأنها تصبح ذات موارد، بينما المواجهات غالباً ما تحرق الموارد وتبعثر الجهود وتدمر الهيبة وتخلق كوارث اقتصادية واجتماعية وسياسية.

التمكين لا يعنّي الطائفية:

إن سعي طائفة مهمشة لتمكين نفسها لا يعني الاعتراض على قيام أية فئة أخرى غيرها بالعمل على تمكين نفسها أيضاً، فمن يقوم بتعليم أطفاله ويصرف حياته في سبيل ذلك لا يقال عنه بأنه عنصري لأنه لم يهمل أطفاله وينشغل بتعليم أطفال جيرانه مثلاً، الذين قد يكونون أضلّ غير محتاجين لمساعدته.

إن التمكين لا يكون بمعزل عن بقية العالم، فإذا أصبح شخصاً من فئة ما طبيباً بارعاً، أو ليس ذلك الطبيب سيكون نعمة على من حوله من الناس حتى من

غير فته؟

ومن قال بأن الطبيب الذي من طائفة معينة يجب أن لا يعالج إلا أبناء طائفته؟
ألا نرى أمهر الأطباء في العالم يعالجون المرضى الذين يقعون تحت أيديهم دون أن
يسألونهم عن طائفتهم أو عرقهم أو حسبهم أو أصلهم؟

إن التمكين لا يعني الطائفية، وإنما معارضة التمكين هي الطائفية بعينها. وإذا
كان التمكين حلال للجميع فلماذا يرى البعض بأنه حرام على أعضاء فئة
ما؟!

التمكين عملية وليس أمنية:

إن القدرة بشئ أصنافها لا تأتي من فراغ، فالقدرة حالة بحاجة إلى نمو
ورعاية، أي بحاجة إلى عملية تنمية، وليس إعجازية أو توكالية أو استجدائية.
فالتمكن عملية تنمية عامة وسببية أي تقوم على الأسباب، ولا يظن أحد بأنه
لأنه مؤمن مثلاً فإنه في غنى عن اتباع الأسباب، فهذا ظن الجهلة. فالدنيا والآخرة
كلتاهما قائمتين على الأسباب والسنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى لكي يتبعها
المؤمنون قبل غيرهم، أما الأمانى فقد تقود خيالك إلى أبعد مما تتصور، ولكنها لا
تدفع واقعك شبراً واحداً إلى الأمام.

مدخل ثالث:

التمكين قيمة قرآنية وشرعية

التمكين يعني حياة كريمة:

قال تعالى في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١)

تشير الآية الكريمة بصورة واضحة إلى أحد أهم آثار التمكين، ألا وهو إقامة الدين وإقامة الشرائع، فعدم التمكين يجعلك غير قادر على إقامة الصلاة (وأمثلة منع مسلمين عن الصلاة في بعض المساجد فقط لأنهم من طائفة معينة كثيرة)، و ممنوع من دعم مشروع مجتمعي بالمال بسبب خوف الآخرين من أن يعزز ذلك مكانة الفئة المهمشة، وغير قادر على إيصال آرائك وأفكارك بل وغير مسموح لك أن تدفع عن نفسك أية تهمة منكورة وغير صحيحة.

هناك قاعدة سائدة بين البشر - وإن كانت غير سليمة إنسانياً ودينياً - وهي أن الناس لا يحترمون الضعيف ويسهل عليهم التجرؤ عليه، بينما القوي والتمكن لا يقاربه أحد حتى وإن لم يحبه، وعلى الفئات المهمشة أن لا تتخلى عن تعزيز قوتها العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية فقط لكي لا يزعل فلان أو لا يخرج علان، وإنها تراعي مصلحتها وتسعى ورائها أينما كانت

وكيفما كانت، كما تفعل كل فئات البشر في هذا العالم.

التمكين عملية سببية:

وقال تعالى في سورة الكهف على لسان ذو القرنين عليه السلام: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥﴾.

طلب ذو القرنين من الناس أن يعينوه بقواهم وقدراتهم لكي يتمكن من إنجاز السد الذي كان مشروعاً ضخماً لهدف كبير، والقوة تأتي عبر التنمية، والتنمية تتزايد عبر الأسباب، وقد قال تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاثَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤﴾، وتوضح الآية الكريمة بأن ذو القرنين عليه السلام والذي حكم العالم في زمانه، إنما تمكن من الأرض وحكمها لأنه سار على الأسباب التي تؤدي إلى ذلك، أي أنه التزم بعملية وآلية تقود إلى التمكين، ولم يعتبر كونه نبياً أو ولياً أن لا حاجة له للمضي على الأسباب.

التمكين يعني السلطة والنفوذ:

وقال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِدِيٍّ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾.

فالملك عندما رأى كفاءة يوسف عليه السلام ومهارته قال ﴿اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي﴾ أي إنه أراد مساعدته خالصاً له، ومكنه وشهد بأمانته، والأمانة هنا ليست فقط أخلاقية وإنما علمية فإنك لا تأمن على أمورك شخصاً جاهلاً بها وإن كان خلوقاً. كما أن يوسف عليه السلام طلب تكليفه بأصعب المهمات وأكثرها حساسية وهي إدارة خزائن الأرض وثروات البلاد، وعرض طلبه بثقة لأن كفاءته تسمح له بذلك فوصف نفسه بأنه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، فالعلم والكفاءة جعلاً ليوسف عليه السلام مكانة عالية جعلت في يديه أسباب السلطة والنفوذ على كل البلاد

بحيث ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

إن طريق يوسف عليه السلام المؤرخ في القرآن الكريم يجب أن يكون هو طريق المهتمّين في الحياة الذين يسعون إلى التمكّن، بأن يبنوا كفاءاتهم العلمية والسياسية والإدارية والعلمية مهما كانت ظروفهم صعبة - فيوسف عليه السلام كان في السجن - والذي يفتح الأبواب ويسبب الأسباب هو الله سبحانه وتعالى، ولكن إذا جاءت الفرصة ولم تكن أنت مستعداً فإنها لا تنتظرك وإنما تذهب إلى يد غيرك.

إن السلطة والنفوذ لم تكن غاية عند يوسف عليه السلام وإنما كانت وسيلة لنشر الهداية، وكذلك يجب أن تكون عند الفئات المهتمّة، فهي حق إنساني لكل من يريد أن يحفظ أمنه وينظم أموره ويدير شؤنه بما يرضي الله تبارك وتعالى دون أن يضطهده الآخرون أو يقسروه على أفعال تخالف مبادئه ومعتقداته.

العلم يؤدي إلى التمكين:

وقال تعالى في سورة يوسف: ﴿... وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ (١١).

تشير الآية الكريمة إلى أن يوسف عليه السلام، بدأ تمكينه في البيئة الاجتماعية والسياسية بسبب العلم الذي امتلكه والذي كان الناس وحكامهم في حاجة إليه في ذلك الوقت، ألا وهو تأويل الرؤى والأحاديث.

إن العلم بشئون الساعة وبالعلوم الحياتية والحيوية يفتح أبواب التمكين أمام كل متعلم وعالم حتى لو كان منبوذاً.

ويشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مضمون هذه الحقيقة حيث يقول لكميل في خطابه الذي يميز فيه بين العلم والمال: «العلم يحرسك، وأنت تحرس المال»^(١)، فالقدرة والكفاءة العلمية تحرس الإنسان وتوفر له إمكانية الأمن حتى ولو كان في حال اضطهاد وقمع كما كان نبي الله يوسف عليه السلام.

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة

التمكين أمن وعبادة:

قال تعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

تشير الآية الكريمة إلى أن من ثمرات التمكين الأمن بعد الخوف، والقدرة على العبادة الخالصة لله.

التمكين معيشة:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ ، وقال تعالى في سورة القصص: ﴿... أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا... ﴿٥٧﴾﴾.

تشير الآيتين الكريمتين إلى أن الأرض أو المنطقة التي فيها معاش للإنسان هي الأرض التي هو متمكن منها أو متمكن فيها. وهذا أمر بديهي، فالإنسان غير المتمكن يعجز عن توفير لقمة العيش (عجز اقتصادي) ويعجز عن العيش بين الناس بصورة يشعر فيها بالتقدير والاحترام (عجز اجتماعي)، ويعجز عن الدفاع عن نفسه (عجز أمني)، ويعجز عن إصلاح أوضاعه العامة (عجز سياسي)، ويعجز عن المحافظة على ثقته بنفسه (عجز نفسي)، وقس على ذلك، فالمعاش تشير إلى مختلف جوانب الحياة الإنسانية الكريمة.

التمكين يعني الحرية والقيادة:

كما أن التمكين يحرر الإنسان من الطغيان، قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٠﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا

كَأَنَّا يَحذَرُونَ ﴿٦﴾

مدخل رابع: لمحة تاريخية عن التشيع و الشيعة

متى بدأ التشيع؟ ومن الذي أسس له؟

التشيع أو المذهب الشيعي بدأ قبل جميع المذاهب الأخرى، فهو أقدم مذهب إسلامي على الإطلاق، وهو أصحها بل هو المذهب الصحيح^(١) والذي يعبر عن دين التوحيد الذي نزل به الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، أما لماذا نجزم بذلك فلأن الذي أسس التشيع هو رسول الله ﷺ بنفسه، ومنذ السنوات الأولى لنزول الوحي.

فقد تواتر عن النبي ﷺ الأحاديث التي تشير إلى أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو أفضل الناس وأفقه الناس وأقضى الناس وأشجع الناس وأعلم الناس وأحفظ الناس وأورع الناس وغير ذلك من الصفات، فهو عليه السلام جمع مكارم الصفات والأخلاق والمزايا في أعلى وأكمل صورها.

وتواترت الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله - وهي

(١) من الطبيعي أن يعتبر اتباع كل مذهب أن مذهبهم هو الصحيح، فلا يعقل أن يتبع أحد من الناس مذهباً ما ثم يقول بأنه خاطئ، لذا أرجو أن لا يعتبر أحد بأن هذه الكلمة تعبير عن عصبية أو إهانة للآخرين.

بالعشرات في مصادر المخالفين للشيعية - بفوز وفلاح واستقامة وصوابية شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ودعوة النبي صلى الله عليه وآله باتباعه عليه السلام ومساندته والسير على هداه والاسترشاد به في كل شيء، لأنه عليه السلام الممثل الصادق لرسول الله صلى الله عليه وآله في كل شيء والأمين على رسالته ودينه من بعده صلى الله عليه وآله.

ونورد هنا جملة من تلك الأحاديث الشريفة، للإشارة فقط وليس للتفصيل، وهي:

لما نزلت آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ (البينة ٧) قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين».^(١)

وعن أبي سعيد الخدري، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام، فقال: «هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة».^(٢)

وقال عليه السلام: «لا تستخفوا بشيعة علي فإن الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر».^(٣)

وقال عليه السلام: «يا علي بشر شيعتك أنا الشفيع يوم القيامة وقت لا ينفع مال ولا بنون إلا شفاعتي».^(٤)

وعن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم.

قيل: يا رسول الله ومن هم؟

قال عليه السلام: شيعتك يا علي ومحباك».^(٥)

(١) درويش: شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام: عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل

(٢) المصدر السابق: عن ابن عساكر في تاريخ دمشق

(٣) المصدر السابق: عن مودة القري للهمداني

(٤) المصدر السابق: عن ينابيع المودة للقندوزي

(٥) المصدر السابق: عن جواهر العقدين للسمهودي

بينما لم يسم ﷺ أي مذهب آخر ولم يذك أي جهة أخرى غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

أما المصطلحات والمسميات الأخرى فقد ولدت في عهود لاحقة على أيدي أناس كثر فيها الجدل والافتراق، فمثلاً مصطلح أهل السنة لم يرد في احاديث رسول الله ﷺ وإنما ولد على يد معاوية بن أبي سفيان وهو طليق ابن طليق، وكان من أشد أعداء رسول الله ﷺ ودينه الحنيف، ولم يسلم إلا تحت حد السيف في آخر حياة النبي ﷺ، وقد ابتدع هذا المصطلح لتعزيز الموقف الذي أخذه في حربه مع الإمام الحسن بن علي صلوات الله عليه وهو سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله ﷺ، فقام معاوية بابتداع مصطلح «عام الجماعة» أو سنة الجماعة، ثم شددوا السنة فجعلوها سنة وأصبحت «أهل سنة الجماعة» أي أن من يقف معه يقف مع الجماعة والتي رفعوها كشعار واعتبروها سنة يجب الالتزام بها، والمصطلح كان بدون «أل» التعريف وبدون «الواو» ولكن مع مرور السنوات والأعوام أضيفت إليها أل التعريف وحرف الواو في عهد المتوكل العباسي لتجميلها أكثر وإضفاء شرعية أقوى عليها في مقابل شيعة أهل البيت عليهم السلام والذي كان ينصب لهم أشد العداء، فأصبحت «أهل السنة والجماعة».

أما بقية المذاهب الأخرى فكلها تقريباً بدأت في القرن الهجري الثاني، وعلى أيدي أناس لم يروا هم ولا آبائهم ولا أجدادهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع ذلك وضعوا أنفسهم ووضعهم بعض الناس فوق مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين تربوا في كنف رسول الله ﷺ ونزل الوحي في بيوتهم وعرفهم.

تسميات الشيعة: ويطلق الشيعة على أنفسهم عدة أسماء إلى جانب الشيعة، وأشهرها الإثنا عشرية نسبة إلى اتباعهم اثنا عشر إماماً، والإمامية نسبة إلى ذات السبب السابق وقولهم بإمامة أهل بيت رسول الله ﷺ، والجعفرية نسبة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق وهو سادس أئمتهم عليهم السلام والذي انتشر فقه أهل البيت عليهم السلام في عهده.

أما تسميتهم بالروافض فهذه تسمية اخترعها أعدائهم لذمهم والتنقيص

منهم على أساس أنهم يرفضون حكم الخلفاء، والواقع أن الشيعة رفضوا على مدى التاريخ وقاوموا ظلم الخلفاء ولذلك أطلق عليهم من تحالف مع الخلفاء هذه التسمية، وفي أنفسهم فإن الشيعة لا يجدون غضاضة إذا حاول أحد إلصاق هذه التهمة بهم - أي تهمة معارضة الظلم - فهذه خلة يتشرف بها أي إنسان عاقل وطبيعي في هذا العالم.

أهم العقائد الشيعية:

بإيجاز شديد، العقائد الشيعية هي كالتالي:

أصول الدين:

وهي خمسة:

١. التوحيد: ومعناه أن للكون إله واحد، هو الخالق له والرازق والمدير والمميت والمحيي، وهو مالك كل شيء فيه، والقادر على كل شيء والمكوّن لكل شيء. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أول الدين معرفته - أي معرفة الله - وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده»^(١).

٢. العدل: ومعناه أن الله تبارك وتعالى عادل لا يظلم أحدا ولا يفعل ما ينافي

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة - الخطبة الأولى.

الحكمة، فكل خلق أو رزق أو عطاء أو منع صدر عنه هو لمصالح وإن لم نعلم عنها أو لم نكن نعرف وجه الصلاح فيها، فاللزام أن نعتقد أن جميع ذلك على وجه الصلاح والحكمة.

٣. النبوة: الإيمان بنبوة جميع الأنبياء ﷺ وأنهم مبعوثون على الحق من قبل رب العالمين، وأنهم على دين واحد هو الإسلام - وإن اختلفت شرائعهم - وأن أفضلهم وآخرهم وخاتمهم هو رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وأن شريعته ناسخة لشرائع جميع الأنبياء قبله.

٤. الإمامة: إن الله تبارك وتعالى كما عيّن الأنبياء فقد عيّن أوصياء لأنبيائه يكونون أئمة لهداية البشر وللحفاظ على مسيرة الأنبياء ﷺ بعد رحيلهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ (الأنبياء ٧٣) وإن خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه من بعده هم اثنا عشر وصياً، وهم بالترتيب: أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، والإمام الحسن بن علي المجتبي، والإمام الحسين بن علي الشهيد، والإمام علي بن الحسين زين العابدين، والإمام محمد بن علي الباقر، والإمام جعفر بن محمد الصادق، والإمام موسى بن جعفر الكاظم، والإمام علي بن موسى الرضا، والإمام محمد بن علي الجواد، والإمام علي بن محمد الهادي، والإمام الحسن بن علي العسكري، والإمام المهدي الحجة بن الحسن صلوات الله عليهم أجمعين.

٥. المعاد: ومعناه أن الله تبارك وتعالى يحيي الناس بعد موتهم وبعد انقضاء هذه الدنيا ليجزي المحسن بما أحسن في الدنيا والمسيء بما أساء في الدنيا، وأن جزاء الآخرة مخلّد، إن كان في الجنة أو في النار، وأن المساءلة في القبر والحشر يوم القيامة يسبقان الجزاء النهائي.

فروع الدين:

أما فروع الدين لدى الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ، فهي عشرة: الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالاتة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والتبرؤ من أعدائهم.

بلاد الشيعة:

وقد تواجد الشيعة طوال التاريخ في شرق الأرض وغربها، ولكن أهم البقاع التي تواجدوا فيها بكثرة خلال حقبة التاريخ وإلى يومنا هذا، هي: الحجاز وبالأخص المدينة المنورة، والمنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية أو ما كان يعرف تاريخياً بهجر والإحساء والبحرين، وبلاد ما بين النهرين أي العراق والجزيرة، وحلب ولبنان، وإيران وأذربيجان، والهند التاريخية (التي كانت تضم الهند وباكستان وكشمير)، أي أنهم متمركزون في قلب الجغرافيا الإسلامية.

دول الشيعة:

وقد قامت للشيعة الإثنا عشرية خلال التاريخ الإسلامي عشرات الدول في المنطقة الواقعة بين جنوب شرق آسيا والساحل الشرقي لأفريقيا، وأهمها: ^(١)

الدول الشيعية في العراق والشام وجنوب تركيا:

قامت خلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية، أي التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية، وهي:

١. الدولة الحمدانية: ٢٥٤-٣٩٤هـ / ٨٦٨-١٠٠٤م: قامت في الجزيرة (الموصل) وحلب وحمص وقرى الفرات وفي جنوب تركيا.
٢. الدولة المروانية: ٣٧٢-٤٧٧هـ / ٩٨٣-١٠٨٥م: سلالة كردية حكمت في ديار بكر وما حولها في جنوب تركيا.
٣. الدولة النميرية: ٣٨٣-٤٧٣هـ / ٩٩٠-١٠٨١م: قامت في جزء من جنوب تركيا.
٤. الدولة العقيلية: ٣٨٣-٤٨٩هـ / ٩٩٠-١٠٩٦م: قامت في شمال وغرب العراق وفي سوريا وجنوب تركيا.
٥. الدولة المرداسية: ٤١٤-٤٧٢هـ / ١٠٢٤-١٠٧٩م: قامت في لبنان وفي

وسط وغرب سوريا.

الدول الشيعية في البحرين والمنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية:

قامت خلال القرون السابع والثامن والتاسع الهجرية، أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادية.

١. الدولة العصفورية: ٦٥١-٧٢٠هـ / ١٢٥٣-١٣٢٠م: حكمت من سواحل عمان جنوباً إلى الكويت الحالية شمالاً ونجد شرقاً، وكانت عاصمتها الإحساء.

٢. الدولة الجروانية: ٧٠٥-٨٩٥هـ / ١٣٠٥-١٤٨٧م: حكمت جزء من البحرين وكانت عاصمتها القطيف.

الدول الشيعية في إيران وأذربيجان:

قامت بدءاً من الربع الأخير للقرن الثاني الهجري أي مع قرب نهاية القرن الثامن الميلادي:

١. الدولة الجستانية: ١٧٥-٣٦٤هـ / ٧٩١-٩٧٤م: قامت في منطقة الديلم (غيلان حالياً) على السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين.

٢. الدولة العلوية (علويو مازندران): ٢٥٠-٣١٦هـ / ٨٦٤-٩٢٩م: قامت في مازندران (طبرستان) وجزء من غيلان على كامل المنطقة المحاذية للسواحل الجنوبية لبحر قزوين.

٣. الدولة العيسانية: ٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م: قامت على يد سلالة كردية على جزء من كردستان (الإيرانية) وهمدان وكرمان شاهان، بمحاذاة الحدود العراقية.

٤. الدولة الزيارية (الزياريون): ٣١٦-٤٣٤هـ / ٩٢٨-١٠٤٣م: قامت في مازندران (طبرستان وجرجان) على السواحل الجنوبية الشرقية لبحر قزوين.

٥. الدولة البويهية: ٣٢٢-٤٥٤هـ / ٩٣٤-١٠٦٢م: قامت في فارس وجنوب العراق، وقد خلع الخليفة العباسي على أمرائها لقب السلطان.
٦. الإمارة الحسنية: ٣٤٨-٤٠٦هـ / ٩٥٩-١٠١٥م: تأسست على يد سلالة كردية وحكمت غرب إيران وشمال بلاد ما بين النهرين وكانت عاصمتها دينور في كرمان شاه الحالية.
٧. إمارة آل كاويه: ٣٩٩-٤٤٣هـ / ١٠٠٨-١٠٥١م: قامت في أصفهان ويزد على يد سلالة من الديلم.
٨. الدولة الإيلخانية: ٦٥٤-٧٣٦هـ / ١٢٥٦-١٣٣٥م: قامت على يد سلالة مغولية في إيران وغرب باكستان (بلوشستان) وأفغانستان وتركمنستان وأذربيجان وأرمينيا وتركيا وغرب العراق وشمال سوريا.
٩. الإمارة السربدارية: ٧٣٣-٧٨٧هـ / ١٣٣٢-١٣٨٦م: قامت في سمنان وغرب خراسان أي في شرق إيران.
١٠. الدولة الجلائرية: ٧٣٦-٨٣٦هـ / ١٣٣٥-١٤٣٢م: قامت في شمال غرب إيران وشمال شرق العراق على يد سلالة مغولية.
١١. دولة قراقويونلو: ٧٧٧-٨٧٣هـ / ١٣٧٥-١٤٦٨م: سلالة من الأتراك الأويغور حكمت في أذربيجان وأرمينيا وشمال إيران وشمال شرق العراق وشرق تركيا بالإضافة إلى المنطقة التي تدعى الكويت اليوم وجنوبها على شاطئ الخليج.
١٢. الدولة المشعشعية: ٨٤٠-٩٠٩هـ / ١٤٣٦-١٥٠٣م: قامت في منطقة خوزستان كدولة مستقلة بأمورها ثم أصبحت ولاية تابعة للدولة الصفوية التي ضمتها إليها، حتى عام ١١٥٠هـ / ١٧٢٩م.
١٣. الدولة الصفوية: ٩٠٧-١١٥٠هـ / ١٥٠١-١٧٣٦م: قامت في إيران واحتوت في أقصى اتساعها بلوشستان (باكستان) وأفغانستان وجنوب تركمنستان وأذربيجان وأرمينيا وبلاد ما بين النهرين وشمال شرق سوريا (حلب) وجنوب وشرق الأناضول من تركيا.

١٤. الدولة الأفشارية: ١١٥٠-١٢١٢هـ / ١٧٣٦-١٧٩٦م: هي وريثة الدولة الصفوية أسسها نادر شاه، وتوسعت في العشر سنوات من حكمه ثم بدأت في التراجع بعد وفاته.

١٥. الدولة الزندية: ١١٦٤-١٢١٠هـ / ١٧٥٠-١٧٩٤م: قامت في فارس وكانت عاصمتها شيراز.

١٦. الدولة القاجارية: ١٢١٠-١٣٤٥هـ / ١٧٩٤-١٩٢٥م: سلالة تركمانية قامت على أنقاض حكم الدولتين الزندية والأفشارية، وكانت عاصمتها طهران.

١٧. الدولة البهلوية: ١٣٤٥-١٤٠٠هـ / ١٩٢٥-١٩٧٩م: قامت في إيران بعد الانقلاب على آخر ملوك القاجار.

١٨. الجمهورية الإسلامية: ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م: قامت على إثر ثورة شعبية أطاحت بالنظام الملكي البهلوي واستبدلته بنظام شعبي انتخابي إسلامي.

الدولة الشيعية في شرق أفريقيا:

قامت من منتصف القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر الهجري، أي من منتصف القرن العاشر إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي.

١. سلطنة كيلوا: ٣٤٦-٩١٢هـ / ٩٥٧-١٥٠٦م: قامت في منطقة الساحل الأفريقي الشرقي في كينيا وتنزانيا وموزامبيق وجزر القمر.

الدول الشيعية في شبه القارة الهندية:

قامت من منتصف القرن الثامن إلى قرب نهاية القرن الثالث عشر الهجري أي من منتصف القرن الرابع عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

٢. المملكة البهمنية: ٧٤٨-٩٣٣هـ / ١٣٤٧-١٥٢٧م: قامت في وسط وغرب الهند (ولاية مهاراشترا، وغوا، وشمال ولاية كاراتاكا، وأندرا براديش) وكانت عاصمتها غولبارغا ومن ثم بيدار.

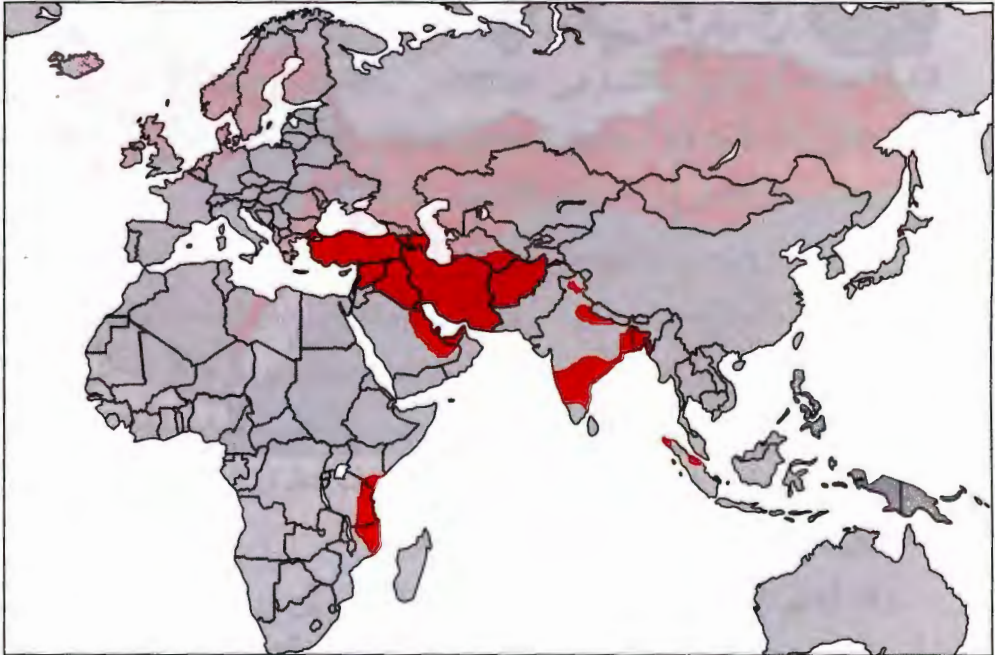
٣. سلطنة جونبور: ٧٩٦-٨٨٤هـ / ١٣٩٤-١٤٧٩م: قامت في شمال الهند في أوتار براديش وعاصمتها جونبور.
٤. سلطنة بيدار: ٨٩٤-١٠٢٨هـ / ١٤٨٩-١٦١٩م: ورثت حكم البهمنيين في بيدار ولكن على مساحة أصغر حول المناطق الحدودية المشتركة للولايات الثلاث مهاراشترا وكارناتاكا وأندرا براديش، وكان مؤسسها قاسم باريد رئيساً لوزراء الملك البهمني الأخير وانتقل الحكم بعد موته إلى السلالة الجديدة.
٥. سلطنة برار: ٨٩٥-٩٧٩هـ / ١٤٩٠-١٥٧٢م: قامت في وسط الهند على الجزء الغربي من ولاية مهاراشترا والجنوبي من ماديا براديش.
٦. سلطنة أحمد ناغر: ٨٩٥-١٠٤٥هـ / ١٤٩٠-١٦٣٦م: قامت في الشمال الشرقي من ولاية مهاراشترا وأجزاء جنوبية من ولاية ماديا براديش.
٧. سلطنة عادل شاهي: ٨٩٥-١٠٩٧هـ / ١٤٩٠-١٦٨٦م: وتعرف بسلطنة بيجابور حيث كانت عاصمتها، وقامت في جنوب مهاراشترا وكارناتاكا وغوا وأندرا براديش وشمال تاميل نادو.
٨. سلطنة قطب شاهي: ٩٢٤-١٠٩٨هـ / ١٥١٨-١٦٨٧م: حكمت ولاية أندرا براديش.
٩. إمارة البنغال ومرشد آباد: ١١٣١-١٣٠٠هـ / ١٧١٧-١٨٨١م: حكمت المنطقة التي تسمى بنغلاديش اليوم بالإضافة إلى غرب البنغال الهندية، وقد توالى على الحكم ثلاث سلالات هي نصيري، وأفشار، ونجفي، والسلالة الأخيرة حكمت الفترة الأطول بدءاً من عام ١٧٥٧م.
١٠. إمارة أودة: ١١٣٦-١٢٧٦هـ / ١٧٢٢-١٨٥٨م: تقع في وسط ولاية أوتار براديش في شمال الهند، وكانت عاصمتها فيض آباد ثم لكنو.
١١. سلطنة تالبور: ١١٩٩-١٢٦١هـ / ١٧٨٣-١٨٤٣م: حكمت منطقة السند والتي هي اليوم جزء من باكستان.

الدول الشيوعية في شرق آسيا:

قامت بضعة دول شيوعية بدءاً من القرن الثالث الهجري حيث نشأت مملكة بيرلاك في شمال سومطرة بإندونيسيا الحالية أي حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي واستمرت حوالي قرنين من الزمان، ولكن لم تتوفر لدينا مصادر أكثر تفصيلاً في هذا الشأن. كما أن الشيعة كانوا متواجدين في مملكة تشامبا في ما يسمى حالياً فيتنام وكمبوديا، ومن هناك أساساً انتقلوا إلى الأرخبيل الإندونيسي - المالاي^(١).

شكل م-١

خارطة توضح المناطق التي قامت عليها دول شيوعية عبر التاريخ الإسلامي



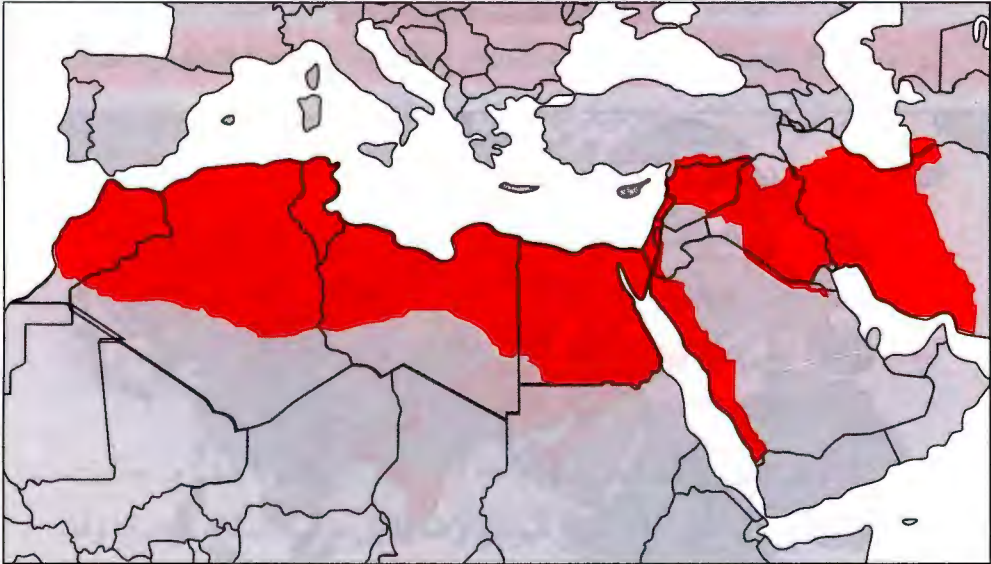
Zulkifli: The Struggle of the Shi'is in Indonesia (١)

العالم الإسلامي تحت حكم الشيعة:

خلال فترة زمنية من التاريخ الإسلامي وقع أغلب العالم الإسلامي تحت حكم الشيعة، ولكن بشقيها الاثنا عشري والإسماعيلي، حيث كان غرب العالم الإسلامي تحت حكم الفاطميين الإسماعيليين، وشرقه تحت حكم البويهيين والحمدانيين الإثنا عشرية وذلك خلال القرن الرابع الهجري.

شكل م-٢

خارطة توضح العالم الإسلامي تحت حكم الشيعة في القرن الرابع الهجري



مدخل خامس: الفرق الإسلامية الأخرى

لا بأس من أخذ طلة سريعة على بقية الفئات التي تكمل مع الشيعة صورة العالم الإسلامي، وهي على صنفين، الأول الفئات أو الفرق التي تنسب إلى الشيعة بوجه أو بآخر، والثانية هي الفئات التي لا علاقة لها بمذهب التشيع، ولكن قبل ذلك لابد من توضيح ما يتعلق بالطائفة العلوية في سوريا وتركيا، والتي سيتم اعتمادها في هذا الكتاب كجزء من الشيعة الإثنا عشرية.

العلويون: وهم على قسمين: علويوا الشام، وعلويوا تركيا، وهم شيعة اثنا عشرية وفقههم هو الفقه الجعفري^(١) ولكن يختلفون مع التيار العام والعريض للإثنا عشرية خصوصاً علويوا تركيا ببعض الممارسات الصوفية والآراء التي اجتهدوا فيها لأسباب أمنية وسياسية على مر الزمان بسبب ضغط الحكومة العثمانية واضطهادها لهم على مدى ستة قرون، وسوف نتطرق إليهم بشيء من التفصيل عند الحديث عن الشيعة في تركيا وسوريا.

وقد أبدى أربعة من علماء الشيعة الأعلام المشهورين في القرن العشرين رأيهم الواضح حول كون العلويون شيعة اثنا عشرية، وهم آية الله المرجع الديني

(١) الخير: عقيدتنا وواقعنا

السيد محسن الحكيم عام ١٩٤٧م^(١)، وآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي عام ١٩٧٢م^(٢) والسيد موسى الصدر عام ١٩٧٣م^(٣) وقائد الثورة الإسلامية في إيران المرجع الديني السيد روح الله الموسوي الخميني في بداية الثمانينيات، وقد أصدر الشيرازي والصدر رأيهما في نصّين مكتوبين^(٤).

وقد شاع عن الطائفة العلوية العديد من الخزعبلات التي وضعها أعداء أهل البيت عليه السلام وشيعتهم، كالقول بأنهم يعبدون ويؤلهون الإمام علي عليه السلام وأنهم لا يؤمنون بالأنبياء ولا بالمعاد والجنة والنار ولا بأن للكون خالقاً وغير ذلك من الأقاويل المتهاففة والتي لا أساس لها وإنما مصدرها الرئيسي هو الأكاذيب المعتادة لابن تيمية^(٥) ضد كل من يتشيع لأهل البيت عليه السلام، وأكاذيب بعض المؤرخين كابن الأثير.

الفرق الشيعية الأخرى:

الزيديون: وهم فرقة منشقة مبكراً عن الشيعة الإمامية في الربع الأول من القرن الثاني الهجري، حيث اتبعوا بعد الإمام الرابع لأهل البيت عليه السلام وهو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ابنه زيد بن علي، ومن هنا جاءت تسميتهم.

قامت للزيدية عدة دول في شمال أفريقيا كالأدارسة وفي جزيرة العرب واليمن كالمملكة المتوكلية، وحالياً فإن ثقلهم السكاني هو في اليمن، وكذلك لهم تواجد في بعض مناطق جنوب عمان.

(١) Kramer: Syria's Alawis and Shiism

(٢) الشريف: المسلمون العلويون

(٣) Kramer: Syria's Alawis and Shiism

(٤) يلاحظ أن كل تلك الفتاوى والآراء صدرت وتوجهت بالدجة الأولى لعلويوا الشام (سوريا ولبنان)، فلا توجد مؤشرات في تلك الفترة على التواصل بين شخصيات ومراجع الشيعة في إيران والعراق وبين الشيعة أو العلويون في تركيا.

(٥) عثمان: هل العلويون شيعة؟

الإسماعيليون: وهم ثاني أكبر فرقة شيعية بعد الإثناعشرية، وقد انشقوا عن التيار العام للشيعية بعد وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في منتصف القرن الهجري الثاني، حيث أنهم اعتبروا أن الإمام بعده هو ابنه إسماعيل، ومن هنا جاءت التسمية.

قامت للإسماعيلية سبع دول في شمال إفريقيا والشام وشرق الجزيرة العربية ووسط إيران وأهمها وأكبرها الدولة الفاطمية، وحالياً هم موزعون كطائفة دينية إسلامية في العديد من المناطق أهمها الهند وباكستان وأفغانستان وكشمير وسوريا وجنوب الجزيرة العربية واليمن وشرق أفريقيا.

كما أن الإسماعيلية أفرزت العديد من الفرق الدينية المنشقة عنها والتي لا زالت متواجدة حتى يومنا هذا كالنزارية والمستعلية والذين تولّد منهم البهرة والدروز، وحتى هذه لها انشقاقات، كالبهرة الداودية والسليمانية والعلوية.

فرق المذاهب الأخرى:

هناك خمسة فئات تتبع مذاهب إسلامية أخرى لا تمت إلى التشيع بل وتختلف معه في أغلب الأمور الفقهية والأصولية، وهم:

- **الإباضيون:** وهم أتباع الفقيه عبدالله بن إباح التميمي والذي توفي مع نهاية القرن الأول الهجري، وقد تأسس مذهبهم مبكراً في عهد الدولة الأموية قبل المذاهب السنية الأربعة واستطاعوا أن يوجدوا لهم دولتين في شمال أفريقيا (الإباضية والرستمية)، وحالياً فإن ثقلهم الرئيسي هو في عمان حيث تتبع الدولة هناك مذهبهم بصورة رسمية، ولهم تواجد في زنجبار وبعض المناطق في شمال أفريقيا كجبل نفوسة في ليبيا ووادي مزاب في الجزائر وجربة في تونس.

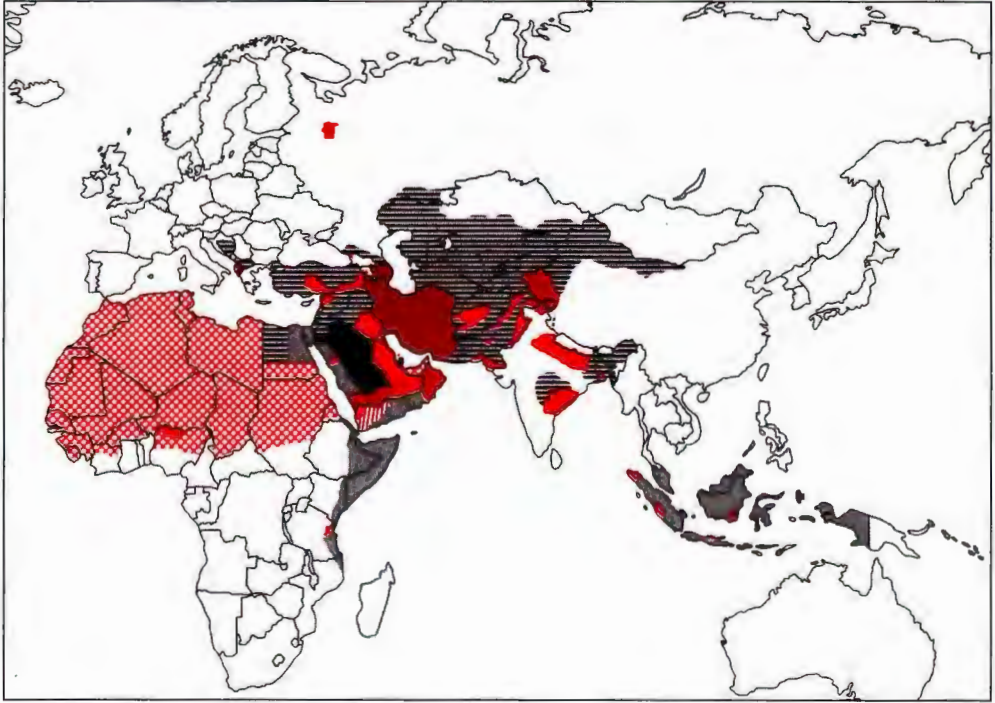
- **الأحناف:** وهم أتباع الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت الذي توفي في منتصف القرن الثاني الهجري، وأتباع المذهب الحنفي يتواجدون بكثرة في دول وسط آسيا وشبه القارة الهندية وتركيا والشام ومصر ويتواجد كذلك منهم في

العراق.

- المالكيون: وهم أتباع الفقيه مالك بن أنس الذي توفي في الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري، وأتباع المذهب المالكي هم أساساً سكان دول شمال أفريقيا وصحرائها الإسلامية، كما يتواجد لمذهبهم بعض الأتباع في بعض دول الخليج كالإمارات العربية المتحدة والكويت.
- الشوافع: وهم أتباع الفقيه محمد بن إدريس الشافعي الذي توفي في بداية القرن الثالث الهجري، وأتباعه منتشرون في دول شرق آسيا وشريط الساحل الشرقي لوسط أفريقيا، ويتواجدون كذلك في اليمن ومصر والعراق.
- الحنابلة: وهم أتباع الفقيه أحمد بن حنبل والذي توفي منتصف القرن الثالث الهجري، وأكثر أتباع هذا المذهب متمركزين في وسط وشمال الجزيرة العربية. وقد قامت على أساس هذا المذهب الحركة الوهابية خلال القرنين الماضيين، ويمثل فكرها المذهب الرسمي للمملكة العربية السعودية، إلى جانب دولة قطر التي تدين بالمذهب الحنبلي.

شكل م-٣

خارطة توضح توزيع المذاهب الإسلامية على أقاليم العالم الإسلامي



- أماكن انتشار المذهب الشيعي
- أماكن انتشار المذهب الحنفي
- أماكن انتشار المذهب الشافعي
- أماكن انتشار المذهب المالكي
- أماكن انتشار المذهب الإباضي
- أماكن انتشار المذهب الإسماعيلي
- أماكن انتشار المذهب الزيدي
- أماكن انتشار المذهب الحنبلي



خاتمة: النهوض الشيعي

أشار العديد من الكتاب والباحثين والسياسيين إلى حالة النهوض الشيعي في العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة، وبالذات بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ومن أوائل من كتب بتوسع في هذا الشأن الباحث الفرنسي فرنسوا تويال في كتابه «الشيعية في العالم: صحوة المستبشرين واستراتيجيتهم» وعبر عن الحالة الشيعية بالانفجار الشيعي ورفع الشيعية لرؤوسهم في كل مكان ليعززوا هويتهم الجماعية ويطالبوا بحقوقهم وينشروا حقيقته.

ولكن لم يصبح الموضوع رائجاً إلا بعد سقوط صدام حسين وتحول نظام الحكم في العراق إلى يد الشيعية وبعد حرب ٢٠٠٦م بين حزب الله والعدو الإسرائيلي، فقد كتب الباحث الأمريكي ولي نصر بتوسع حول «صحوة الشيعية» وتبعه إسحاق نقاش في الكتابة عن الصعود الشيعي و«الوصول إلى الحكم»، وتوالت التصريحات من بعض ملوك ورؤساء العرب^(١) عن الهلال الشيعي الممتد من إيران إلى لبنان عبر العراق وسوريا، وتأرجحت الفكرة بين مؤيد ومعارض ومثبت ومفند^(٢)، والذين أيدوا فكرة الصحوة والصعود الشيعي بنوا

(١) الحسين بن طلال ملك الأردن، والرئيس المصري حسني مبارك.

(٢) Terhalle: Are the Shia rising?

تحليلهم على مجموعة من الوقائع الرئيسية تتضمن تقدم الشيعة في ايران والعراق ولبنان وتلملمهم من اجل تحسين أوضاعهم في مناطق أخرى كالبحرين وباكستان واليمن وغيرها، والذين عارضوها بنوا تحليلهم على أساس صعوبة الفكرة بسبب البيئة السنية الواسعة المحيطة بمناطق ما سمي بالهلال الشيعي^(١)، وعلى أن الدول التي يقع الشيعة تحت حكمها هي في يد أنظمة لا زالت قوية ومتناسكة وأن هذه الدول قد تكون هي من يروج لهذه الفكرة لكي تعبأ السنة ضد الشيعة وتشغلهم في صراعات طائفية تلهيهم عن المطالبة بالديمقراطية ومعالجة مشاكلهم الحقيقية مع تلك الأنظمة المستبدة^(٢).

ولا زالت هذه الفكرة تشغل العديد من قادة الأنظمة السياسية في المنطقة والكتاب ومراكز الأبحاث والدراسات العلمية السياسية، ويبدو بأن المحفز الأساسي وراء ذلك كله هو مظاهر الصعود الشيعي في المنطقة والتي لا يختلف عليها اثنان، والتغيرات الاستراتيجية الداخلية والإقليمية والدولية التي يولدها هذا الصعود، والاختلاف على ما اذا كان هذا صعوداً تكتيكياً مؤقتاً، أم نهضة استراتيجية ذات آثار بعيدة الأمد في الزمن والجغرافيا والفكر والنظام السياسي الإقليمي والعالمي.

Ma'oz: The "Shi'i Crescent" (١)

Haji-Yousefi: Who's agenda is served? (٢)

الفصل الأول

معطيات الوجود الشيعي في العالم

الفصل الأول

معطيات الوجود الشيعي في العالم

التضاريس السكانية للشيعية

الشيعية الإمامية الإثنا عشرية فئة متواجدة في كل قارات الكرة الأرضية على مساحة حوالي ٢١٢ بلداً من بلدان العالم^(١)، سواء على شكل تجمعات سكانية أو أفراد، ويكاد لا يخلو منهم أو من آثار تواجدهم بلد أو مدينة من المدن الرئيسية والعالمية.

ويقارب عدد الشيعة في العالم اليوم ٢٩٠ مليون نسمة بما يتجاوز ١٩٪ من عدد المسلمين في العالم، وهذا يعني بأن مقابل كل مسلم ينتمي إلى مذهب أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين، هناك أربعة مسلمين يتوزعون على بقية المذاهب السبعة التي ترجع إلى أئمة المذاهب التي ولدت في عهد التابعين أي الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والإباضي والزيدي والإسماعيلي.

ويتواجد الشيعة الإثنا عشرية بشكل رئيسي ككتل سكانية أساسية في المنطقة الواقعة بين الهند شرقاً ولبنان غرباً، وتركيا شمالاً واليمن جنوباً، ويمكن أن نسمي هذه المنطقة المشكلة من ١٧ دولة مجازاً بالحوض الشيعي المركزي، وهذه

PEW: Mapping the global Muslim population (١)

الدول هي: الهند وبنغلاديش وباكستان وأفغانستان وإيران وأذربيجان وتركيا والعراق وسوريا ولبنان والسعودية واليمن وعمان والإمارات العربية وقطر والبحرين والكويت.

ويشارك الشيعة في الأنظمة التي تحكم ١٤ دولة من دول هذا الحوض (باستثناء السعودية وقطر والإمارات العربية)، وذلك إما بشكل أكثرية أو أقلية وبصيغ قانونية دستورية وبرلمانية.

ويتواجد الشيعة في هذا الحوض في المناطق التي تحوي أهم البقاع المقدسة لدى المسلمين، وفي أغنى الأراضي بالنفط والموارد الطبيعية في العالم، وفي أكثر البيئات السياسية حساسية، وهم في بعض هذه البلدان متمكنون، وفي بعضها مهمشون، وفي بعضها الثالث مندمجون.

الإحصاء الشيعي:

لم يكن من السهل الوصول إلى إحصاء دقيق للشيعة في العالم، فهم إما «منسيون»^(١) من الحساب والاعتبار، أو تميل الأنظمة التي يعيشون تحت سلطتها إلى التقليل من أعدادهم^(٢)، أو يميلون هم إلى تكثير وجودهم العددي، وفي كثير من الأحيان يتم اعتماد إحصاءات كمية (قائمة على عددهم وليس نسبتهم بين السكان) قديمة مضي عليها عقود وبالتالي يبقى هذا الرقم دون تغيير بالرغم من تضاعف أعداد سكان ذلك البلد خلال السنوات والعقود.

وقد اعتمدنا في إحصاء الشيعة حول العالم على الوسائل والمنهجيات التالية:

١. الإحصاءات الصادرة عن مراكز أبحاث ذات سمعة علمية جيدة، أو التي صدرت عن باحثين أو متخصصين أوضحوا فيها كيفية وصولهم إلى النتائج الإحصائية بصورة علمية.

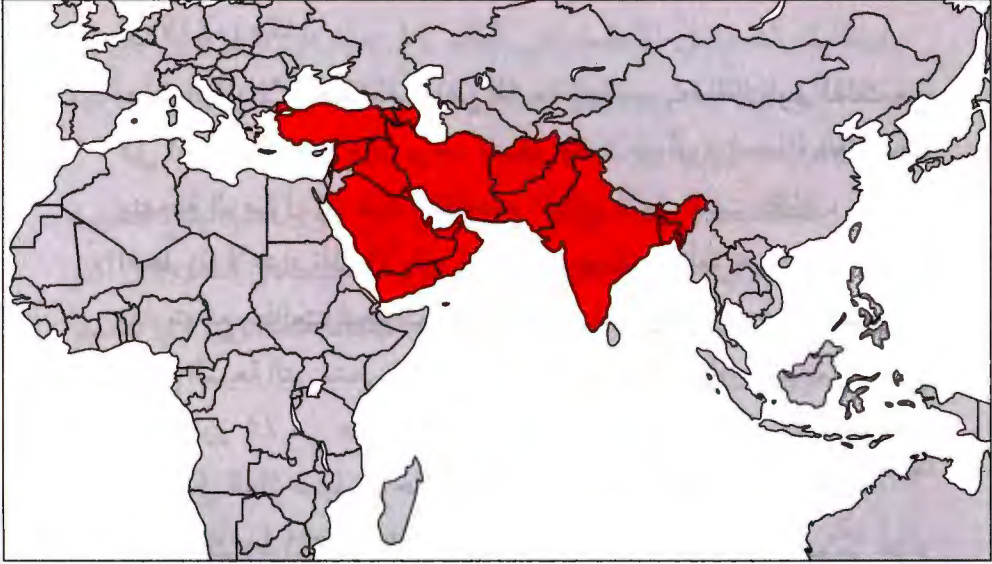
(١) Fuller: The Arab Shia

(٢) تويال: الشيعة في العالم

٢. بعض البلدان لا يوجد فيها إحصاء دقيق وإنما اغلب المصادر تشير إلى حدّين أدنى وأعلى، فتقول مثلاً أن نسبة الشيعة في هذا البلد تتراوح بين ١٦-١٨٪ وبالتالي لتسهيل عملية الحساب فإننا نحدد حجم الشيعة بمتوسط النسبتين أي ١٧٪، وهكذا.
٣. بعض البلاد لا يوجد إحصاء عن الشيعة فيها بسبب قلة التطرق لذلك من قبل الجهات البحثية وإنما يوجد مصدر واحد قد أورد إحصاءً دون تبيان منهجية الوصول إلى ذلك، كالمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ولذلك اضطررنا لاعتماد تلك الأرقام كما هي وبحسب ما نأمل صحته من خلال مقاربته مع مطالعتنا لبحوث أخرى ذات صلة بالموضوع، وعلى العموم فإن حجم الشيعة التي تنتمي إلى بلدان اعتمدت فيها إحصاءات المجمع العالمي لا تتجاوز ٥٪ من عدد الشيعة في العالم، ولذلك فإن تأثيرها على حجم الشيعة في العالم ضئيل في حال كان في تلك الأرقام شيء من عدم الدقة.
٤. كما تم اعتماد آراء بعض الباحثين من ذوي السمعة العالمية بالرغم من عدم تطرقهم لمنهجيتهم الإحصائية، وذلك اعتماداً على سعة عملهم، وافترض انهم لن يتلفوا سمعتهم العلمية من خلال ادعاء إحصاءات ليست ذات أساس علمي واضح لديهم.
٥. اعتمدنا على مصدر واحد في الأخذ بعدد سكان دول العالم وهو موقع وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA والمسمى The World Factbook وذلك لدقته ولتغطيته جميع دول العالم ولاعتماد العديد من الجهات العلمية العالمية عليه.

شكل ١-١

خارطة تبين حدود الحوض الشيعي المركزي



وفيما يلي توصيف موجز وسريع لأوضاع الشيعة الدينية والسياسية والاجتماعية في العالم:

أولاً: الحوض الشيعي المركزي:

إيران: قوة إقليمية عظمى

إيران دولة كبيرة من ناحية الجغرافيا (الدولة ١٨ عالمياً من ناحية المساحة) فمساحتها تتجاوز ١,٦ مليون كم^٢ ولديها حدود مع ثمان دول ولها حدود بحرية على ثلاث بحار بطول يتجاوز ٣١٨٠ كم، وعدد سكانها يقارب ٨٠ مليون نسمة يشكل الشيعة منهم أكثر من ٧٣,٤ مليون نسمة^(١).

(١) بحسب تقرير مؤسسة PEW الأمريكية عن أعداد المسلمين في العالم الصادر في ٢٠٠٩ فإن نسبة الشيعة في إيران مقارنة بحجم المسلمين فيها (٩٩,٤٪) هو ما بين ٩٠-٩٥٪، وبأخذ متوسط الرقمين ومعادلته مع نسبة المسلمين هناك فإن نسبة الشيعة تصبح ٩١,٩٪. راجع: PEW: Mapping the global Muslim population

والشيعة في إيران موجودون منذ بداية عصر الفتوحات الإسلامية الأول، وكانت لهم تجمعات رئيسية في بعض المناطق كمدينة قم والري ونيسابور وخراسان، وكبقية بقاع العالم مر عليها أنظمة حكم متعددة ضمن تحولات في خرائطها الجغرافية، ومن هذه الأنظمة كان بعضها شيعياً، ولكن غلب عليها حكم غير الشيعة إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ومع بداية القرن السادس عشر انتقلت إلى سلطان ومذهب الشيعة تحت حكم الصفويين، واستمرت حكوماتها على مذهب أهل البيت عليه السلام إلى يومنا هذا.

في عام ١٩٧٩م قام نظام حكم عقائدي جديد في إيران هو نظام الجمهورية الإسلامية على إثر ثورة شعبية عارمة أوجدت معادلات جديدة في إيران والمنطقة والعالم كله.

تعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية حالياً من أكبر وأقوى الدول الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، فهي ذات قوة سياسية وعسكرية وموارد اقتصادية ونفوذ ديني يكاد لا ينافسها فيه أحد من دول المنطقة.

إيران تشكل واحد من أكبر عشرين اقتصاد في العالم، وهي بلد غني بالمعادن والمنتجات الزراعية، ولديها صناعات نفطية وبتروكيمياوية ونسجية وغذائية ومعدنية وطبية وعسكرية وصناعة السيارات والاتصالات، وتنتج القمح والحبوب ومختلف أصناف الفواكه والمكسرات والقطن ومنتجات الألبان، وغير ذلك، وهي مصنفة الدولة السابعة عشر عالمياً من ناحية الإنتاج العلمي، أما من الناحية العسكرية فجيئها هو الثامن في العالم من ناحية الحجم (٥٤٥ ألف مجند) والسادس في العالم من ناحية الاحتياط (٨, ١ مليون احتياطي)، ولديها صناعات عسكرية تبدأ من الرصاصة وتنتهي بالطائرات المقاتلة مروراً بمختلف أنواع الصواريخ والمدركات والسفن والغواصات الحربية.^(١)

وهي رابع دولة في العالم من حيث احتياطي النفط حيث يتوافر تحت أراضيها ١٥١ مليار برميل، وثاني دول العالم في الثروة الغازية حيث يتجاوز احتياطها من الغاز ٣٣ تريليون م^٣.

العراق: شيعة العراق من التهميش إلى التمكين

يقع العراق أو بلاد الرافدين في منطقة تعتبر قلب الشرق الأوسط، ومساحته تتجاوز ٤٣٨ كم^٢، وله حدود مع ٦ دول، ويطل بحرياً على شواطئ الخليج، ويتجاوز عدد سكانه ٣١ مليون نسمة منهم أكثر من ٢١ مليون نسمة من الشيعة^(١).

والعراق بلد ثري بالموارد النفطية والمائية والزراعية، وفيه صناعات نفطية وبتروكيمياوية ونسجية وغذائية ومعمارية، وهو ينتج القمح والحبوب والخضروات والقطن والتمور ولديه إنتاج غذائي حيواني على مستوى الماشية والطيور، وهو يعتبر خامس بلد في العالم في الثروة النفطية حيث يبلغ احتياطه النفطي ١٤٣ مليار برميل، ولديه احتياطات من الغاز تجعله في المرتبة ١٣ عالمياً بحجم يتجاوز ٣ تريليون م^٣.^(٢)

الشيعة متواجدون في العراق منذ دخول الإسلام إليه، وكان لهم وجود أساسي على طول التاريخ الإسلامي في الكوفة وبغداد والمدائن والبصرة، وبالرغم من أنهم حكموا أجزاء من العراق في بعض الفترات إلا أن الغالب على حكم العراق كان غير الشيعة.

تحول الشيعة إلى أكثرية سكانية مع نهاية القرن الثامن عشر، حين بدء تشييع العشائر العراقية بصورة كثيفة منذ منتصف القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر، ويعود سبب التحول في العشائر العراقية إلى أسباب سياسية (كهجمات الوهابيين وسياسات العثمانيين تجاه العشائر) واقتصادية (كدور مدينتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف كسوقين مركزيين) وبيئية (كإنشاء قناة الهندية على نهر الفرات) ودينية (كعمليات التبليغ الديني التي قام بها علماء

(١) بحسب تقرير مؤسسة PEW الأمريكية عن أعداد المسلمين في العالم الصادر في ٢٠٠٩ فإن نسبة الشيعة في العراق مقارنة بحجم المسلمين فيها (٩٩٪) هو ما بين ٦٥-٧٠٪، وبأخذ متوسط الرقمين ومعادلته مع نسبة المسلمين هناك فإن نسبة الشيعة تصبح ٦٦,٨٪. راجع: PEW: Mapping the global Muslim population

(٢) CIA: The world factbook

الشيعية) واجتماعية (كالتزاوج والمصاهرة بين رؤساء العشائر والسادة الشيعية من سلالة النبي ﷺ)^(١).

بقي الشيعية في العراق كفة اجتماعية مهمشة ومظلومة بالرغم من تحولهم إلى أكثرية سكانية وذلك بسبب سياسات العثمانيين المناوئة لهم وعداء الإنجليز لهم لكونهم قادوا ثورة العشرين ضدهم، وفيما بعد بسبب سياسات الأحزاب الطائفية المدعومة من قبل الإنجليز والغرب والتي حكمت العراق بلافتات علمانية، وقد بلغ الجور والتهميش عليهم غايته تحت حكم صدام حسين الذي مارس كل أنواع الانتهاكات اللاإنسانية ضدهم، إلى أن تغير الحال مع سقوطه على يد حلفائه السابقين بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، مما فتح الباب أمام شيعة العراق للدخول في الوضع السياسي الجديد والفوز بنسبة من الحكم تمثل حجمهم السكاني الحقيقي في العراق.

لبنان: شيعة لبنان من التهميش إلى قوة إقليمية

يقع لبنان على شواطئ البحر الأبيض المتوسط على مساحة تبلغ ١٠٤٠٠ كم^٢، ويجاوره بلدان هما سوريا وفلسطين، وله حدود بحرية بطول ٢٢٥ كم.

لبنان بلد محكوم بنظام سياسي طائفي موزع بين طوائفه السبعة عشر المعترف بها سياسياً ورسمياً، وهي بصورة عامة تنقسم بين طوائف إسلامية وأخرى مسيحية، والشيعية هم أكبر طائفة لبنانية^(٢) حيث يبلغ عددهم حوالي ١,٧ مليون أي ٤١٪^(٣) من أصل ١٣,٤ مليون لبناني.

(١) نقاش: شيعة العراق

(٢) يشير Hazran إلى أن الشيعة في لبنان تكاثروا من ١٥٤ ألف نسمة تعادل ٦,١٩٪ من حجم سكان لبنان عام ١٩٣٢ إلى ١,٦ مليون نسمة تعادل ٤٠٪ من حجم سكان لبنان عام ٢٠٠٥ اعتماداً على معدل الولادات والذي يمثل فيه الشيعة الأعلى في لبنان، إضافة إلى عوامل أخرى ذكرها كارتفاع معدلات الهجرة لدى الطوائف الأخرى. راجع Hazran: The Shiite community in Lebanon

(٣) حيث إننا نعتبر الطائفة العلوية هي جزء من الشيعة الإثنا عشرية فقد أضفنا نسبة ١٪ التي يمثلونها إلى مجموع نسبة الشيعة.

يعود تواجد الشيعة في لبنان إلى القرن الرابع الهجري وما بعده حين هيمنت الحكومات الشيعية على بلدان العالم الإسلامي آنذاك^(١).

وكعادة السلطات الجائرة على طول الزمان تعرض الشيعة للجور على يد الدول التي حكمت المنطقة وآخرهم العثمانيين، ولكن عندما سيطر الاستعمار الفرنسي على سوريا ولبنان، أراد إقامة نظام تتقاسم فيه الطوائف الحكم في لبنان وذلك من أجل حماية المسيحيين في هذه المنطقة بعد خروجه المباشر منها عام ١٩٤٣، فكان نصيب الشيعة أنهم وقعوا في المرتبة الثالثة آنذاك من ناحية الحجم بحسب تصنيف الفرنسيين أي بعد الموارنة الذين أعطوا رئاسة الجمهورية والسنة الذين أعطوا رئاسة الوزراء فأعطي الشيعة رئاسة البرلمان^(٢).

وكان الشيعة يقبعون في أدنى الهرم الاقتصادي والاجتماعي في لبنان إلى أن جاء السيد موسى الصدر وعمل على استنهاضهم على مدى عشرون عاماً من ١٩٥٩ إلى ١٩٧٨ م، ثم جاءت الحرب الأهلية الطويلة في السبعينات والثمانينات وأقحمتهم في أتونها، ومع الوقت أصبح الشيعة رأس الحربة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، حتى استطاعوا بقيادة الفريقين الأساسيين حزب الله وحركة أمل وبدعم استراتيجي من النظامين الإيراني والسوري هزيمة إسرائيل ودحرها استراتيجياً مرة عام ٢٠٠٠ والأخرى عام ٢٠٠٦ م وتحولوا إلى وجود سياسي وعسكري واجتماعي وثقافي يصعب تجاوزه ليس محلياً فقط بل وحتى إقليمياً.

البحرين: شيعة البحرين من التهميش إلى الثورة

البحرين أرخبيل مكون من ٣٣ جزيرة، أكبرها جزيرة المنامة، وهي بلد صغير تبلغ مساحته الكلية ٧٦٠ كم^٢، وعدد سكانها ١,٠٤ مليون نسمة نسبة الشيعة منهم ٧٥٪^(٣) أي أكثر من ٧٨٠ نسمة.

(١) الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة

(٢) غريب: نحو تاريخ فكري سياسي لشيعة لبنان

(٣) Nasr: When the Shiites rise

الشيعية موجودون في البحرين أي المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية - وجزيرة أوال أي البحرين الحالية - منذ عصر الإسلام الأول، وما يقال عن حروب الردة في البحرين في زمن الخليفة الأول أبو بكر إنما كان عبارة عن مواجهة بين الجيوش التي بعثها لمحاربتهم وبين أهل البحرين الذين رفضوا الإذعان له وأصروا على تسليم أمر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى طول التاريخ كانت البحرين ملاذا آمناً للشخصيات الشيعية التي كانت تفر من جور الخلفاء ليختبئوا ويحتموا فيها.

وبالرغم من وجود ١٧ برلماناً شيعياً من أصل ٤٠ ووجود بعض الوزراء في الحكومة إلا أن ذلك لا يتجاوز الوجود الصوري، فالشيعية في البحرين يتعرضون لقمع شديد ولتمييز واضح حيث أنهم مستثنون من المراكز والأعمال والوظائف السيادية والإدارية والمالية والتعليمية والمهنية والأمنية والإعلامية في البلد، ويتعرضون لعملية تهميش وتقليص وتمييز وتجنيس مضاد منهجي من خلال مشروع ممنهج يتبناه النظام الحاكم^(١) عرف سياسياً باسم مشروع البندر (على اسم الشخص الذي فضح وكشف المشروع الذي كان سريراً).

كل ذلك أدى إلى انفجار ثورة شعبية عارمة، تطالب بإسقاط النظام كلياً واستبداله بنظام جمهوري ودستوري يكون تحت سلطة الشعب، انطلقت مع بداية الربيع العربي أي نهاية ٢٠١٠ وبداية ٢٠١١م، حيث لا زالت مستمرة رغم مرور ما يقارب الثلاث سنوات عليها ورغم القمع والتنكيل الدموي الشديد الذي يتعرض له الشعب على يد النظام وجيشه وقواه الأمنية وبمشاركة جيوش خمس دول أخرى هي جيوش دول مجلس التعاون الخليجي، ومؤازرة سياسية وأمنية من أغلب الإعلام العربي ومؤازرة الأنظمة الغربية بقيادة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي يتواجد أسطولها للخامس في قاعدة الجفير البحرية الأمريكية في البحرين.

(١) مركز الخليج لتنمية الديمقراطية: البحرين - الخيار الديمقراطي وآليات الإقصاء

الجزيرة العربية: الشيعة في السعودية والاحتجاج علم التهميش

الشيعة في شبه الجزيرة العربية موجودون في منطقتين أساسيتين منذ العصر الإسلامي الأول، المنطقة الأولى هي البحرين التاريخية والتي تمتد من منطقة كاظمة في الحدود الجنوبية للعراق إلى الحدود الشمالية لعمان، بعمق داخلي يلامس الحدود الشرقية لهضبة نجد، وهذه المنطقة حالياً تدعى بالمنطقة الشرقية ضمن الدولة السعودية القائمة الآن وربما تصل مساحتها إلى ربع مساحة البلد، وتضم مجموعة من المدن الأساسية أهمها الأحساء والقطيف وسيهات وصفوى والدمام والظهران والخبر، وهي المنطقة البترولية في السعودية وتحوي في باطنها احتياطي نفطي يبلغ ٢٦٤ مليار برميل (الأولى عالمياً)، و٨ تريليون م^٣ من الغاز الطبيعي (الخامسة عالمياً)^(١). وقبل النفط وبعده ما زالت مناطق الشيعة تعتبر من أكبر الواحات الزراعية في السعودية كلها، وهي مناطق غنية بالمياه والعيون الطبيعية ومصدر هائل للثروة السمكية وتجارة اللؤلؤ.

أما المنطقة الثانية فهي المدينة المنورة، وأصول الشيعة فيها تتصل بالأنصار الذين ناصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده مالوا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووقفوا معه في حروبه ضد منائويه.

يبلغ عدد الشيعة في المملكة العربية السعودية حوالي ٤,٧ مليون نسمة أي حوالي ١٧,٥٪^(٢) من عدد السكان البالغ حوالي ٢٧ مليون نسمة^(٣)، وهم مهمشون غاية التهميش، فهم ممنوعون من العمل في السياسة بل وحتى تعلمها في الجامعة، وممنوعون من العمل في الأجهزة الأمنية والعسكرية، وحضورهم في الإعلام الرسمي المطبوع نادر، أما غير المطبوع فلا حضور لهم فيه، وهم مضرب

(١) CIA: The world factbook

(٢) يشير ناصر في دراسته القيمة عن الشيعة في الخليج إلى أن أغلب التقديرات عن نسبة الشيعة في السعودية تتراوح بين ١٥-٢٠٪، وسيراً على منهجنا في الأخذ بوسط المعدل فإننا نعتبر أن نسبة ١٧,٥٪ للشيعة في السعودية نسبة موضوعية ولربما هي الأقرب إلى الواقع. راجع: ناصر: سياسات النظم الحاكمة.

(٣) CIA: The world factbook

المثل عند كل من هب ودب من النخب الرسمية السياسية والدينية والإعلامية والتعليمية في تشبيههم بالكفار وأصحاب البدع وعبدة القبور وغير ذلك.

ومع ذلك فإنهم استطاعوا مع الوقت أن يفرضوا وجودهم كأمر واقع حيث افتتحوا حوزات علمية لهم - رغم أنها ممنوعة رسمياً - وأنشأوا أكثر من تنظيم وحزب سياسي بصورة مستترة وغير رسمية للمطالبة بحقوقهم وشاركوا في الانتخابات البلدية الوحيدة التي حصلت في تاريخ البلد عام ٢٠٠٥م، ونشطوا في المجال الحقوقي والإعلامي التشبيكي، ومارسوا شعائرهم الدينية بأقصى مدى ممكن، وقاوموا الضغوط المستمرة عليهم من السلطة والمؤسسات الوهابية، إلى أن وصل الأمر إلى انفجار الوضع والمواجهة مع النظام على هيئة احتجاجات شبابية واسعة طالت تقريباً كل مناطقهم وتزامنت ولو متأخرة نوعاً ما مع ثورات الربيع العربي، وتأثرت خصوصاً بما جرى في البحرين وتدخل الجيش السعودي فيها لقمع الثورة في ١٤ مارس ٢٠١١م.

الجدير بالذكر أن شيعة المدينة المنورة كانوا قد خرجوا في احتجاجات عامة لبضعة أيام ضد ما كانوا يتعرضون له من إساءات وإذلال خصوصاً عند ممارستهم لشعائرهم الدينية، وكان ذلك قبل الربيع العربي بعامين.

الكويت: شيعة الكويت بين الاندماج الوطني والتمييز المذهبي

الشيعية موجودون في دولة الكويت الحديثة منذ تأسيسها قبل أكثر من قرن ونصف، وهي أساساً قامت في منطقة يسكنها ويحيط بها العشائر والسكان الشيعة، وقد كانوا في يوم من الأيام أكثر من نصف سكان الكويت، ولكن سياسات التجنيس المضاد والتي استمرت لسنوات طويلة من قبل النظام هناك أدت إلى تقليص نسبة الشيعة في الكويت إلى حوالي ٣٠٪^(١) أي حوال ٨١٠ آلاف نسمة (لا زال ١٠٠ ألف شيعي في الكويت يصنفون بأنهم من فئة «البدون» أي من المواطنين الذين لم يمنحوا الجنسية الكويتية بعد)^(٢) من عدد السكان

(١) الدخيل: الطائفية

(٢) CNN: شيعة الكويت

البالغ حوالي ٢,٧ مليون نسمة.

الشيعية في الكويت مندمجون في النظام العام للبلد وهم جزء أساسي منه، وكان لهم نصيب الأسد على المستوى الأهلي في الصمود والمشاركة في الدفاع عن الكويت حين غزيت عسكرياً بقوات صدام حسين عام ١٩٩٠م، وهم مشاركون في الحياة البرلمانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولكن بحدود رسمها النظام السياسي القائم، حيث أنهم ولسنوات كان تمثيلهم في البرلمان دون حد تمثيلهم السكاني بسبب تقسيم الدوائر الانتخابية، ولم تتوازن النسبة إلا في الانتخابات التي جرت نهاية عام ٢٠١٢ حيث حصلوا على ١٧ مقعداً من اصل خمسين مقعد ثم «كفر» النظام عن خطأه وأعاد الانتخابات بعد أقل من عام بصيغة أخرى لتقسيم الدوائر فراجع عددهم إلى ٧ نواب، أما في الجهاز التنفيذي أي الحكومة فلا زالوا يمثلون بوزير أو إثنان فقط في كل حكومة، ولا زالوا مادة غائبة في المناهج التعليمية الدينية، إلا أن وضعهم الإعلامي والثقافي في حال جيد وذلك بسبب منسوب الحرية السياسية والإعلامية المرتفع نسبياً في البلد.

التحدي الحقيقي الذي يواجه الشيعة في الكويت هو الفكر التكفيري على مستوى نخب الفئات والطوائف المخالفة لهم التي تتبنى المنهج الوهابي التكفيري في التعامل مع كل من يختلف معها، ومثلي هذه الفئات موجودون في البرلمان المنتخب، ولهم حضور إعلامي واضح بسبب الدعم المالي النفطي السخي الذي يحصلون عليه من قبل المؤسسات الدينية والأمراء السياسيين المخالفين لمنهج وفكر أهل بيت رسول الله ﷺ ولشيعتهم.

وبرغم ذلك فإن الشيعة في الكويت يمارسون شعائرهم وعقائدهم بصورة واضحة وكاملة على المستوى الأهلي، ويعملون جهدهم لمواجهة تلك الأنشطة المضادة إليهم بجميع الوسائل القانونية والدستورية والثقافية والإنسانية التي تتاح لهم في وطنهم.

اليمن: الشيعة في اليمن يقاومون الحصار

انتشر التشيع الإمامي في شمال اليمن بين الشيعة الزيدية في منتصف التسعينات من القرن العشرين وبالأخص بين عشائر الحوثيين على يد قائدهم بدر الدين الحوثي وأبنائه، ويبلغ عددهم حوالي مليوني نسمة أي ٨٪^(١) من عدد سكان اليمن الذي تجاوز ٢٥ مليون نسمة، وهم موجودون في ٦ محافظات منها صنعاء العاصمة من أصل ٢٠ محافظة يتشكل منها اليمن، وهم مهيمنون بالكامل على محافظة صعدة في أقصى الشمال، ويتنازعون الهيمنة على ٣ محافظات شمالية أخرى هي الجوف وعمران وحجة، كما يتواجدون في محافظة المحويت المجاورة للعاصمة.

تعرض الشيعة في اليمن وعلى رأسهم الحوثيون إلى ضغوط شديدة من قبل النظام الذي حكم اليمن لثلاثة عقود مظلمة بقيادة علي عبدالله صالح، وقد خاضوا ٦ حروب أشعلها النظام للقضاء عليهم، ما بين يونيو ٢٠٠٤ وفبراير ٢٠١٠م، شارك في بعضها الجيش والطيران الحربي السعودي بصورة مكثفة. شارك الشيعة الإمامية في الثورة ضد نظام علي عبدالله صالح في حقبة الربيع العربي وتم عزل الرئيس على أثر ذلك.

ي مارس الشيعة في اليمن معتقداتهم وشعائهم الدينية بحرية أكبر من الماضي، ليس فقط في مناطق تواجدهم الخاصة بهم كصعدة وإنما أيضاً في المناطق الأخرى كالعاصمة صنعاء وما حولها.

غني عن القول أن النظام اليمني يسعى لتهميش الشيعة الإمامية في اليمن سياسياً واقتصادياً وثقافياً وأنهم يقاومون هذا التهميش بما يتاح لهم من وسائل دفاعية وقانونية وسياسية في داخل البلد.

أذربيجان: تحديد الهوية الشيعية

أذربيجان هي واحدة من معاقل الشيعة التاريخية، حيث كان التشيع مستقراً

(١) الدخيل: الطائفية

فيها منذ زمن الأئمة عليهم الصلاة والسلام، ولكن كان لوقوع آذربيجان لقرنين من الزمن تحت الاحتلال الروسي والسوفيياتي بعده أي منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الثمانينات من القرن العشرين أثر كبير في تلبس الشعب لهوية علمانية لا أثر للدين فيها إلا القشور أو ما دون ذلك.

تبلغ نسبة الشيعة في آذربيجان ٧٥٪^(١) أي أكثر من ٧ ملايين نسمة من حجم السكان البالغ حوالي ٩,٦ مليون نسمة، وهم يتكلمون اللغة الآذرية التركية كلغة رسمية.

تبلغ مساحة آذربيجان ٨٦٦٠٠ كم٢، ولها حدود مع خمس دول، وحدود بحرية مع بحر قزوين بطول ٧١٣ كم، وهي الدولة ٢٠ من حيث احتياطي النفط حيث يبلغ ٧ مليار برميل، والدولة ٢٦ من حيث احتياطي الغاز حيث يبلغ حوالي ٨٥٠ مليار م٣^(٢)، وبها صناعات نفطية وبتروكيمياوية وصناعة الصلب والنسيج، وتقوم فيها صناعة رعي الماشية وزراعة التبغ والشاي والفاكهة والخضروات والحبوب والقطن.

هناك رجوع بطيء وتدرجي نحو الهوية الثقافية الدينية لدى المجتمع الآذري، وهو يواجه تحدي الخلاف والتباين السياسي مع الجارة الكبرى إيران بالرغم من وحدة المذهب، وكذلك يتعرض الآذريون على المستوى العقائدي لهجوم مضاد من قبل الفئات الموالية للوهابيون، الذين يحصلون على دعم مالي كبير بالرغم من قلتهم النسبية لمواجهة العقائد الشيعية، ولعل هذا الفعل هو ما يث الروح العكسية في الآذريون ويدفعهم من جديد لاحتضان الهوية الشيعية، حيث أن لكل فعل رد فعل مضاد له في الاتجاه ومساو له في المقدار.

باكستان: الشيعة فيه باكستان - من صراع التأسيس إلى صراع

التهميش

الشيعة موجودون في دولة باكستان الحديثة منذ لحظة تأسيسها، بل أنهم هم

Nasr: When the Shiites rise (١)

CIA: The world factbook (٢)

الذين قادوا عملية تأسيسها، فعائلة جناح بزعامة مؤسس باكستان محمد علي جناح، وعائلة نظام الدين وبوتو وزرداري ورضوي وحسين وإمام وقمر وحياة وميرزا وغيرها هي من العوائل السياسية الشيعية المؤسسة للبلد.

كان الشيعة والسنة في باكستان مندمجون ومنسجمون مع النظام العام للبلد إلى أن جاءت حقبة حكم ضياء الحق الذي جاء إلى الحكم بانقلاب عسكري أعدم على أثره الرئيس الباكستاني آنذاك ذو الفقار علي بوتو، وحكم البلاد بشيئين، سياسة أمنية استبدادية، وعقيدة دينية وهابية، وهو ذو تاريخ دموي فهو الذي وجه الجيش الأردني في مواجهته مع الفلسطينيين عام ١٩٧١ وارتكب مجزرة أيلول الأسود آنذاك حيث كان يقوم بمهمات تدريب للجيش الأردني هناك طوال ٦ سنوات^(١).

الشيعة في باكستان يمثلون ٥, ٢٢٪^(٢) من سكان باكستان أي حوالي ٤٣, ٥ مليون نسمة، وهم يتواجدون بشكل رئيسي في مقاطعات البنجاب والسند وخيبر والعاصمة إسلام آباد وكراتشي، وقد بدأت سياسيات التهميش والإقصاء من المناصب السياسية والعسكرية والأمنية وغيرها في فترة حكم ضياء الحق بين عامي ١٩٧٨ - ١٩٨٨ وبدعم مالي وعقائدي كبير من قبل وهابيي السعودية وحكامها، الشيء الذي أفرز مع الوقت احتقاناً طائفيّاً شديداً في باكستان ونتاج جماعات تكفيرية همها الوحيد في الحياة هو قتل الشيعة رجالاً ونساءً وكباراً وصغاراً والتمثيل بهم وتقطيع أجسادهم من أجل أن يفوزوا بجنة الآخرة وبرضا الله ورسوله - كما يعتقدون.

عموماً استطاع الشيعة فرض أنفسهم من جديد على المؤسسات السياسية والإدارية غير الأمنية كمنصب رئيس الجمهورية ورئاسة الوزراء بالإضافة إلى وجودهم في البرلمان من خلال الدورات الانتخابية، ولا زال العديد من الباكستانيين غير الشيعة لا يرون بأن ما يقع على الشيعة من استهداف وتقتيل

(١) Haqqani: Pakistan

(٢) توبال: الشيعة في العالم

عمل صحيح بأي حال من الأحوال، ولكن كما هو الحال في كل مكان يكون صوت التطرف وأدواته - وإن كان محصوراً في فئة قليلة - هو الأعلى والأبلغ تأثيراً.

أفغانستان: الشيعة فيه أفغانستان و محنة التهميش المستمر

الشيعة متواجدون في أفغانستان^(١) منذ عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتنتمي غالبيتهم إلى قبائل الهزارة، وهم متركزون في وسط أفغانستان، وينتشرون على مدى ١٣ مقاطعة من المقاطعات الأربع وثلاثون التي تشكل منها الدولة.

نسبة الشيعة في أفغانستان ١٩٪^(٢) أي ما يقارب ٦ ملايين نسمة، وقد عانوا طوال تاريخهم من التهميش السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، وتعرضوا إلى الكثير من المذابح الطائفية، خصوصاً بعد وصول التكفيريين المدعومون بالأموال والسياسة والفتاوى الوهابية إلى الحكم في تسعينيات القرن الماضي.

الهند و بنغلاديش وكشمير: الشيعة فيه الهند مندمجون - الشيعة فيه كشمير مهمشون:

الشيعة في الهند مندمجون في النظام العام للبلد، وهم يشكلون حوالي ٨, ٣٪ من عدد السكان أو ٢٨٪ من مجموع المسلمين في الهند أي حوالي ٤٦ مليون نسمة^(٣) من أصل ٢٢, ١ مليار هندي، وهم بذلك ثاني أكبر كتلة سكانية شيعية في العالم بعد الشيعة في إيران، وتاريخهم في الهند عريق وقد أنشأوا في شبه القارة الهندية ٨ دول على مدى القرون الثمانية الماضية في وسط وغرب وشمال الهند،

(١) الفاضلي: الشيعة في أفغانستان

(٢) Nasr: When the Shiite rise

(٣) اعتمدنا على المصدرين المتاحين حول عدد الشيعة في الهند حيث يشير الأول The Times of India إلى أن عددهم حوالي ٤٠ مليون، بينما الثاني Daily News and Analysis إلى ٥٠ مليون نسمة، وبأخذ المتوسط وحساب الزيادة السكانية منذ ٢٠٠٦ يصل العدد إلى ما هو مذكور أعلاه.

وهم متواجدون حالياً في كارغيل ودلهي ومومباي وحيدر آباد ولكنوا أكبر بور وسلطان بور ونوغاوان ونصير آباد وغيرها العديد من المدن والمناطق، وهم يحظون باعتراف رسمي من قبل الدولة فيوم عاشوراء يوم عطلة رسمية في كل الهند ويوم ولادة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو يوم عطلة في الولايات التي فيها غالبية شيعية كبيهار وأوتر براديش، كما يسمح لهم بالانضمام إلى الجيش، ولهم نوابهم وممثلهم السياسيين في البرلمان الوطني، ويمكن أن يشاركوا كأعضاء في الحكومات الهندية، وللشيعية - كما لغيرهم - قانون ومجلس أحوال شخصية خاص بهم، وهم يمارسون شعائهم الدينية بحرية تامة.

الشيعية في بنغلاديش يبدو أنهم أيضاً مندمجون في النظام العام، ويبلغ عددهم حوالي ١٤ مليون نسمة^(١) أي حوالي ٨,٥٪ من عدد السكان، ولديهم أماكنهم الدينية التي يمارسون فيها شعائهم حتى في العاصمة دكا، وقد كانت لهم دولة شيعية في بلاد البنغال خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

الشيعية في كشمير^(٢) أصعب حالاً، فعددهم يبلغ حوالي ٣ مليون نسمة أي حوالي ٣٠٪ من عدد سكان كشمير، وهم موزعون بين القسمين الهندي والباكستاني لكشمير، وغير متواجدين في القسم الصيني منها.

يتواجد الشيعية في كشمير في مناطق غيلغيت وبالتستان (القسم الباكستاني) حيث يشكلون أغلبية مطلقة فيها، وفي سريناغار عاصمة القسم الهندي وبودغام وباراموللا وبانديبور ولاذاك (القسم الهندي).

ويتعايش الشيعية الكشميريون مع الحكم الهندي - مع أنهم منعوا هذا العام على خلاف العادة من إقامة شعائر عاشوراء - ويتخوفون من سياسات حكومة إسلام آباد الطائفية والمجموعات الإرهابية التي ترعاها تحت عنوان تحرير كشمير من النظام الهندي.

(١) تويال: الشيعية في العالم - حيث ذكر بأن عددهم عام ٢٠٠٢ هو ١١ مليون نسمة، ومع احتساب النمو السكاني حتى ٢٠١٣ يصبح عددهم ما هو مذكور أعلاه.

Haider: Shia's of Kashmir (٢)

بصورة عامة فالشيعة في كشمير مندمجون مع النظام الذي يحكم الجزء الهندي منها، ولكنهم مهمشون سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في القسم الباكستاني، وقد تعرضوا تاريخياً لما لا يقل عن ١٠ مذابح كبرى ما بين منتصف القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

تركيا: شيعة تركيا والاندماج المحمي بالعلمانية

يمثل الشيعة في تركيا أكثر من ثلث السكان^(١) حيث تصل عددهم إلى ما يقارب ٣٠ مليون نسمة بنسبة ٨, ٣٦٪ من الكتلة السكانية، وهؤلاء يشكلون من العلويون (حوالي ٤, ٣٢٪)^(٢) والشيعة الإثنا عشرية الأتراك من غير العلويين (حوالي ٤٪) والعلويون العرب (حوالي ٤, ٠٪) ويشكل العلويون الأكراد حوالي ٣٠٪ من أكراد تركيا.

الشيعة مندمجون في نظام الدولة والمجتمع التركي وهم موجودون في البرلمان والمؤسسات السياسية والأحزاب ومؤسسات الدولة باستثناء المناصب العليا في الدولة كالرئاسة ورئاسة الوزراء والمناصب العسكرية والأمنية (مما يشير إلى مكنونات غير مريحة تجاههم)، ويمارسون شعائرهم الدينية بحرية، وفي ٢٠٠٩ تم افتتاح أكبر مجمع ديني وثقافي في أوروبا كلها وهو تابع للطائفة الشيعية ويقع على مساحة ٥٥ ألف متر مربع، ويضم مسجداً كبيراً يتسع لعشرة آلاف مصلٍّ ومركزاً ثقافياً وإذاعة ومحطة تلفزيونية ومطعماً كبيراً ومواقف للسيارات تحت الأرض.

تاريخياً كان الشيعة مضطهدون في الدولة العثمانية بسبب سوء العلاقة مع

(١) يشار أحياناً إلى أن عدد الشيعة يبلغ ٣ إلى ٤ ملايين في تركيا، والمقصود في ذلك الاثنا عشرية من غير العلويين، ولكن حيث أن منهجنا هو في اعتبار العلويين إثنا عشرية فقد أوردنا الجميع تحت عنوان واحد.

(٢) نور الدين: الأقليات الدينية والعرقية في تركيا - يشير نور الدين إلى أن عدد العلويين في تركيا هو ٢٠ مليون وذلك كان في عام ١٩٩٨ حينما كان عدد سكان تركيا حوالي ٦٢ مليون نسمة بحسب إحصاءات منظمة الفاو للغذاء والزراعة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، وبمعادلة النسبة مع النمو السكاني حتى ٢٠١٣ يصبح العدد ما هو مشار إليه أعلاه.

الدولة الصفوية، وحين أتى كمال أتاتورك بفكرة النظام العلماني لتركيا شكل ذلك فرصة للانفتاح بين العلويين وغيرهم في تركيا، ولكن يبدو بأن أحداث الربيع العربي، وخصوصاً تزامن ولاية حكومة ذات توجه ديني عثماني مع أحداث سوريا وثورة البحرين، ضربت ناقوس خطر في أوضاع العلويين المستقرة في تركيا بسبب تورط حكومة حزب العدالة والتنمية ذات الميول الدينية حتى العظم في الشأن السوري ودعمها الصريح والواضح للتدخل والتمرد المسلح ضد النظام هناك وإطلاقها شتى الأوصاف الطائفية عليه فقط لانتفاء رئيسه إلى الطائفة العلوية.

يتواجد الشيعة في تركيا في وسط وغرب وجنوب شرق الأناضول، كما يتواجدون بثقل واضح في إسطنبول اكبر المدن التركية وأهمها اقتصادياً.

سورية: شيعة سورية والاندماج المحمدي سياسياً

ترجع جذور التشيع في بلاد الشام إلى القرن الرابع الهجري مع سيطرة الدولة الحمدانية على حلب، واستمر خلال عهد الدولة الفاطمية التي حكمت مصر وامتدت سيطرتها إلى بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري، بيد أن التشيع أخذ ينحسر منذ تلك الحقبة، بسبب محاربتة من قبل الدولة الأيوبية، والدولة العثمانية لاحقاً.

يبلغ عدد الشيعة في سورية حوالي ٢, ٥ مليون نسمة بنسبة ٢٣٪^(١) من أصل ٢٢, ٥ مليون نسمة هم مجموع سكان البلد، وهم مندمجون كلياً في النظام

(١) إبراهيم: الملل والنحل والأعراق - يشير البحث الموسوعي لمركز ابن خلدون إلى أن عدد العلويين بلاد الشام أي سورية ولبنان هو ٣ ملايين نسمة وحيث أن عددهم في لبنان لا يتجاوز ١٠٠ ألف نسمة فقد احتسبنا عددهم في سوريا على أساس ٩, ٢ مليون نسمة وذلك عام ١٩٩٢ بحسب إشارة الباحث حيث أشار إلى أن هذه الإحصائية تعود إلى أوائل التسعينيات حينما كان عدد سكان سوريا هو ١٣ مليون نسمة (بحسب إحصاء منظمة الفاو العالمية)، وقد ذكر الباحث كيفية وصوله إلى هذه النتائج واعتماده على المصادر الإحصائية الرسمية والموثوقة مع ذكر أهم المصادر التي اعتمد عليها. ومع احتساب نسبة النمو السكاني في البلد بصورة عامة فإن عدد الشيعة يصل إلى ما أشرنا إليه أعلاه، مع ملاحظة أننا أضفنا نسبة ١٪ من الشيعة غير العلويين في سورية بحسب ما ذكره ولي نصر في مقاله Nasr: When the Shiite rise.

السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبلد، ويتواجدون بكثافة في محافظتي اللاذقية وطرطوس والعاصمة دمشق كما يتواجدون في مناطق أخرى متعددة كحلب وحمص وغيرها، وهم كغيرهم من الفئات الاجتماعية والدينية في سوريا يتشاركون في النظام القائم على العلمانية السياسية وبالتالي يمكن القول بأن الشيعة مندمجون ومحميون - كغيرهم من الفئات - بالنظام السياسي القائم، وهم يمارسون شعائرتهم ومعتقداتهم الدينية بدون موانع ولهم مقامات دينية عديدة في بلاد الشام كلها وأكبرها وأشهرها مقام السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، وكذلك مقام السيدة رقية بنت الإمام الحسين بن علي عليه الصلاة والسلام، وكلا المقامين يقعان في دمشق العاصمة وريفها.

عمان: شيعة عمان والاندماج الناجح فيه ظل التسامح الديني

التشيع في عمان موجود منذ قرون طويلة ولكن بصورة محدودة، ويبلغ عدد الشيعة في عمان حوالي ٢٠٧ آلاف نسمة أي حوالي ٦,٦٪ من عدد السكان^(١)، وهم موجودون في مناطق عديدة في البلد بدءاً من العاصمة مسقط إلى مطرح ومسندم والباطنة وصور وغيرها.

شيعة عمان مندمجون بصورة كاملة في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، حيث يشاركون في النظام السياسي من خلال وجودهم كوزراء لبعض الوزارات بالإضافة إلى تسلمهم مناصب دبلوماسية كسفراء في الخارج وكذلك تواجدهم في المجلس التشريعي، وهم في غالبيتهم يمارسون التجارة، ولهم الحرية في ممارسة شعائرتهم الدينية بلا موانع في مراكزهم ومؤسساتهم الدينية الخاصة بهم^(٢).

(١) بحسب تقرير مؤسسة PEW الأمريكية عن أعداد المسلمين في العالم الصادر في ٢٠٠٩ فإن نسبة الشيعة في عمان مقارنة بحجم المسلمين فيها (٧,٨٧٪) هو ما بين ٥-١٠٪، وبأخذ متوسط الرقمين ومعادلته مع نسبة المسلمين هناك فإن نسبة الشيعة تصبح ٦,٦٪. راجع: PEW: Mapping the global Muslim population

(٢) CNN: الشيعة في عمان

قطر: شيعة قطر والاندماج المهدد

يشكل الشيعة في قطر ١٠٪^(١) أي حوالي ٢٠٤ آلاف نسمة من عدد السكان البالغ مليوني نسمة، وهم مندمجون في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويتواجدون في الدوحة العاصمة، وفي مناطق الهلال والنعيجة والمطار والروضة والدفنة، ولهم مساجدهم ومراكزهم الدينية كالحسينيات حيث يقيمون شعائرهم الدينية، كما يوجد لديهم ممثل في مجلس الشورى الذي يعينه الأمير، ولكن لا يذكر بأنهم شاركوا في رئاسة مناصب تنفيذية كوزراء في الحكومة، ووضعهم الاقتصادي لا يختلف عن غيرهم من أهل البلاد^(٢).

بشكل عام كان الشيعة خلال العقود الماضية يعيشون سواسية مع غيرهم من المواطنين، إلا أن التوتر السياسي الذي حصل في السنوات الأخيرة بين محور المقاومة في المنطقة من جهة والمحور الحليف للولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً فيما يتعلق بالمقاومة في لبنان والصراع في سوريا والثورة في البحرين، رفع من مستوى التوتر الديني الطائفي في العديد من دول المنطقة ومنها قطر، حيث أن النظام هناك يتصرف على أساس أنه رأس حربة في الصراع السياسي القائم في المنطقة، إضافة إلى بروز شخصية رجل الدين المصري الأصل يوسف القرضاوي والمقيم في قطر كشخصية مهيجة للعصب الطائفي ضد الشيعة في المنطقة، الشيء الذي قد ينعكس سلباً على شيعة قطر، خصوصاً مع ازدياد النفوذ العقائدي الوهابي في البلد.

الإمارات العربية المتحدة: شيعة الإمارات و الاندماج في مجتمع متنوع

يشكل الشيعة في الإمارات العربية المتحدة ١٦٪^(٣) أي حوالي ٨٧٦ ألف نسمة من عدد السكان البالغ حوالي ٥,٥ مليون نسمة، وهم متواجدون في

(١) الدخيل: الطائفية

(٢) CNN: شيعة قطر

(٣) CIA: The world factbook

أبوظبي ودبي والشارقة، ولهم مساجدهم وحسينياتهم التي يمارسون شعائرتهم الدينية فيها، وهم مندمجون في النظام الوطني ويشغلون غالباً في التجارة، وإن كانوا غير ممثلين بصورة تنفيذية في المناصب السياسية للدولة^(١).

ما ذكرناه عن التوتر السياسي في المنطقة والذي صبغته بعض الأنظمة بصبغة طائفية، والذي قد يؤثر سلباً على أوضاع الشيعة في بعض المناطق كقطر، يمكن أن يسري في دولة الإمارات العربية ولكن بنسبة أقل وحدة أخف، فقد ظهرت بعض البوادر الطائفية من قبل الدولة ولكن في قبال مجموعات شيعية مقيمة من أجل العمل في البلاد كالشيعة اللبنانيين، حيث تعرضوا لحملة تسفير من البلاد وتصفية قسرية لأعمالهم خلال عام ٢٠١٢م.

ثانياً: الشيعة في باقي العالم:

الشيعة في بقية العالم العربي: متهمون رسمياً ومجهولون شعبياً

الشيعة في بقية الدول العربية والتي تقع خارج الحوض المركزي (١٢ دولة) مهمشون غالباً ومحاربون أحياناً ومجهولون عموماً، وغالباً ما يتم تضخيم حالاتهم من حيث حجم تواجدهم للتهويل من حالات التشيع التي تحدث بين الفينة والأخرى كحالات فردية، أو التشنيع بطبيعة عقائدهم والتي توصف في أحيان كثيرة من قبل بعض الطائفيين بالكفر، ويتغافلون عن أن حوالي خمس أو ربع الحجاج من كل عام هم من الشيعة الإمامية والحكومة السعودية الوهابية هي على علم بذلك ولا تتمكن من منعهم لأنهم مسلمون - مع العلم بوجود حكم شرعي لدى جميع المذاهب الإسلامية بحرمة تواجد الكفار في مكة المكرمة والمدينة المنورة - كما يتم تهويل طبيعة وجودهم حيث يضاف عليه طابع المعارضة السياسية من قبل بعض الأنظمة لتبرير عمليات قمعهم وتهميشهم، وكل ذلك

(١) CNN: الشيعة في الإمارات

يحدث لأنهم يتصورون بأن ذلك يخدم أجندة أمريكية وغربية ووهابية تسعى لعزل وتطوير إيران باعتبارها الدولة المحورية الأولى في العالم الشيعي.

وبصورة عامة فإن الشيعة في باقي الدول العربية موجودون بشكل محدود جداً، وقد يكون بينهم العديد من الأجانب، ونسبة وجودهم هي أقل من ١٪ غالباً، ويندر أن تجدهم على هيئة كتل سكانية كبيرة، كما يندر أن تجد احدهم في منصب سيادي سياسي أو عسكري أو أمني مهم خصوصاً إذا اشتهر بالتشيع.

وبحسب المصادر المتاحة فإن عدد الشيعة في الجزائر قد يصل إلى ٩, ١ مليون نسمة أي ٥٪^(١) من عدد السكان، وفي المغرب إلى ٦٥٠ ألف أي ٢٪^(٢) من عدد السكان، وفي مصر ٧٥٠ ألف^(٣) أي أقل من ١٪ من عدد السكان، وفي السودان إلى ٣٠٠ ألف^(٤) أي أقل من ١٪، وفي بقية الدول العربية أقل من ذلك.

الشيعة في روسيا الاتحادية: مندمجون ومقبولون

تشير بعض الآثار الإسلامية إلى أن الشيعة في روسيا موجودون منذ بداية القرن الثاني الهجري، ويبلغ عددهم حالياً حوالي ١, ٢ مليون نسمة أي حوالي ٥, ١٪^(٥) من مجموع السكان، وهم يتواجدون في موسكو وسانت بطرسبرغ وأومسك و تشيلياينسك وسيبيريا وغيرها من المدن الروسية ويارسون عقائدهم وشعائهم الدينية بلا موانع.

الشيعة في روسيا مندمجون في النظام المجتمعي العام، وتنظر لهم السلطات الروسية كنموذج فكري إسلامي معتدل ومسال في مقابل الفكر الوهابي التكفيري الذي ارتكب مجموعة من المجازر في الأراضي الروسية قبل بضعة سنوات تحت دعاوي الجهاد.

(١) المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

(٢) المصدر السابق

(٣) Elad-Altman: The Sunni-Shi'a conversion controversy

(٤) PEW: Mapping the global Muslim population

(٥) المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الشيعية في جمهوريات وسط آسيا: مهمشون ومحاربون

الشيعية في جمهوريات وسط آسيا الخمس^(١) (طاجيكستان وأوزبكستان وكازاخستان وتركمانستان وقرغيزستان) مهمشون ومحاربون، ووجودهم بصورة عامة محدود عددياً، وأكبر كتلة موجودة منهم تبلغ حوالي ٣٩٥ ألف في طاجيكستان أي ٥٪^(٢) من عدد السكان.

يرجع سبب تعرض الشيعة للمضايقات الشديدة في هذه الدول إلى العقيدة الوهابية التي دخلت بقوة مدعومة بالمال السعودي إلى هذه الدول بعد اعتناقها من السلطة السوفياتية حيث أن الوهابية عملياً ترى أن محاربة الشيعة في أي مكان كأصل من أصول الدين، والسبب الآخر هو النفوذ التركي الذي بدأ يتغلغل في هذه الدول وينافسه في ذلك محاولات النفوذ الإيرانية، والذي يجد في إذكاء الصراع الطائفي ضد الشيعة مكسباً سياسياً على الأقل لتركيا السنية مقابل إيران الشيعية.

يجد الشيعة صعوبة كبيرة في هذه الدول في ممارسة عقائدهم الدينية وتشديد مؤسسات ومساجد لهم ولا يتمكنون من ممارسة شعائهم الدينية، بل أن بعض الدول كتركمنستان تمنع قانونياً ذكر كلمة الشيعة، وقد اعتقل أحد الصحفيين فيها عام ٢٠٠٤ لأنه تطرق إلى وجود شخصية شيعية في رواية تعود للقرن السادس عشر في عهد الإمبراطورية المغولية.

وقد تعرضت بعض المساجد الشيعية القليلة الموجودة في هذه البلدان للهدم خلال العقد الأخير، ويهارس العديد من الشيعة التقية في هذه المناطق للحفاظ على أمنهم وسلامتهم.

الشيعية في الصين وشرق آسيا وأستراليا: بين التسامح والتعصب

لم يتحصل لنا مصادر تفصيلية معتمدة عن الشيعة في الصين وأستراليا سوى

Peyrouse: Shiism in Central Asia (١)

CIA: The world factbook (٢)

إحصائية المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام حول نسبة الشيعة في الصين والتي تبلغ ٢٪ أي حوالي ٣,٢ مليون نسمة، ويبدو أن أوضاعهم في هذين البلدين متأثرة بطبيعة الأنظمة السياسية فيها ونسبة انفتاحها على العقائد وتسامحها مع الأديان.

والشيعة بصورة عامة موجودون في أغلب دول شرق آسيا كالفلبين وميانمار ومنغوليا وبروناي وسنغافورة وتايلند وهونغ كونغ وغيرها من المناطق ولكن بأعداد ضئيلة لا تتجاوز الآلاف وفي أحسن الأحوال عشرات الآلاف، وهم يمارسون شعائهم في هذه المناطق منذ القدم وبحسب المقدار المتاح لهم من حرية الممارسة.

ولعل أكبر كتلة سكانية للشيعة موجودة في إندونيسيا حيث يبلغ عددهم ٣,٢ مليون نسمة أي ١٪^(١) من عدد السكان، وتتواجد نسبة ضئيلة منهم كذلك في ماليزيا ولكنهم في هذين البلدين يعانون بعض الاضطهاد بسبب الميول والأموال الوهابية المنتشرة فيهما، والجدير بالذكر أن الشيعة في إندونيسيا يتواجدون في جاكرتا، وباندونغ وبينغكولو.

الشيعة في وسط وجنوب القارة الأفريقية:

الشيعة متواجدون في أغلب دول وسط وجنوب أفريقيا (الدول الأفريقية غير العربية) إن لم يكن كلها، وإن كانت المصادر المعلوماتية عنهم محدودة بسبب قلة أعدادهم في هذه الدول حيث تتراوح أعدادهم غالباً بين عشرات ومئات الآلاف، باستثناء نيجيريا.

وفي بعض هذه الدول يرجع الوجود الشيعي إلى قرون خلت كتزانيا، وفي بعضها إلى عقود فقط، ولكن الشيعة في أغلبها هم فئات مندجعة مع الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول، ويتم التعامل معهم كمواطنين بصورة طبيعية، ولعل الاستثناء الأبرز هو نيجيريا، حيث يشكل الشيعة الكتلة

(١) المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الأكبر لهم في دولة أفريقية، ولكن مع ذلك فهم يعانون من عمليات الإرهاب والاعتداءات الدموية ذات المنبع الوهابي، إلا أنهم مع ذلك يسعون قدر الإمكان لإثبات وجودهم وإقامة شعائرهم وممارسة عقائدهم.

يبلغ عدد الشيعة في نيجيريا حوالي ٤ مليون نسمة أي بنسبة حوالي ٣, ٢٪^(١) من عدد السكان البالغ ١٧٥ مليون نسمة، ويتواجدون أساساً في الولايات الشمالية كسوكوتو وكانو وكادونا التي تعتبر مركز ثقل رئيسي لهم.

أما في الدول الأخرى فيتوزعون كالتالي^(٢): في تنزانيا حوالي ١, ٥ مليون نسمة بنسبة ٣٪ من عدد السكان، وفي غانا حوالي ٤, ١ مليون نسمة بنسبة ٤, ٥٪، وفي بنين حوالي ٢, ١ مليون نسمة بنسبة حوالي ١٢٪، وفي السنغال حوالي ٦٦٥ ألف نسمة بنسبة ٥٪، وفي النيجر حوالي نصف مليون نسمة بنسبة ٣٪ من عدد السكان، وفي بقية الدول أقل من ذلك.

الشيعة في أوروبا:

الشيعة في أوروبا موجودون تقريباً في جميع الدول الأوروبية وهم مندمجون في الحياة العامة والأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي هم فيها، ويعيشون الانفتاح السياسي والديني والاقتصادي والثقافي التي تعيشه عموم فئات المجتمع وطوائفه الدينية، ويتفاوت عدد الشيعة في دول أوروبا، ولكن يبدو بأن أكبر كتلتين سكانييتين لهما هي في ألبانيا وألمانيا حيث يصل عددهم في كلا البلدين إلى ٦٠٠ ألف نسمة، بنسبة ٢٠٪^(٣) من عدد السكان في الحالة الأولى (من الشيعة العلويين)، ولكن أقل من ١٪^(٤) في الحالة الثانية، ويتواجدون في

(١) بحسب تقرير مؤسسة PEW الأمريكية عن أعداد المسلمين في العالم الصادر في ٢٠٠٩ فإن نسبة الشيعة في نيجيريا مقارنة بحجم المسلمين فيها (٤, ٥٠٪) هو أقل من ٥٪ بقليل، وبتخفيض النسبة إلى ٤, ٥٪ ومعادلتها مع نسبة المسلمين هناك فإن نسبة الشيعة تصبح ٣, ٢٪. راجع: PEW: Mapping the global Muslim population

(٢) المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

(٣) المصدر السابق

(٤) تويال: الشيعة في العالم

بقية الدول بأعداد أقل من ذلك.

الشيعية في أمريكا الشمالية:

أقدم توثيق للوجود الشيعي في أمريكا الشمالية يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث قدموا في هجرات من أجل العمل والعيش من بلاد الشام والهند وإيران، ثم تتابع قدومهم مع بدايات القرن العشرين حيث تواجدوا في مناطق مثل ميتشيغان وديترويت.

يبلغ تعداد الشيعة في الولايات المتحدة الأمريكية حالياً حوالي ١,٨ مليون نسمة^(١) أي حوالي ٠,٦٪ من عدد السكان، وفي كندا أقل من ذلك بكثير، وهم بصورة عامة يعيشون في أجواء مفتوحة من الناحية الدينية والشعائرية والعقائدية، وهم مندمجون في المجتمعات التي يتواجدون فيها ولديهم مساجدهم ومراكزهم وحسينياتهم ومؤسساتهم الدينية والثقافية.

يتواجد الشيعة في أغلب الولايات وبالأخص في كاليفورنيا ونيويورك وتكساس وفلوريدا وإلينويس وأوهايو وميتشيغان ونيوجرسي وجورجيا وفيرجينيا وإنديانا وماريلاند.

وفي كندا يتواجدون في أونتاريو وكيبك وكولومبيا البريطانية وألبرتا ومانيتوبا ونوفا سكوتيا ونيوفاوندلاند وغيرها من الولايات الكندية.

الشيعية في أمريكا اللاتينية:

أقدم توثيق للوجود الشيعي في أمريكا اللاتينية^(٢) يعود إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر، حين بدأ المستعمر البريطاني في جلب اليد العاملة من شبه القارة الهندية للعمل في مستعمراته في شمال أمريكا اللاتينية، ومنذ ذلك الوقت وبالرغم من عددهم القليل الذي لا يتجاوز بضع مئات، مارس الشيعة شعائرتهم الدينية وبالأخص المتمثلة في إحياء شعائر عاشوراء وذكرى واقعة كربلاء

Sabir: Census reveals new statistiucs (١)

Thaiss: Muharram rituals (٢)

واستشهاد الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، كوسيلة أساسية للحفاظ على هويتهم الدينية، ولا زالت شعائر عاشوراء تقام سنوياً في ترينيداد وتوباغو وغويانا وجامايكا وغيرها من المناطق التي يتواجد فيها الشيعة، حيث يمارسون شعائرتهم بلا موانع، بل إن بعض هذه المناطق كترينيداد يعتبرون يوم عاشوراء مناسبة وطنية يشارك في إحيائها مختلف أصناف المواطنين.

يتواجد الشيعة في مناطق متعددة ولعل أكبر وجود لهم هو في الأرجنتين حيث يصل عددهم إلى حوالي ٦, ١ مليون نسمة بنسبة ٣,٧٪^(١)، وفي البرازيل حوالي ٩٥٠ ألف نسمة^(٢) بنسبة ٥,٠٪، أما في بقية الأماكن فيبدو أن أعدادهم تتراوح بين المئات والآلاف.

عدد الشيعة في العالم:

يبين الجدول التالي عدد الشيعة في العالم في أهم الدول التي يتواجدون فيها حيث يصل عددهم إلى حوالي ٢٨٤ مليون نسمة، أي إلى حوالي ١, ١٨٪ من عدد المسلمين في العالم البالغ ٥٧, ١ مليار نسمة، وبتقدير أن الشيعة المتناثرون في بقية دول العالم (حوالي ١٧٥ دولة) قد يتجاوزون العشرة ملايين نسمة وهو تقدير قد يبدو متحفظاً، وكل التقديرات والإحصاءات هنا متحفظة، فيمكن القول أن الشيعة قد يصل عددهم إلى ٣٠٠ مليون أي ١, ١٩٪ من عدد المسلمين في العالم بل قد يتجاوز ذلك لو استطعنا التوصل إلى إحصاء دقيق ومنصف لهم في كل مكان يتواجدون فيه.

شيعة الحوض الشيعي المركزي:

يبلغ عدد شيعة الحوض الشيعي المركزي حوالي ٢٥٧ مليون نسمة أي ٨٦٪ من عدد الشيعة في العالم، كما أنهم يمثلون ٢, ٣٢٪ من عدد مسلمي الحوض بمختلف طوائفهم والذين يصل عددهم إلى حوالي ٨٠٠ مليون نسمة.

(١) المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

(٢) المصدر السابق

جدول ١-١

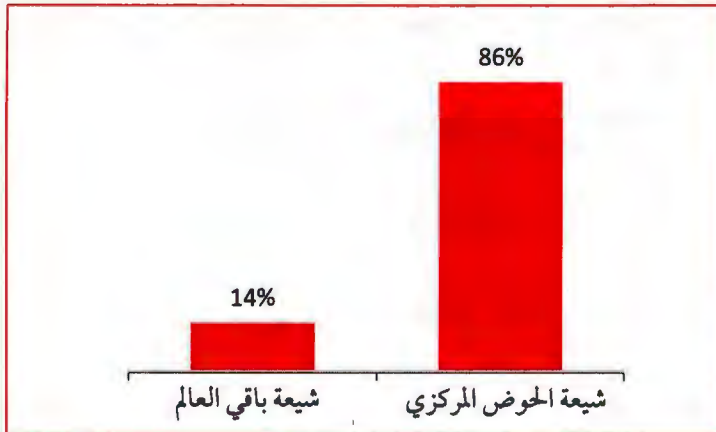
عدد الشيعة في دول العالم

البلد	عدد السكان	نسبة الشيعة	عدد الشيعة
إيران	79,853,900	91.9%	73,421,668
الهند	1,220,800,359	3.8%	45,804,429
باكستان	193,238,868	22.5%	43,478,745
تركيا	80,694,485	36.8%	29,695,570
العراق	31,858,481	66.8%	21,289,430
بنغلاديش	163,654,860	8.5%	13,910,663
آذربيجان	9,590,159	75.0%	7,192,619
أفغانستان	31,108,077	19.0%	5,910,535
سوريا	22,457,336	23.0%	5,165,187
السعودية	26,939,583	17.5%	4,714,427
نيجيريا	174,507,539	2.3%	3,957,831
الصين	1,349,585,838	0.2%	3,239,006
اندونيسيا	251,160,124	0.9%	2,260,441
روسيا	142,500,482	1.5%	2,137,507
اليمن	25,408,288	8.0%	2,032,663
الجزائر	38,087,812	5.0%	1,904,391
الولايات المتحدة	316,668,567	0.6%	1,800,000
لبنان	4,131,583	41.0%	1,693,949
الأرجنتين	42,610,981	2.7%	1,576,606
تنزانيا	48,261,942	3.0%	1,447,858
غانا	25,199,609	5.4%	1,360,779
بنين	9,877,292	11.9%	1,175,398
البحرين	1,281,332	75.0%	960,999
البرازيل	201,009,622	0.5%	944,745
الإمارات العربية	5,473,972	16.0%	875,836

عدد الشيعة	نسبة الشيعة	عدد السكان	البلد
808,595	30.0%	2,695,316	الكويت
750,000	0.9%	85,294,388	مصر
665,021	5.0%	13,300,410	السنغال
646,453	2.0%	32,649,130	المغرب
602,281	20.0%	3,011,405	ألبانيا
600,000	0.7%	81,147,265	ألمانيا
506,980	3.0%	16,899,327	النيجر
395,502	5.0%	7,910,041	طاجيكستان
313,631	0.9%	34,847,910	السودان
207,463	6.6%	3,154,134	عمان
204,244	10.0%	2,042,444	قطر

شكل ٣-١

رسم بياني يبين حجم الشيعة في دول العالم



جدول ٢-١

المساحة الجغرافية التي تمثل الحوض المركزي للشيعية

المساحة	البلد
3,287,263	الهند
2,149,690	السعودية
1,040,195	إيران
796,095	باكستان
783,562	تركيا
652,230	أفغانستان
527,968	اليمن
438,317	العراق
309,500	عمان
185,180	سوريا
143,998	بنغلاديش
86,600	أذربيجان
83,600	الإمارات العربية
17,818	الكويت
11,586	قطر
10,400	لبنان
760	البحرين
11,132,762	مساحة الحوض المركزي

القسم الثاني

قراءات في الوضع الشيعي العام

الفصل الثاني: مسار الإحياء الشيعي

الفصل الثالث: الساحات السبع للوجود الشيعي

الفصل الرابع: التحديات الثلاثة

الفصل الخامس: قراءة في الاستراتيجيات الشيعية للتغيير

الفصل السادس: حالات ونماذج تمكين شيعية





الفصل الثاني

مسار الإحياء الشيعي

الفصل الثاني:

مسار الإحياء الشيعي

هل نحن فعلاً في عصر يمكن أن ينعت بعصر الصحوة الشيعية أو النهوض الشيعي؟ وهل فكرة الصحوة الشيعية حقيقة أم مسألة مبالغ فيها؟ وما هو المسار التي تسير فيه أوضاع الشيعة في العالم؟ وإلى أين ينتهي هذا المسار؟ سوف نبدأ بقراءة استراتيجية لمسار الأوضاع الشيعية في المنطقة والعالم مع بداية أكبر تحول استراتيجي وجذري في أوضاعهم في العقود الأخيرة ونقصد به الثورة الشعبية الإسلامية في إيران وانتصارها عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م.

المرحلة الأولى: ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م: التجديد عبر الثورة

يوجد في تراث المسلمين أحاديث شريفة تشير إلى أن الدين الإسلامي سيتجدد على رأس كل قرن، مثل الحديث الشريف: «يظهر على رأس كل قرن من يجدد أمر هذا الدين».

وقبل الثورة بسنوات انطلقت حركات إسلامية شيعية وغير شيعية هدفها إعادة إحياء أمر الدين في حياة الناس، كحزب الدعوة الإسلامية في العراق في النصف الثاني من الخمسينيات، وحركة الإمام موسى الصدر في لبنان مع نهاية الخمسينيات، وحركة الرسالين الطلائع المعروفة بالحركة الشيرازية في دول الخليج مع نهاية الستينيات، بالإضافة إلى حركات خارج الوسط الشيعي كالإخوان المسلمين في مصر وحزب التحرير في الأردن وغيرها.

ولكن لا يمكن اعتبار هذه الحركات بالتجديدية في أثرها العام على مستوى الأمة، وإن كانت تعتبر بشكل أو بآخر تجديدية في أفكارها وطموحاتها وهمتها. فالحدث التجديدي يجب أن يكون حاضراً في أذهان الناس بحيث يلفت انتباه الجميع، كما يفترض أن يكون له شعاع ضخم من التأثير، بالإضافة إلى تأثيره على جميع فئات الأمة ومستوياتها، أي لا يكون تأثيره على أصحاب مذهب واحد فقط ولا على نخبة الأمة فقط، كما أن آثاره قد تمتد لسنوات طويلة وعقود بعد حصوله، بالإضافة إلى أنه يكون ممهداً للعديد من الأحداث والتغيرات والانقلابات في الأوضاع التي تليه، وبسببه مباشرة أو بسبب آثاره الفكرية والنفسية والسياسية والاستراتيجية وما أشبه ذلك.

ولعل التجديد في القرن الرابع عشر الهجري وقع على يد المصلح الأكبر آنذاك السيد جمال الدين الأسد آبادي الأفغاني، فما ذكرناه حول طبيعة الحركة لتجديدية في الفقرة أعلاه ينطبق عليه بشكل أو بآخر أكثر من حركة أي مصلح غيره في ذلك القرن.

أما أكبر حدث تجديدي للدين الإسلامي وقع مع بداية هذا القرن الخامس عشر الهجري فقد كان قيام وانتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة المرجع الشيعي السيد روح الله الموسوي الخميني، فالثورة كانت حدثاً عالمياً هائلاً أفرز تغييرات عالمية سياسية واقتصادية وثقافية ودينية لا زالت آثارها حية وقوية وفاعلة إلى اليوم بالرغم من مرور ثلاثة عقود ونصف على قيامها.

فعلى المستوى العالمي غيرت الثورة من صورة الإسلام خصوصاً في أعين غير المسلمين، وولدت اهتماماً ثقافياً وسياسياً وفكرياً بهذا الدين وضرورة فهمه، كما أنها ولدت تعاطفاً من جهة وعداءً من جهة أخرى، فالثورة كسرت بقيامها وانتصارها معادلات سياسية واستعمارية كانت قائمة لعقود طويلة في المنطقة، واستطاعت أن تهز هذه المعادلات والعديد من العروش المستندة إليها، حتى خارج العالم الإسلامي، فانتصار الثورة فجر ثقة داخلية ورغبة في نفوس المجتمعات للتغيير والتخلص من الطغاة الذين يحكمونهم كالعبيد، فكانت

انتفاضة الشعب في البحرين عام ١٩٨٠م وانتفاضة الجماهير في المنطقة الشرقية في السعودية في نفس العام، وانطلاقة شرارة الجهاد الأفغاني ضد المحتل السوفياتي في ١٩٨١م وقيام نشطاء إسلاميين مضرين باغتيال السادات، وانطلاقة الحركة الجهادية الإسلامية في لبنان عام ١٩٨٢ تحت مسمى حزب الله، وانتعاش الثورة الساندرستية في نيكاراغوا، والنضال ضد العنصرية في جنوب أفريقيا، والنضال ضد السلطة الملكية البريطانية في شمال إيرلندا، وغير ذلك من المناطق، وبدأت المنظمات والقيادات المستضعفة والثورية والتحررية تتوافد إلى طهران لترى وتتعلم من الذي حصل، ووصل الأمر حتى إلى زيارة وفد من الهنود الحمر من الولايات المتحدة الأمريكية.

إلى جانب ذلك كله فإن الشعارات الاستراتيجية التي أطلقتها الثورة مثل «لا شرقية لا غربية، جمهورية إسلامية» أحدثت انقلاباً في المفاهيم السياسية على المستوى العالمي حيث أبرزت مفهوم الاستقلالية السياسية في أوضح معانيه، وهو الاستقلال عن كلتا القوتين العظميين آنذاك واللتين كانتا تتقاسمان النفوذ في العالم، وكذلك شعار «استقلال حرية، جمهورية إسلامية».

ومن أبرز الصدمات التي ولدتها الثورة في العقل السياسي والثقافي العالمي هو أنها جاءت وانتصرت وفوقها عمامة دينية سوداء، الشيء الذي نسف وبضربة قاضية مقولات فاضية مثل «الدين أفيون الشعوب» وأن الدين هو أداة تطويع الشعوب للظلمة والطغاة، وأن الدين الإسلامي دين يحتضر في واقعه بحيث جاءت الحركات اليسارية واليمينية والعلمانية والإحادية لتحرير الإنسان الذي استعبده المستبدون بمساعدة الدين والمتدينين من وعاظ السلاطين.

كما أن الثورة بصورتها الدينية وقيادتها المرجعية استحضرت التاريخ النضالي والثوري والإصلاحي للدين دفعة واحدة وكأن هذه القيادة قد انبعثت من أعماق التاريخ - كما عبر المراقبون العالميون آنذاك - وجاءت بكل ذلك التراث الحيوي والناصح والحقيقي للدين الذي يهدف أساساً لتحرير الإنسان من أغلال الجهل والظلم والاضطهاد.

وكان من ثمار هذه الثورة هو رجوع الناس إلى الدين والنظر إلى الدين بمنظور إيجابي جديد مختلف عن المنظور السلبي الذي كان شائعاً آنذاك، وهذا لم يحدث على مستوى الشيعة فقط وإنما أيضاً المسلمين من اتباع المذاهب الأخرى، بل وحتى من غير المسلمين كاتباع الديانة المسيحية وغيرها.

بل أن قيام الثورة وانتصارها في مجتمع يدين بمذهب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ويرفع فكرهم عليه السلام شعاراً له ولثورته، حرك حتى أعداء هذا الفكر حيث استشعروا الخطر الكبير الذي يتهدد نظرياتهم العقائدية بسبب انتصار فكر وعقيدة طالما نادوا بضلالها وأشاعوا بطلانها، فكانت استفاقتهم هم أيضاً من أجل محاربة فكر ومذهب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي مقدمة هؤلاء الفرقة الوهابية التكفيرية.

المرحلة الثانية: ١٩٨٠-١٩٩٠م: انتفاضة الشيعة والهجوم المضاد ودوامه الدفاع عن النفس

بعد إنتصار الثورة في إيران مباشرة حدثت في الوضع الشيعي العام التطورات التالية:

- انتفاضة المنطقة الشرقية في السعودية عام ١٩٧٩م: انفجر الوضع في المنطقة الشرقية في ذكرى عاشوراء من شهر محرم ١٤٠١هـ - نوفمبر ١٩٧٩م وخرجت الجماهير هناك في تظاهرات واسعة تطالب بإسقاط النظام السعودي وترفع شعارات الثورة ضده، فأنزل النظام ٢٠ ألفاً من قواته الأمنية والعسكرية حاصرت المناطق المشتعلة وقمعت الانتفاضة، وبقيت تستخدم لغة القوة في مواجهة أية حركة مطلبية للشيعة هناك، بالإضافة إلى تعبئة المؤسسة الدينية الوهابية عقائدياً ضد الشيعة بالفتاوى والتكفير، إلى جانب تقديم بعض المهدئات السياسية والاقتصادية للشيعة كتغيير حاكم المنطقة القاسي بن جلوي إلى شخصية أقل وطأة منه وهو محمد بن فهد.
- الحرب العراقية الإيرانية من ١٩٨٠ - ١٩٨٨: أخافت الثورة الإسلامية في إيران وتداعياتها الكثير من دول العالم التي تدور في الفلك الأمريكي

والسوفيائي لذلك قررت هذه الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تحاصرها، وتم تشييدها بالحريق الذي يجب محاصرته أولاً قبل إطفائه، وبالفعل فقد كانت أفضل خطة لديهم لشغل الثورة بنفسها وحرق مواردها ومحاصرتها سياسياً ومذهبياً وجغرافياً هو إشعال حرب بينها وبين جيرانها العرب والمسلمين، ولم يوجد من يقوم بهذا الدور أفضل من نظام صدام حسين في العراق ولم يكن يتوفر لدعمه أفضل من المال النفطي الخليجي، وهكذا نشبت حرب استمرت ٨ سنوات أكلت الأخضر واليابس في كلا البلدين، وقد علق فيما بعد هنري كيسنجر أحد مفكري السياسة الخارجية الأمريكية بقوله لم يكن هناك حرب لم نكن نريدها أن تتوقف كهذه الحرب، فهي كلما استمرت أهدرت موارد المنطقة كلها وزادت من الشرخ المذهبي والطائفي، وأضعفت كل المتورطين فيها، وأعطت المبررات للتدخل الإمبريالي العالمي، وشكّلت موقعاً للتجارب العسكرية والأسلحة العالمية، وغير ذلك من الآثار السلبية.

من جهة أخرى - وبصورة لم تكن مستهدفة من قبل من أشعلوا الحرب - خلقت تلك الحرب الذرائع والمبررات للمواضيع والتوجهات التي شكّلت أولويات المستقبل بالنسبة للنظام الإسلامي الجديد في إيران، أي أولوية الدفاع والأمن بما يعني ذلك من اهتمام بالصناعات العسكرية وتكنولوجيا الدفاع والأمن، وأولوية الإكتفاء المعيشي والاستقلال الغذائي بما يعني الاهتمام بالزراعة والمنتجات الغذائية، وأولوية التقدم في مجال الخدمات الصحية بسبب النتائج الصحية السلبية التي تفرزها الحروب وكثرة الجرحى والمصابين، وأولوية خلق التحالفات السياسية والاستراتيجية والمحافظة عليها ورعايتها بسبب قلتها أصلاً، وأولوية العمل السياسي بالقوة الناعمة وإتقان توظيفها لعدم التورط في غمار الحروب في المستقبل، وغير ذلك من الأولويات والاستراتيجيات.

- المحاولة الانقلابية في البحرين عام ١٩٨١م : كما في المنطقة الشرقية، انفجر

الوضع في البحرين بعد انتصار الثورة في إيران وبدأت بعض التظاهرات الشعبية التي تعلن تأييدها للثورة ومعارضتها للحكم الاستبدادي، إلا أن الحراك في البحرين أخذ بعداً حركياً أكثر منه جماهيرياً الشيء الذي بلغ ذروته بمحاولة «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين» القيام بانقلاب عسكري مع نهاية العام ١٩٨١م، إلا أن المحاولة فشلت وولدت ردود فعل عنيفة من النظام تمثلت في زيادة القمع الأمني والضغط الاقتصادي والإقصاء السياسي للشيعية عموماً في البحرين.

- الشيعية في الكويت يبدأون المعارضة عام ١٩٨١م: عام ١٩٨١ بدأ أول تحول في أوساط شيعة الكويت، فبعد أن كانوا حلفاء للنظام تحولت كتلة برلمانية شيعية إلى المعارضة خصوصاً فيما يتعلق بدعم الكويت لجهود العراق في حربها ضد إيران، ومع الوقت أخذت بعض المعارضة منحىً عسكرياً وذلك تحت مسمى حزب الله الكويت والقيام بمحاولة تفجير السفارتين الأمريكية والفرنسية في العاصمة في ديسمبر ١٩٨٣، وبلغت الأمور ذروتها عند محاولة اغتيال أمير الكويت بسيارة مفخخة عام ١٩٨٥. هذه التحركات وغيرها قلبت السياسات الرسمية تجاه الشيعة وتم تقليص أعضائهم في البرلمان حتى وصلوا إلى ثلاثة فقط عام ١٩٨٥، وتم تقليص الوجود الشيعي في المؤسسات السياسية والأمنية والعسكرية وغيرها، وبدأت حالات الاحتقان الطائفي في الظهور على المستوى الاجتماعي^(١).

- المقاومة الشيعية في لبنان عام ١٩٨٢م: في لبنان وعلى أثر الغزو الإسرائيلي لجنوبه ومحاصرة المقاومة الفلسطينية هناك وبالتالي إخراجها من لبنان، أسس قسم من الشيعة حزباً عقائدياً برعاية إيرانية مباشرة دينية وسياسية وعسكرية ومالية لتعزيز وضع الشيعة هناك ومقاومة إسرائيل، وهو حزب الله. وقد اصطدم الحزب في سنوات تأسيسه الأولى مع الفصيل الشيعي الآخر الذي سبقه في الولادة والمقاومة وهو حركة أمل، وبقي النزاع بينهما لسنوات على

(١) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

قرار الطائفة في لبنان، إلا أن ذلك لم يحل بين الطرفين وبين القيام بمهامهم الجهادية والنضالية على الساحة اللبنانية، خصوصاً وإن لبنان كان يخوض في ذلك الوقت حرباً أهلية شعواء، الشيء الذي أدى إلى استعداد القوى الكبرى خصوصاً الولايات المتحدة وحلفائها في كل مكان لحزب الله ووصموه بالإرهاب لأنه كان يستهدف أساساً ربيبتهم وصنيعتهم السياسية أي إسرائيل.

وبصورة عامة فقد توترت الأوضاع في المنطقة برمتها في وجه الشيعة بسبب الحرب العراقية الإيرانية والتي صيغت إعلامياً كحرب بين العرب من جهة والفرس المجوس - كما يقولون - من جهة أخرى، وكذلك بسبب تحول الشيعة إلى حركة لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، ومعارضة الشيعة في الخليج لأنظمتهم الاستبدادية المنخرطة في مجلس التعاون الخليجي، وبسبب حصول الوهابية على فرصة لإبراز أنفسهم على مستوى العالم العربي والإسلامي من خلال مناهضة الشيعة والنهوض الشيعي.

المرحلة الثالثة: ١٩٩١-١٩٩٩ م: فرص إعادة الترميم الاستراتيجي

- إيران: إعادة البناء الداخلي، والاندماج السياسي في النظام العالمي: (١) كان موضوع إعادة بناء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وإعادة العلاقات السياسية الدولية من أولويات النظام الإيراني بعد توقف الحرب المرهقة مع العراق، ثم جاء غزو العراق للكويت ليمثل الفرصة السانحة لكي تتموضع إيران من جديد في سياساتها الخارجية وتتوافق مع دول المنطقة والتحالف الدولي على ضفتي العالم الشرقية والغربية في وقوفها إلى جانب الكويت، ولعل هذا كان أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت إيران تنأى بنفسها عن التدخل في دعم ثورة الشيعة في العراق ضد صدام بعد طرده من الكويت، حيث أن الإيرانيين عانوا كثيراً من حربهم مع صدام لثمان سنوات، ولم يكونوا

(١) حمادة: الخبرة الإيرانية

على استعداد لركوب المركب الذي ركبه صدام وهو الخروج من صراع للدخول في آخر، دون أن تكون هناك أية حسابات واضحة أو ضمانات للنجاح، بل وحتى مع ذلك كانت المخاطرة كبيرة جداً بالنسبة لبلد قد خرج لتوه من حرب قاسية ويسعى إلى إعادة بناء أوضاعه الداخلية والخارجية.

- الشيعة في الكويت: مقاومة الاحتلال العراقي عام ١٩٩٠ م: ^(١) كان الاحتلال العراقي للكويت وتصدّر الشيعة في داخل الكويت للمقاومة الفرصة التي فتحت أبوابها لشيعة الكويت لكي يعيدوا تموضعهم السياسي والاستراتيجي ويتحولوا من معارضة النظام في الكويت إلى مدافعين عنه، الشيء الذي أمارت الصورة السلبية التي تشكلت عنهم في عقد الثمانينات، وأرجعهم بسرعة إلى الموضع الذي كانوا فيه قبل عام ١٩٧٩ م، وكان مما ساعد على استقبال الآخرين أي النظام الكويتي والخليجي والإدارة الأمريكية لهذا التحول هو وقوف إيران بصورة رسمية إلى جانب النظام في الكويت ومعارضتها للاحتلال العراقي.

- الشيعة في السعودية: التحول من المنهج الثوري إلى الإصلاح، والمصالحة مع النظام عام ١٩٩١ م: ^(٢) مع نهاية عقد الثمانينات كانت الحرب العراقية الإيرانية قد وصلت إلى ختامها، وبدأ التحول في الخطاب الثوري لشيعة السعودية إلى خطاب إصلاحي، وفي عام ١٩٩٠ حصل الغزو العراقي للكويت فاستقدمت السعودية قوات أمريكية وأجنبية على أراضيها لمواجهة الآلة العسكرية لصدام حسين، فبرزت معارضة سنيّة من أوساط النظام تعارض تواجد القوات الأجنبية والاستعانة بها، إلى جانب وقوف إيران إلى جانب الكويت في رفضها للاحتلال العراقي، كل ذلك أدى إلى توافق الرؤية لدى كلا الطرفين أي الشيعة من جهة والنظام السعودي من جهة أخرى على أفضلية حل الصراع القائم بينهما من خلال المصالحة والتفاوض والحوار،

(١) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

(٢) المصدر السابق

وهذا ما تم إحرازه بعد تحرير الكويت حيث تمت المصالحة بصورة نهائية عام ١٩٩٣م وحدث انفراج نسبي ولكن ملحوظ في وضع الشيعة السياسي حيث تم إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وسمح لجميع المعارضين بالعودة إلى أرض البلاد وممارسة حياتهم الطبيعية من جديد وحصل الشيعة على بعض الحريات الدينية والثقافية، وتخفيف الضغوط الأمنية والعقائدية بصورة عامة عنهم.

- الشيعة في العراق: ثورة عام ١٩٩١م: بعد هزيمة صدام حسين في الكويت واندحاره أمام القوات الدولية خصوصاً وأنه كان للتو قد أنهى ٨ سنوات من الحرب العنيفة مع إيران، ارتأى الشيعة في العراق - ومعهم الأكراد - بأن الوقت قد حان ونضج للثورة على النظام، وهكذا بدأوا هم من جهة والأكراد من جهة أخرى ثورتهم الشعبية فسقطت من يد النظام ١٥ محافظة عراقية من أصل ١٨ محافظة، وكان الشيعة يأملون في أن تقوم الولايات المتحدة ومن ورائها قوات التحالف الدولي بمساندتهم في قضيتهم العادلة، إلا أن أمريكا وبيعاز من النظام الوهابي في السعودية قررت في اللحظة الأخيرة أن تسحب يدها من الموضوع وأن تسمح للعراق باستخدام الطيران السمتي لقمع الثورة والثوار، فتم سحب الغطاء عن الشيعة بينما تم توفيره للأكراد، فكانت النتيجة حصول الأكراد على حكم ذاتي واستقلال عن النظام الصدامي استمر حتى يوم سقوطه، بينما كان نصيب الشيعة الذبح والمجازر والسحق والتدمير على يد صدام ونظامه استمر حتى يوم سقوطه.

- الشيعة في لبنان: المشاركة في إعادة تشكيل النظام والتفرد بتمثيل المقاومة بغطاء سياسي في عام ١٩٩٢م: مع نهاية الحرب الأهلية التي استمرت ١٥ عاماً وانتهت عام ١٩٩٢م كان للشيعة دور أساسي في إعادة تشكيل النظام السياسي اللبناني مع بقية الطوائف اللبنانية من خلال اتفاق الطائف، وأصبح الشيعة بعد هذه الحرب القوة ذات النفوذ في لبنان، وأجمع العديد من المحللين بأن الشيعة كانوا هم المستفيد الوحيد من الحرب الأهلية، حيث أدت إلى

استنهاضهم ونمو قوتهم على مختلف الأصعدة، وإلى جانب ذلك فقد برز عرف سياسي متوافق عليه وهو بقاء السلاح الذي شهرته المقاومة اللبنانية الإسلامية للاحتلال الإسرائيلي في يد أصحابه وأصحاب الأرض المحتلة والذين هم بالأساس شيعة لبنان، وقد استمرت حرب التحرير ضد الإسرائيلي طوال عقد التسعينيات وكان من أبرز محطاتها مواجهات الأيام السبعة في تموز ١٩٩٣م والتي أدت سياسياً إلى تفاهم تموز، ومن بعدها مواجهات نيسان ١٩٩٦ والتي أدت إلى تفاهم نيسان، وكلا التفاهمين تضمنتا إقراراً بأن حزب الله الذي تحول إلى الفصيل الشيعي الأول في لبنان قد بدأ في التحول إلى قوة ذات شأن في الصراع مع إسرائيل ويجب أن يحسب له حساب في ذلك.

- الشيعة في البحرين: الانتفاضة الشعبية في البحرين عام ١٩٩٤م: (١) لم تؤثر التغيرات التي حدثت في المنطقة أي انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وحرب تحرير الكويت والانفتاح على الشيعة في الكويت والسعودية، على سياسات النظام الحاكم في البحرين تجاه الأكثرية من الشعب وهم الشيعة، إلى أن حصل الانفجار الكبير في ديسمبر ١٩٩٤م بعد أن فشل الناس في إقناع النظام بضرورة إصلاح الوضع وذلك من خلال عريضتين تطالبان بالإصلاح الأول وقعها ٣٠٠ شخص من النخب السياسية والاجتماعية والدينية في البلاد وكان بينهم شخصيات من الطائفة السنية، والثانية جماهيرية وقعها نحو ٢٠ ألف مواطن، الشيء الذي تحول إلى انتفاضة جماهيرية استمرت آثارها على الطرفين - الشعب والنظام - حتى نهاية عقد التسعينيات، حيث ازداد القمع والإقصاء والتمييز السياسي والاقتصادي والاجتماعي على المواطنين، بالرغم من الإجراءات الشكلية التي اتخذها النظام كزيادة أعضاء مجلس الشورى المعين إلى ٤٠ عضواً، وزيادة عدد الوزراء الشيعة في الحكومة إلى ٦ وزراء.

(١) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

والملاحظ هنا أن الشيعة في الدول التي يمثلون فيها أقلية ولو كبيرة كالكويت والسعودية ولبنان اختاروا إعادة التوضع بصورة جذرية والتفاهم مع البيئة السياسية التي هم فيها، بينما المناطق التي يمثل الشيعة فيها أكثرية مهمشة كالعراق والبحرين أعادوا تموضعهم بصورة مباشرة أكثر حيث توجهوا لخيار الثورة ومحاولة إسقاط النظام، ولعل هذا يعود إلى عدم إفساح الأنظمة المستبدة التي تحكمهم بممارسات إصلاحية ديمقراطية حقيقية خوفاً من أن تؤدي الديمقراطية إلى حصولهم كأكثرية على مقاليد السلطة والحكم، وهو ما حصل فيما بعد فعلاً في العراق بعد إسقاط صدام حسين حيث أوصل صندوق الاقتراع الشيعة إلى أن يكونوا مشاركين أساسيين في الحكم دونما ثورة أو إراقة دماء.

المرحلة الرابعة: ٢٠٠٠ - ٢٠٠٢م: بداية الحصاد

- لبنان ٢٠٠٠م: الانتصار المدوّي: في ٢٤ مايو ٢٠٠٠م انسحب الإسرائيليون بصورة مفاجئة من لبنان معلنين هزيمتهم المدوية أمام مقاومة حزب الله، وهو أول انسحاب طوعي غير مشروط من قبل الإسرائيليين من أراض عربية محتلة منذ عام ١٩٤٨م، وكان لهذا النصر آثار إيجابية كبيرة سياسياً وإعلامياً ومعنوياً وثقافياً على الشيعة في لبنان وفي المنطقة العربية بشكل عام.
- البحرين ٢٠٠١م: المصالحة بشرط الدسترة: (١) أدى استمرار الاحتقان والتوتر السياسي في البحرين إلى استمرا الأزمات الداخلية على مختلف الأصعدة، لذا كان لابد من مخرج للأوضاع تبادر إليه السلطة باعتبارها من يمتلك أكثر الأوراق الأمنية والسياسية والاقتصادية، ومن جهة أخرى توافقت المعارضة الشيعية وقياداتها في الخارج على القبول بفكرة المشاركة الدستورية في الحكم بين النظام الخليفي والشعب، وبعد مفاوضات ووساطات أطلق النظام مبادرة عام ٢٠٠١م سمّاها بالميثاق الوطني، تعرض حلاً دستورياً ومشاركة شعبية في الحكم، وفي المقابل يتم اطلاق سراح جميع

(١) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

السجناء السياسيين والسماح لجميع المعارضين في الخارج بالعودة إلى البلاد وتسوية عموم أوضاعهم القانونية والسياسية وغيرها.

- أفغانستان ٢٠٠١م: التغيير بالقوة وإعادة تسوية أوضاع الشيعة: في أفغانستان كان لعملية إسقاط حكم طالبان على إثر اعتداءات نيويورك في سبتمبر ٢٠٠١م أثراً إيجابياً على وضع الشيعة هناك، حيث تم إدماجهم من جديد في النظام بصورة دستورية باعتبارهم واحدة من أكبر الأقليات في البلاد.

المرحلة الخامسة: ٢٠٠٣ - ٢٠١٠م: بيئة استراتيجية جديدة

- العراق ٢٠٠٣م: التصحيح الاستراتيجي: (١) في عام ٢٠٠٣م قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق بحجة نشر الديمقراطية ومواجهة الأنظمة الإرهابية، وكانت العلة الحقيقية هي محاصرة إيران من أجل إسقاط النظام القائم فيها، ولم يشارك الشيعة العراقيون في هذه الحرب حيث أن غدر الأمريكيين بهم عام ١٩٩١م والولايات التي جرت عليهم بسبب ذلك لم تنزل حية في النفوس ومائلة للعيان.

بعد سقوط صدام بدأ الأمريكيون بصياغة عملية دستورية في البلاد فكانت الفرصة التاريخية السانحة التي انتظرها الشيعة طويلاً حيث دخلوا بقوة في عملية صياغة الدستور والانتخابات الديمقراطية القائمة على صوت لكل مواطن، وكانت النتيجة المتوقعة وهي فوزهم بأغلبية المقاعد لكونهم أساساً الأغلبية السكانية، فالشيعة في العراق يتجاوز عددهم الطوائف والأعراق والفئات الأخرى كلها مجتمعة، وهذا التغيير أحدث تأثيراً في الجغرافيا السياسية والاستراتيجية في المنطقة برمتها، وانعكس ذلك على الشيعة، وعلى وضع المحاور السياسية والدولية في المنطقة خصوصاً محور الممانعة والمقاومة، وعلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لأهم القوى المؤثرة في الاقليم والتي تتمثل في الولايات المتحدة والنظام الوهابي السعودي من جهة

(١) نصر: صحوة الشيعة

والجمهورية الإسلامية في إيران من جهة أخرى.

- الإختراق الإعلامي عام ٢٠٠٤م: في عام ٢٠٠٤م حصل إختراق شيعي مهم تمثل في إطلاق أول قناة تلفزيونية فضائية عقائدية أي تهتم بعرض وتعريف الفكر الديني الشيعي العقائدي، ومن بعدها كرت السبحة وانتشرت أمثال هذه القنوات حتى بلغت العشرات بل وأكثر لو احتسبنا القنوات الإخبارية والفنية والشعائرية والعلمانية وبمختلف اللغات العالمية بعد العربية كالإنجليزية والإسبانية والفارسية والأوردية وغيرها، وهذا الإختراق الإعلامي العالمي أدى إلى مجموعة من الأمور أولها أن الناس في كل مكان في العالم بدأت تتعرف إلى الشيعة وأوضاعهم وأفكارهم وآرائهم و«اكتشفت» بعد قرون من التضليل والتكفير انهم أناس طبيعيون جداً «ليس لهم ذيل» كما كان يشاع، ولا يمارسون الفواحش في حسينياتهم التي تبث الآن مباشرة على مدار العام والساعة وأنها أماكن عبادة ووعظ وتدين، وأنهم لا يملكون قرآن آخر غير هذا القرآن الذي يدين به كل المسلمون، وأنهم لا يعبدون القبور والأحجار، وووو إلخ... من الخزعبلات والافتراءات التي كان يفترها مخالفهم لمحاربتهم بهذه الطريقة بسبب عجزهم عن مواجهتهم بالمنطق والعقل والاستدلال.

كما أن هذه القنوات وانتشارها بين أن الشيعة هم واقع وحقيقة قائمة لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها أو الإدعاء بأنهم «فرس مجوس» كما يحلو للبعض أن يستخدم هذه الأسطوانة المشروخة، ومن جانب آخر فإن هذا الظهور والانكشاف الإعلامي عزز الثقة بالنفس ورفع منسوب العزة والاعتداد بالذات لدى الشيعة في كل مكان في العالم، حيث أنهم شعروا وظهر لهم بأنهم ليسوا وحيدين ومعزولين في مناطق أو مجتمعات تظلمهم وتهمشهم وتعيّرهم، وإنما هم جزء من فئة كبيرة وقوية ومكافحة وحيوية منتشرة في كل مكان من هذا العالم وأن لهم إنجازات وانتصارات ونجاحات على مختلف الأصعدة وفي شتى الحقول.

- اليمن ٢٠٠٤م: بداية النضال الشيعي: في اليمن بدأت «المسألة الشيعية» تفرض نفسها على الساحة المحلية والإقليمية في هذه المرحلة حيث بدأ النظام الطائفي المدعوم من الوهابية السعودية بقيادة علي عبدالله صالح حربه الأولى ضد الشيعة الحوثيين في يونيو ٢٠٠٤ واستمرت لأربعة أشهر، ثم كرت سبحة الحروب بينهما بمعدل حرب واحدة سنوياً إلى أن انتهت الحرب السادسة والأخيرة في فبراير ٢٠١٠م.

لم يستطع النظام ومن خلفه السعودية بدعمها السياسي والمالي والإعلامي والعسكري أن يهزم الحوثيين أو يكسر شوكتهم أو أن يحاصروهم، بل استطاع الحوثيون أن يمجروا النظام اليمني وحليفه السعودي ويعرّوهما ويبرزوا أمام الملاّ ظلمهما وضعفهما، وبالنسبة لأنظمة مستبدة كاليميني والسعودي تظلم كل الناس وجميع فئات المجتمع من أجل مصالحها الخاصة والمصالح الفردية لأعضاء عوائلها الحاكمة، فإن خطورة مواجهاتهم مع الحوثيين ونتائجها قد تنعكس في صورة تقارب أكثر بين الحوثيين والفئات المهمشة الأخرى كالإسماعيليين بل وحتى الزيدية والشوافع.

- لبنان ٢٠٠٦م: الشيعة في لبنان قوة إقليمية: كان لحرب تموز ٢٠٠٦م بين حزب الله ومعه حركة أمل وخلفه المجتمع الشيعي اللبناني برمته، وبمساندة سياسية داخلية من حلفائه المسيحيين ودعم استراتيجي من قبل سوريا وإيران، نتائج استراتيجية عسكرية وسياسية ونفسية وثقافية هائلة على مستوى المنطقة العربية كلها وعلى مستوى الصراع العربي الإسرائيلي، وأصبح الشيعة في لبنان ومحور الممانعة الذي يشكلون رأس الحربة فيه، رقماً صعباً لا يمكن تجاوزه بسهولة داخلياً أو إقليمياً.

- المدينة المنورة ٢٠١٠م: الاحتجاجات: (١) في ٢٠ فبراير ٢٠٠٩م وقعت مصادمات بين الشيعة في المدينة المنورة وسلطات النظام على أثر تحرش بعض رجال الأمن بالزوار أثناء زيارتهم للبقاع المقدسة في مقبرة البقيع، وقد

استمرت هذه الاحتجاجات والتظاهرات لبضعة أيام وقع فيها بعض الجرحى وتم اعتقال العديد من الأفراد، وأوشكت الأمور أن تتطور وتنتقل إلى مناطق أخرى حيث خرجت بعض التظاهرات في المنطقة الشرقية تساند موقف الشيعة في المدينة المنورة، إلا أن النظام تحرك بسرعة لتفادي تطور الأمور سلباً فالتقى حاكم المدينة المنورة بوجهاء ومثلي الشيعة، ثم التقى بهم الملك السعودي بنفسه، وتم إطلاق سراح جميع المعتقلين.

إن احتجاجات المدينة المنورة أبرزت للعالم بأن الشيعة هم جزء أساسي وأصلي من سكان المدينة المنورة (التي لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يدخلها هي أو مكة المكرمة شخص غير مسلم، مما يعني أن أسطوانة التكفير التي ترفع في وجه الشيعة ما هي إلا أداة يستخدمها المستبدون لتحريك الجبهة من الناس وتعبئتهم ضد من يعارضهم سواء من الشيعة أو غيرهم)، كما أن ما حدث كسر فكرة الخطوط الحمراء التي رسمتها الأوهام والخاوف بشأن إبراز الوجود الشيعي في المدينة المنورة وتصور أن القيام بذلك يؤدي إلى مخاطر القمع والقهر النظامي للشيعة، فالواقع أن الشيعة عندما ارتفع صوتهم وطلبوا بحقوقهم بادرت السلطات بأعلى رموزها أي أمير المنطقة والملك بنفسه إلى ملاقاتهم في وسط الطريق ومعالجة الاحتقان الناتج عن ذلك بدون تأخير.

المرحلة السادسة: بدء من ٢٠١١م: الربيع العربي وشرعية التغيير والإصلاح

- البحرين ٢٠١١م: الثورة الشاملة: بعد مرور ١٠ سنوات على الميثاق الذي وعد النظام الناس من خلاله بمزيد من الحريات والديمقراطية والمشاركة السياسية والعدالة الاجتماعية والرفاه الاقتصادي لم يحصل الناس سوى على مزيد من التهميش والإقصاء السياسي والتمييز الاجتماعي والتجويع الاقتصادي والحرمان من الكرامة والتعليم والعمل، واكتشف الناس بأن النظام قد أطلق مشروعاً ممنهجاً لإقصاء الشيعة وإفقارهم وتجهيلهم بحيث

يتحولون على مرور السنوات إلى فئة من المتسولين المستعبدين والجهلة الخانعين، وكان المشروع يدار من الديوان الملكي بقيادة أحد أقرباء الملك، وعرف هذا المشروع الفضيحة باسم مشروع البندر على اسم الشخص الذي كشف أمره واسمه صلاح البندر^(١).

وحانت لحظة الانفجار مع انفجار الربيع العربي في كل مكان الذي أفرز شرعية لدى جميع شعوب المنطقة للمطالبة بتغيير الأنظمة المستبدة وإصلاح أوضاعها السياسية، فخرج الناس إلى الشوارع في اليوم الذي يصادف الذكرى السنوية العاشرة للميثاق أي في ١٤ فبراير ٢٠١١م مطالبين بتغيير النظام برمته وبخروج آل خليفة من الحكم، إلا أنهم تعرضوا للقمع الشديد ودخلت لأول مرة في التاريخ جيوش ٦ دول إقليمية لتقمع ثورة داخلية لشعب مقهور، ولكن الثورة صمدت واستمرت وزاد شعارها.

ما يهمنا هنا هو أن الثورة في البحرين ولدت حالة من التضامن والتأييد والاهتمام العالمي لدى شيعة العالم كلهم، بحيث عبأت حراكا شيعياً - وقانونيا وسياسياً على مستويات أخرى - عالمياً على مستوى الناس العاديين والنخب والدول والمرجعيات في كل مكان للتضامن مع الشيعة المظلومين في البحرين، وقد كان لعدوانية النظام السعودي الذي قاد الجيوش التي دخلت إلى البلاد ولتجاهل النظام العالمي الغربي فضلاً كبيراً في هذا التداعي والتكافل الشيعي العالمي في قضية البحرين، فالفراغ السياسي الذي ولده غياب المعالجة الدولية للموضوع أفسح المجال أمام الدول والكيانات والمؤسسات الشيعية والإنسانية والحقوقية والقانونية الرسمية والأهلية للتحرك إلى جانب الشعب الثائر في البحرين.

- سوريا ٢٠١١م: إسقاط دمشق لمحاصرة بيروت وطهران: (٢) في سوريا اندلعت تظاهرات شعبية تطالب بإصلاح النظام السياسي هناك، وفي

(١) مركز الخليج لتنمية الديمقراطية: البحرين - الخيار الديمقراطي وآليات الإقصاء

(٢) شلهوب: حماية أسوار دمشق

تطورات دراماتيكية سريعة استجاب النظام لضغط التظاهرات وبدأ في عملية إصلاحية دستورية وسياسية، إلا أن الحلف المناهض للمقاومة في المنطقة أي الحلف العربي الأمريكي لم يعجبه ما حصل وخاف أن تأخذ إصلاحات النظام مجراها وبالتالي تتوقف الأزمة في سوريا، فسارع ذلك التحالف إلى حقن التحرك الشعبي بالأسلحة والمقاتلين من كل مكان وحول التحرك الشعبي السلمي إلى تحرك قتالي دموي، رفع مستوى الأزمة إلى حرب كونية تمد فيها أكثر من مائة دولة بقيادة الولايات المتحدة وتركيا والأنظمة الخليجية معارضي النظام بالسلاح والتغطية الإعلامية والأموال والدعم السياسي والتدريب وعشرات الآلاف من الشباب المقاتل الذين بدأوا ينسلون من كل حذب وصوب من بلاد العالم، وقد تم صبغ الحرب على سوريا من قبل الولايات المتحدة وحلفائها بصيغة طائفية منذ اليوم الأول حيث صاغوا الأمر وكأنه صراع بين الشيعة وغيرهم، ولم يخل عليهم شيوخ الفتنة النفطية كيوسف القرضاوي في قطر وغيره في بلدان أخرى بالفتاوى التي اعتادوا على تقيؤها في هذا الطريق.

- شيعية المنطقة الشرقية ٢٠١١م: انتفاضة المساندة والتغيير: في المنطقة الشرقية وعلى أثر دخول الجيش السعودي وجيوش مجلس التعاون الخليجي إلى البحرين لقمع الثورة في ١٤ مارس ٢٠١١م أي بعد شهر من انطلاقها، انطلقت شرارة الاحتجاجات الجماهيرية الشعبية لمساندة أخوتهم الثوار في البحرين من جهة، وللمطالبة بتغيير النظام السياسي من جهة أخرى، واستمرت الاحتجاجات من حينها وسقط خلال ذلك العديد من الشهداء والجرحى.

ويبدو أن استمرار الاحتجاجات في المنطقة الشرقية أفرز مع الوقت حالة مطلبية في بقية المناطق من السعودية فبدأت احتجاجات معارضة للنظام ومطالبة للحقوق من غير الشيعة بل وفي عقر دار النظام واتباعه الوهابيين كما في القصيم وبريدة وحائل والرياض ومكة المكرمة وعسير وغيرها من

المناطق.

- العراق ٢٠١١م: الخروج الأمريكي من العراق أم من المنطقة؟^(١) في نهاية عام ٢٠١١م كان الخروج الأمريكي المخزي من العراق، والذي كلف الخزينة الأمريكية أكثر من ٣ تريليونات دولار وجفف مواردها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، فقد جاءت أمريكا إلى هذا البلد بحلم تغيير خرائط المنطقة برمتها والسيطرة المباشرة عليها من خلال أكبر سفارة لها في العالم كانت تعتزم إنشاءها في العراق بكادر عمل يبلغ ١٧ ألف موظف! إلا أن حساب الحقل جاء مخالفاً لحساب البيدر، وخرجت أمريكا بجيوشها التي بلغت يوماً ما ١٥٠ ألف جندي على الأرض العراقية، ذليلة ومنكسرة بعد أن تهاوت مشاريعها في المنطقة على تراب الميادين الشيعية أساساً وميادين أخرى ذات صلة بها، كما في طهران وبيروت ودمشق وبغداد وغزة وكابل.

الخلاصة: عصر الشيعة؟

إن سياق الأحداث الذي أشرنا إليه أعلاه يشي بأننا الآن في عصر الشيعة، ولكن ماذا يعني ذلك؟

إنه لا يعني بأن الشيعة انتصروا في كل مكان وتخلصوا من أعدائهم وباتوا في حياة هنيئة وبلا مشاكل.

إنه لا يعني بأن الشيعة أصبحوا بلا نقاط ضعف داخلية وخارجية وأنهم في حالة سياسية وأمنية ومعيشية واجتماعية مستقرة.

إنه لا يعني أننا في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام - كما يتصور وبحسن نية الكثير من الشيعة ذلك.

إنه يعني:

أن أبواب الفرص بدأت تفتح أمام الشيعة لتحسين أوضاعهم وبصورة تدريجية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية وغيرها.

(١) شلهوب: هكذا أدارت إيران معركة الخروج الأمريكي من العراق

إنه يعني بأن الشيعة بدأوا ينجحون ويتفوقون نسبياً في بعض المجالات، وبالتالي فهم بحاجة إلى تحويل تلك النجاحات النسبية إلى نجاحات مستقرة وثابتة.

إنه يعني بأن أعداء ومناوئي الشيعة السياسيين والعقائديين بدأوا في التراجع، ليس بسبب نمو قوة الشيعة المتزايد فقط وإنما بسبب أخطائهم هم أيضاً، وأن الشيعة يجب أن يعززوا مسارهم الصاعد ويستثمروا انحدار أعدائهم المتواصل.

إنه يعني بأن الشيعة كونهم من أبناء هذه المنطقة وسكانها، فإن التغييرات السياسية والفكرية والمجتمعية الحاصلة فيها يجب أن يوظفوها لمصلحتهم، كما يوظفها الآخرون لأنفسهم.

علينا كشيعة أن نمكّن أنفسنا:

يمكننا أن نجعل مما يجري من تغييرات في العالم حولنا بداية عصر التمكّن وتعزيز قدراتنا في كل مكان نتواجد فيه وفي كل حقل من حقول الحياة.

لدينا تجارب ناجحة لتمكين الذات، سواء على مستوى مجتمعي كبير كما هو حاصل الآن في إيران، أو على مستوى فتوي أصغر كما هو حاصل في لبنان، ومن يفكر بصورة استراتيجية يعلم بأن التجارب الناجحة يمكن إعادة إنتاجها أو توظيفها في ساحات وحقول أخرى بشرط تهيئة الأسباب.

فهل نحن ممن يتعامل مع الفرص ببصيرة استراتيجية نافذة، ورؤية بعيدة المدى، وهمة عالية مدعمة بالخطط والأسباب وإدارة صحيحة للموارد؟

الفصل الثالث

الساحات السبع للوجود الشيعي

الفصل الثالث:

الساحات السبع للوجود الشيعي

من الناحية التمكينية، يتواجد الشيعة في العالم في سبعة أصناف من البلدان والأوطان (الساحات)، هي:

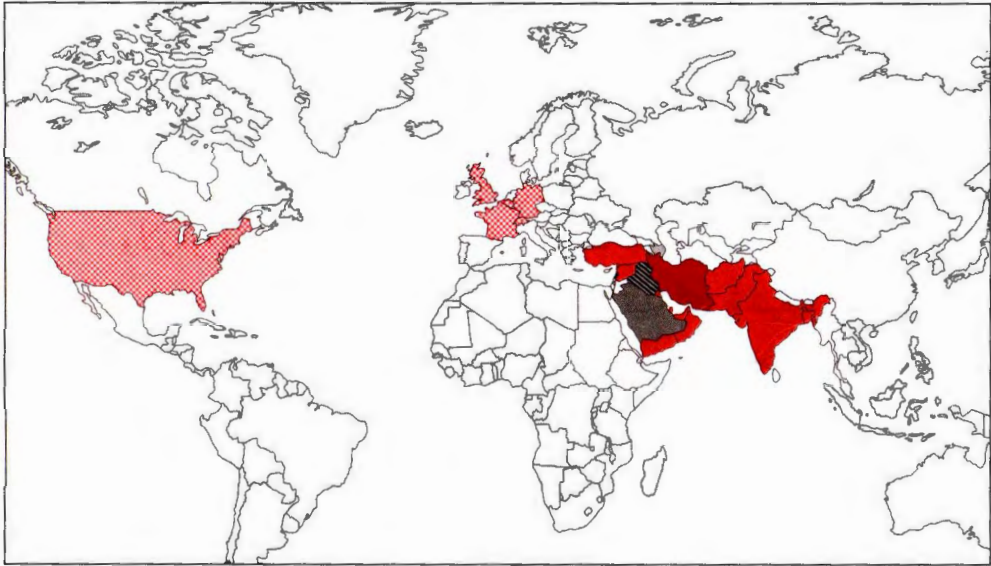
١. ساحات مركزية: وهي الساحات التي تمكّن الشيعة فيها بصورة مطلقة.
٢. ساحات صعود: وهي الساحات التي يعيش فيها الشيعة حالة تمكين عالية، ولازالوا في صلب عملية تمكين جارية ومتصاعدة.
٣. ساحات مغيبة: وهي الساحات التي يتواجد فيها أكثرية شيعية ولكن مع غياب واضح لهويتهم الشيعية عن التأثير في حياتهم الداخلية وسياساتهم الخارجية، أو مع وجود تأثير ضئيل ومحدود.
٤. ساحات محتقنة: وهي الساحات التي يعاني فيها الشيعة من التهميش بسبب كونهم شيعة ويتعرضون للإقصاء والتمييز السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي أو لبعض من ذلك، حتى لو كانوا يشكلون أكثرية المواطنين.
٥. ساحات حاضنة: وهي الساحات التي يعيش فيها الشيعة في حالة انسجام واندماج مع النظام السياسي والاجتماعي القائم، ويجرزون فيها نسبة جيدة من حقوقهم كمواطنين.
٦. ساحات معولة: وهي الساحات التي يغلب عليها طابع العولة والانفتاح السياسي والتسامح الديني وبالتالي يتم التعامل مع الشيعة كأحد مكونات

المجتمع لهم ما للآخرين وعليهم ما على الآخرين.

٧. ساحات المأوى: وهي الساحات التي يتواجد فيها الشيعة كمكان معيشتهم ومأواهم، سواء كانوا من المواطنين أم من المقيمين.

الساحات الخمس الأولى تقع كلها في الحوض الشيعي المركزي، بينما الساحة السادسة هي عبارة عن مجموعة البلدان الغربية الكبرى، والسابعة هي عبارة عن بقية دول العالم.

وهناك مؤشرات أساسية في واقع الشيعة تدل على ما اذا كان الشيعة متمكنون في مكان ما أم مندمجون أم مهمشون أم غير ذلك، والتي قد تختلف نسبة وضوحها وتأثيرها من ساحة إلى أخرى.



- ساحات مركزية
- ساحات صعود
- ساحات مغية
- ساحات محتقنة
- ساحات حاضنة
- ساحات معولة
- ساحات المأوى

ساحة متمكنة: إيران

الشيعية في إيران هم أكثر الناس تمكناً واستقراراً ككيان سياسي شيعي، فهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم ويطبقون على أنفسهم الأحكام والقيم والمفاهيم الدينية والثقافية والاجتماعية التي يؤمنون بها وفق مذهبهم الإسلامي، ولديهم كل الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية والعقائدية في كل وقت ومكان، ولا يوجد من يكفرهم أو يعيب عليهم بشيء من ذلك.

وهذا الأمر ينطبق على الجانب السياسي والاقتصادي، فلا يوجد تمييز ضدهم في الممارسة أو التعيينات السياسية والاقتصادية والمعيشية بسبب انتماهم للتشيع واعتقادهم به، وكذلك على المستوى الأمني والاجتماعي فاتباعهم لمذهب أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين لا يؤدي بهم إلى الملاحقة الأمنية والتعرض للاعتقال والترهيب والتعسف، كما أن ذلك لا يحط من منزلتهم الاجتماعية بحيث يتم قذفهم بأوصاف تكفيرية أو تحقيرية أو ما شابه ذلك.

وهذا أمر بديهي بل أن الطبيعي أن لا تكون الأمور مخالفة لذلك، فالمذهب الشيعي ليس بشأن يثقل على صاحبه في إيران، وإنما قد يكون ميزة له، فالغالبية العظمى من الناس هناك يعيشون نفس الحالة، وبالتالي فآخر ما يفكر فيه المرء أن يشغل ذهنه بكونه شيعياً أم لا فيما يتعلق بتسيير معاشه وحياته وأموره اليومية.

كما لا يوجد لدى الشيعية في إيران خوف - واقعي - من أن يأتي يوم ويجدون أنفسهم بسبب قوة خارجية أو داخلية، مجبرون على التخلي عن مذهبهم وتشيعهم لأهل البيت (عليه السلام)، وخروجهم إلى معتقد أو مذهب آخر.

ساحات صعود: العراق ولبنان

في لبنان والعراق يمر الشيعية هناك في أطوار متقدمة من التمكين السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني، فالوضع السياسي للشيعية وصل إلى درجة من الاستقرار بمعنى الاستحكام من القدرة والنفوذ السياسي لهم لا يمكن

إلغاؤه حتى بحرب عالمية^(١)، ولا يعني ذلك أنهم وصلوا إلى مستوى التمكين السياسي الموجود في إيران، ولكن أثر الشيعة في السياسة اللبنانية والعراقية بارز للعيان بحيث لا يمكن اتخاذ أي إجراء سياسي في هذين البلدين يتعلق بالدسترة أو الانتخابات أو تشكيل الحكومات أو توجهات النظام الرسمي أو ما شابه ذلك بدون أن يكون للشيعة فيه دور أساسي بل الدور الأساسي.

والشيعة يشكلون قسم أساسي (لبنان) أو القسم الأساسي (العراق) من المؤسسات الدستورية والبرلمانية والحكومية والحزبية والمؤسساتية بل والثقافية في النطاق السياسي.

ويمكن القول بكل ثقة أن التمكّن السياسي للشيعة في هذين البلدين غير محصور في حدودهما بل أن تأثيره وانعكاساته تصل إلى خارج الحدود وتمس الأوضاع الإقليمية الساخنة وغيرها، كتأثيرهم في القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، وفي تشكيل المحاور السياسية الكبرى في المنطقة.

أما من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ففي لبنان يعمل الشيعة على محورين هما توظيف القنوات والمؤسسات الوطنية العامة التي يفترض بها خدمة المواطن - أي مواطن - وحيث أنهم مواطنون كغيرهم في هذين البلدين فهم يستفيدون مما تقدمه مؤسسات الرعاية الاجتماعية والدعم الاقتصادي والتعليم والثقافة والرعاية الصحية، إلى جانب تشكيلهم لمؤسساتهم الأهلية الخاصة في كل هذه المجالات^(٢)، وفي أغلب الحالات تكون مؤسساتهم الخاصة أفضل حتى من الرسمية والحكومية، وفي لبنان يمكن القول بأن هذا الدور يتقاسمه حركة أمل وحزب الله بشكل رئيسي، حيث أن النفوذ السياسي لحركة أمل وزعيمها النافذ الأستاذ نبيه بري تقوم بتوظيف الموارد الوطنية - كما هو حال جميع الطوائف هناك - لخدمة الطائفة الشيعية بحسب ما ينوبها من حصة، بينما يمارس الحزب الدور الآخر - العمل الأهلي - بكفاءة عالية أيضاً بما له من موارد

(١) كما حصل في تموز عام ٢٠٠٦ م

(٢) Flanigan: Hizbollah's social jihad

وإمكانات مادية وثقافية ومعنوية.

وفي العراق فإن المؤسسات الأهلية المرتبطة بالحوزات العلمية والهيئات الدينية تمارس هذا الدور، وإن كان في بداياته ويواجه تحديات كبيرة على المستوى الإداري والأمني بسبب طبيعة الأوضاع المستحدثة هناك بعد سقوط صدام والاحتلال الأمريكي الذي استمر لتسع سنوات.

من الناحية الأمنية استطاع الشيعة خصوصاً مع وجود ترسانة عسكرية قوية ومنضبطة كالتي لدى حزب الله، وإلى جانب اندماجهم في القوات العسكرية والأمنية الرسمية في كلا البلدين، أن يحفظوا لأنفسهم هبة وحصانة تجعل من يفكر في التعدي عليهم ظلاماً أو عدواناً بمعنى إزاحتهم عن أراضيهم أو مواقعهم أو كياناتهم السياسية والوطنية، أن يفكر عشرات المرات قبل أن يأخذ خطوة واحدة في ذلك الاتجاه.

ساحة مغيبية: أذربيجان

يعيش الشيعة في أذربيجان وهم أغلبية السكان في سياق مختلف عن بقية المجتمعات الشيعية، فالقضية لا تتراوح بين التمكين والتهميش، وإنما بين الاعتراف بدور الهوية الدينية في الحياة أو عدمها، فالمجتمع بصورة عامة يغلب عليه اللون العلماني الذي تجذر فيه على مدى قرنين من الاستعمار الروسي وثم السوفيياتي، وكان من الطبيعي أن يتعايش الناس مع دستور ما بعد الاستقلال وانهيار الاتحاد السوفيياتي والذي ينص على فصل الدين عن السياسة بصورة قاطعة.

لذا فإن الحراك الإحيائي هناك يغلب عليه إحياء الرجوع إلى الهوية الدينية والتزامها كمنهج عام في الحياة، بما في ذلك خلق تأثير لها في الحياة السياسية، وهذا ما بدا واضحاً في انتخابات ٢٠٠٥م حينما حاولت الأحزاب العلمانية استقطاب جمهور التيارات الدينية الناشطة.

من الأمور التي تساهم في إذكاء الحراك من أجل الهوية هو التنافس الشديد

بين الرعاة الخارجيين لعملية الإحياء الديني هناك، فالإيرانيون يعملون على إحياء العقيدة الشيعية من جهة، والسعوديون والأتراك يعملون على النقيض من ذلك، أما النظام فأهم ما يصبو إليه هو أن لا يتداخل هذا الحراك مع الشأن السياسي، فالنظام الآذري ليس على وئام سياسي مع النظام في إيران وهو يجاهر بتحالفه مع غريماتها الولايات المتحدة ومن خلفها تركيا وإسرائيل، ولكنه من جهة ثانية يحارب التوجهات السلفية القتالية التي تكون لازمة لأي تيار سلفي وهابي - وأصبح لديهم تجربة محلية حينما أعلنت الحكومة عام ٢٠٠٧م عن اكتشاف مخطط لتفجير سفارتي الولايات المتحدة وبريطانيا في باكو - كما لا يرغب في تبني العصية المذهبية لدى النظام التركي القائم ضد التشيع بسبب الموروث العثماني، لما لذلك من ردود فعل حادة على المستوى الشعبي، كما حدث عندما نشر الملحق الديني في السفارة التركية كتاباً انتقد فيه بشدة المعتقدات والمفاهيم الدينية الشيعية.^(١)

إن مفهوم التمكين في آذربيجان غالباً سيتأثر بما يجري على الأرض من تعبئة دينية، ولكن قد لا يكون الغرض منه هو تمكين الشيعة كبشر وجمهور فالأرض في النهاية أرضهم والحكم لهم، ولكن تمكين العقيدة كمؤثر أساسي في الحياة العامة للناس.

ساحات محقنة: البحرين والسعودية

في هذا النمط من الدول والساحات يعيش الشيعة الإثنا عشرية بصورة عامة حالة من التهميش والإقصاء الشديد، والذي تتفاوت شدته بين حقل وآخر من الناحية التفصيلية، فتجد مثلاً في البحرين التهميش والإقصاء يتركز في ثلاثة حقول رئيسية هي السياسي (ليس لهم دور في إدارة الشؤون السياسية الداخلية أو الخارجية) والأمني (مراقبون ومتهمون بالولاء للخارج باستمرار وممنوعون من العمل في القوات العسكرية والأمنية) والاقتصادي (مبعدون من كل الوظائف

الاقتصادية الكبيرة وليس لهم أي قرار في سياسات البلد الاقتصادية وأكبر نسبة بطالة فيهم بالرغم من امتلاكهم لمختلف أصناف المؤهلات العلمية والعملية (والآن جاء دور التهميش الاجتماعي عبر عملية التجنيس لغير الشيعة من كل مكان لتحويلهم إلى أقلية محاصرة، ولكن ذلك لم يمنع النظام الحاكم في البحرين من تزيين الأجهزة الرسمية والحكومية ببعض الشخصيات الشيعية الموالية له، لكي يتمكن من الإدعاء بأنه ديمقراطي ويحترم حقوق الإنسان وما شابه ذلك، والشئ الوحيد الذي يسمح به النظام هو إقامة الشعائر الدينية بدون معارضة تذكر والسماح للكتب والمطبوعات الدينية بدخول البلد.

في السعودية الوضع أشد من ذلك فبالإضافة إلى ما ذكر أعلاه في البحرين وهو ينطبق على السعودية فإن إقامة الشعائر الدينية وفق الفقه الشيعي يعتبر من الكفريات، كما تمنع الكتب الدينية للشيعة من الدخول، ويتم التطرق للشيعة في الإعلام الرسمي والمناهج التعليمية على أنهم كفار ومجوس وغيرها من الترهات. ولعل الفرق بين الحالتين هو أن النظام في البحرين يريد أن يبدو بصورة علمانية وديمقراطية أمام حلفائه الغربيين فيمنع أي نهوض سياسي حقيقي للشيعة عن طريق سياسات غير صاخبة كالتجنيس والتجويع والتخويف ويسمح بما يظهره بالعكس كالسماح بأداء الشعائر، بينما النظام السعودي يريد أن يبرز بمظهر المحافظ على أصالة الدين فيمنع حتى بقية الأمور، والنتيجة واحدة هي القمع والحصار والتهميش والإقصاء.

ساحات حاضنة: بقية بلدان الحوض الشيعي المركزي

الشيعة في هذا الصنف من المناطق والمجتمعات منسجمون ومندمجون بنسبة عالية وغالباً بسبب توافق الرغبات بينهم وبين الأنظمة الحاكمة في أن يكونوا مندمجين ومتعايشين بسلام ووثام وعدالة اجتماعية، وتتفاوت نسبة الاندماج ففي دول مثل الهند وعمان وسوريا هناك اندماج على المستوى السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني، وفي الكويت أيضاً ولكن مع بعض الثغرات، أما في تركيا فهم مندمجون في مختلف الحقول ولكنهم يعيشون تمييز حاد

في الجانب الديني حيث ينظر إليهم كعراقة في الجانب العقائدي أما اندماجهم السياسي فمحدود بحيث لن تجد منهم من قد يسمح له ليكون رئيساً للجمهورية أو قائداً للجيش أو ما شابه،^(١) وفي الإمارات العربية المتحدة وقطر يتوقف اندماجهم عند الجانب الاجتماعي والاقتصادي أما الجانب السياسي والأمني فلا شأن لهم به (خط أحمر عليهم) والجانب الثقافي والديني مفتوح على المستوى الشخصي والعام ولكن ضمن حدود وتقييدات على المستوى الأخير.

وتبقى ساحات كـأفغانستان حيث تعرض الشيعة للظلم والتهميش فيها على مدى زمن طويل ولكن التغييرات التي حصلت في السنوات الأخيرة جعلت اندماجهم في النظام من جميع النواحي دستورياً، ولكن هل سيستمر ذلك ويتحول إلى شأن طبيعي في أفغانستان أم انه رهن بالتحويلات في الأنظمة السياسية هناك؟ هذا ما قد تكشف عنه أية تحولات سياسية قادمة.

فالطابع العام لوضع الشيعة في هذه الساحات هو أنهم آمنون بصورة عامة من مخاطر القمع الأمني والاضطهاد المعيشي، وأن مشاركتهم السياسية في حقيقة الحال ترجع إلى حجمهم السكاني ومدى حيويتهم السياسية، فكلما كانت نسبتهم صغيرة بالنسبة لعدد السكان (كما في اليمن مثلاً) كان تغيبهم ملحوظاً في الشأن السياسي العام (باستثناء عمان) أما اشتراكهم في الحياة السياسية في الكويت وتركيا وأفغانستان وباكستان فذلك أمر طبيعي لنسبتهم المرتفعة في هذه الأماكن، كما أن ظهورهم الديني والعقائدي على المستوى العام يرجع إلى حساسية كل دولة ومدى تأثير النفوذ المعادي للشيعة (كالنفوذ الوهابي) فيها، ففي بلد علماني وديمقراطي كالأندلس لديهم حرية دينية عالية ويستطيعون ممارسة كافة شعائهم، بينما في الإمارات العربية وقطر والكويت حيث النفوذ الوهابي مرتفع تجد قيود عديدة ترفع في وجه شعائهم وممارساتهم الدينية وإن بشكل متقطع أو متردد، والأمـر شبيه بذلك في تركيا التي تحكمها حكومة ذات توجه ديني طائفي بالرغم من الهوية العلمانية المعلنة للنظام الرسمي.

(١) نور الدين: الأقليات الدينية والعرقية في تركيا

ساحات معولمة: أوروبا الغربية والولايات المتحدة

هناك شيعة يعيشون في دول توصف عالمياً بأنها مركز الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان وأنها تبني قيماً عادلة يجب نشرها على مستوى شعوب العالم، وهذا التوصيف النظري ينطبق نسبياً وجزئياً على هذه الدول على المستوى الداخلي لمواطنيها، أما على المستوى الخارجي فهي غالباً ما تكون بخلاف ذلك، وهذه الدول هي الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وخصوصاً بريطانيا وفرنسا وألمانيا فهذه أقوى الدول الأوروبية وهي التي توجه سياساتها بالإضافة إلى بلجيكا باعتبارها مقر للعديد من مؤسسات الاتحاد الأوروبي وسويسرا باعتبارها مقر للعديد من مؤسسات منظمة الأمم المتحدة، ويمكن إضافة كندا وأستراليا إليها.

المهم هو أن الشيعة المتواجدون في تلك الدول - وهم غالباً أقليات صغيرة - يمكنهم الاستفادة من الحريات والقوانين والتشريعات الداخلية وقوة الرأي العام فيها طالما هم متواجدون ومقيمون هناك، ويمكنهم الاستفادة من قوة التشريعات القانونية والمبادئ السياسية القائمة على تمكين الفرد المواطن وحمايته من قبل المؤسسات القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية القائمة هناك، أي أن تلك المؤسسات بأنواعها تعكس قوتها على المواطن فتصبح قوة الفرد بقوة المؤسسات الفاعلة، ولذا يمكن للفرد أن يستمد لنفسه قوة ونفوذ بقوة ونفوذ وسلطة المؤسسة السياسية أو القانونية أو القضائية التي تمثله كمواطن.

وحيث أن هذه الدول تتصرف على أساس أنها وليّة ومسئولة عن النظام العالمي وقائمة بأمره - وهي في هذا كمن ينظر في المرأة فلا يرى إلا نفسه - وحيث أنها شكّلت مؤسسات ذات سطوة عالمية كمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومحكمة الجنايات الدولية والبنك الدولي وشكّلت أحلاف عابرة للقارات كحلف الناتو وأطلقت مواثيق عابرة للدول كالشرعة الدولية لحقوق الإنسان، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، والإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، وغيرها من المواثيق، واعتبرت نفسها ممثلة

لقيم إنسانية ومجتمعية ذات بعد عالمي وإنساني عام كقيم الديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة وغيرها، بل إنها لا تتردد بأي شكل من الأشكال من التدخل بشئ الأساليب في أي دولة أو مكان في العالم تحت هذه العناوين وترى نفسها ذات وصاية كونية في هذا الشأن، فإن ذلك يوفر فرصة للشيعية - ولغيرهم - ممن يعيشون وقيمون في تلك البلدان لكي يوظفوا هذه الحالة، بأن يستخدموا تلك المؤسسات القضائية والقانونية والسياسية والحقوقية ذات البعد الدولي لإبراز معاناة أخوتهم الشيعة في بلدانهم الأصلية وفي كل مكان في العالم والدفاع عنهم ورفع القضايا القانونية والقضائية لمحاكمة الحكام والأنظمة التي تضطهدهم وتظلمهم وتسيء معاملتهم لأسباب طائفية وعنصرية واستبدادية بحتة.

وبالرغم من أن أغلب من يقوم بتلك الممارسات السيئة ضد الشيعة هم من حلفاء أنظمة الدول المعولة، إلا أن التجارب أثبتت - وستطرق لذلك في حينه - أن توظيف تلك الأدوات والوسائل المعولة يؤدي إلى نتائج إيجابية لصالح الشيعة حتى ولو بشكل جزئي أو محدود الأثر، ولكنه أفضل من الجمود وترك تلك الأبواب والفرص مغلقة أمامنا ومفتوحة أمام غيرنا، سيما أنه في بعض الأحيان تكون لها آثار أفضل مما هو متوقع.

هذا إلى جانب أن هذه الدول والساحات المعولة غالباً ما تفتح الباب أمام الممارسات الدينية على المستوى الشخصي والاجتماعي لكونها ترى بأن هذا شأن خاص بكل إنسان لا دخل للآخرين فيه، وبالتالي فهي توفر فرصة طبيعية للشيعة لممارسة عقائدهم وشعائهم بدون موانع بل وحتى نشرها وترويجها إذا شاءوا.

ساحات المأوى: باقي دول العالم

الشيعة في باقي دول العالم (كالصين وشرق آسيا ووسطها والقارة الأفريقية وأمريكا اللاتينية ودول شرق أوروبا وروسيا وغيرها) هم غالباً أقليات ضئيلة عددياً ولا يكاد المرء يحس بوجود شيعي في تلك الساحات، حيث أنهم ممزجون بالكتل السكانية الكبيرة لها كما أن أغلبها لا يمتلك خصائص شبيهة بما لدى الساحات المعولة.

ويمكن تقسيم هذه الساحات إلى قسمين، الأولى هي ساحات غالبيتها إسلامية كوسط آسيا (أوزبكستان وتركمنستان وطاجيكستان وقرغيزيا) وشرق آسيا (ماليزيا) فالحال شبه نوعاً ما بما هو عليه في السعودية، والواقع أن ما يجري هناك إنما هو بتوجيه وإشراف وتحفيز وأموال وغطاء ديني تصدر كلها من منبع الوهابية ومركزها ألا وهو النظام السعودي^(١).

أما في شمال أفريقيا (مصر ودول المغرب العربي) فالحال لا يظهر للعيان حيث أن الشيعة هناك إنما هم أقليات متفرقة وجزر متقطعة وصغيرة في بحر من مخالفيهم فلا يوجد معنى للكلام عن تهميش سياسي أو اجتماعي أو غيره، إلا أن الفكر الموجه للعقول في المسألة الشيعية هو ذاته الذي وجه ورسم الصورة التكفيرية عن الشيعة في البلدان المذكورة أعلاه، وبالتالي يمكن القول بوضوح بأن هذه ساحات تهميشية، بل الأدهى أن المخالفين في هذه المناطق يصرخون ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية بالحرب ضد التشيع ومعاداة الشيعة على الرغم من أن نسبة الشيعة بينهم قد لا تتعدى الواحد بالمائة.

أما القسم الثاني من هذه الساحات فهي غير الإسلامية، كالصين وروسيا وغيرها، وهي دول ليس لديها شيء يدعى المسألة الشيعية داخلياً على الإطلاق، ولذا فإن مصير الشيعة في تلك الدول معلق على إرادتهم الذاتية وطبيعة الحياة التي يختارونها لأنفسهم في أن يكونوا هامشين أو يمكنوا أنفسهم في الجانب الاقتصادي أو العلمي أو السياسي أو خليط من ذلك وغيره.

كما أن أغلب هذه الدول تتعامل مع الشأن الديني خصوصاً بالنسبة للأقليات على أنه شأن شخصي، وبالتالي يمكن للشيوعي أن يمارس عقائده بلا موانع، كما يمكنه غالباً أن يملك نفسه أو أن يسير في طريق التمكين على المستوى الشخصي أو العائلي أو حتى المجتمعي المدني في الحقوق الاقتصادية أو العلمية أو السياسية أو غيرها وأن يندمج مع هذه المجتمعات دون أن يقلق على وضعه أو نفسه فقط لكونه شيعياً.

الفصل الرابع

التحديات الثلاثة

الفصل الرابع: التحديات الثلاثة

هناك خلاف واختلاف منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا بين اتباع وشيعة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبين مخالفهم ومخالف في الإمام عليه السلام، وهذا التباين والاختلاف باق إلى يومنا هذا ويبدو أنه سيبقى إلى أمد طويل، ولكن هذا ليس موضوعنا الآن، بل ما يتعرض له الشيعة من تحديات بسبب الاختلاف المذهبي بينهم وبين غيرهم بالرغم من وجود اختلافات فقهية وسياسية وأصولية وتاريخية بين جميع المذاهب الإسلامية بدون استثناء.

وفي وقتنا الحاضر يعيش الشيعة مجموعة من التحديات الأساسية وهي غالباً ما تبرز مظاهرها وآثارها في الصنف الرابع من الساحات أي التي يعانون فيها من التهميش، وفي الساحات المتأثرة بها كباكستان ووسط آسيا وشمال أفريقيا، وفيما يلي أبرز ثلاثة تحديات يواجهها شيعة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله:

أولاً: التكفير (أزمة التعايش)

التكفير حالة قائمة بين اتباع المذاهب في العديد من الديانات ومن بينها اتباع الدين الإسلامي، فلا يكاد تخلو فترة من الزمن لا تجد فيها حالات تكفيرية «للاخر» الذي يتم الاختلاف معه، خصوصاً مع اعتماد أكثر أو كل المذاهب الإسلامية لفكرة «الفرقة الناجية»، والفرق بين زمن وآخر هو مدى حدة استعمال

هذه الحالة ففي أوقات تجد بأن النفوس مضمرة على هذا الأمر بينما أثرها شيء معدوم في الواقع المعيشي، ومرات أخرى تجد بأنها مهيمنة على واقع التعايش بين الأفرقاء المختلفين، وأصل الموضوع لا يختص بوقوعه على الشيعة دون غيرهم بل هو حاصل بين اتباع المذاهب الأخرى أيضاً، وفيما يلي بعض الأمثلة^(١):

- التكفير بين الحنابلة والشافعية: كانت المصادمات بين الحنابلة والشافعية قائمة على قدم وساق على مدى أكثر من قرن في بغداد بسبب تكفير كل منهما للآخر، وكانت ذروتها عام ٤٦٩هـ حين حصل اقتتال دموي عنيف بينهما، وحينها حاول الوزير نظام الملك حل المشكلة فجمع ابن الشقيري شيخ الشافعية وأبي جعفر الشريف شيخ الحنابلة وطلب منهما أن يتصالحا، فقال له الشقيري: أي صلح يكون بيننا؟ إنما الصلح بين مختصمين على ولاية أو دين أو تنازع في ملك. فأما هؤلاء القوم فيزعمون أننا كفار، ونحن نزعم إن من لا يعتقد ما نعتقده كان كافراً، فأأي صلح يكون بيننا؟

وقد حدث الأمر ذاته بين الشافعية والحنابلة في نيسابور وأصفهان وبغداد بعد حوالي قرن من الزمان، ويذكر المؤرخون أن الحنابلة قتلوا بالسهم الفقيه أبا منصور الشافعي عام ٥٦٧هـ في بغداد.

- التكفير بين الحنفية وبين الشافعية والشيعة: في سنة ٥٥٥هـ أدى التعصب بين الحنفية من جهة والشافعية والشيعة من جهة أخرى في نيسابور إلى قتل خلق عظيم ومنهم علماء وفقهاء وحرقت للأسواق والمدارس والبيوت، ويقول ابن الأثير بأن نهاية سفك الدماء وهتك الأستار واشتداد الخطب أن خرب الشافعيون كل ما بقي للأحناف في نيسابور.

- تكفير الحنفية للشافعية: حرم الأحناف الصلاة خلف الشافعية، لأن الإمام الشافعي أباح للرجل الزواج من ابنته التي جاء بها من الزنا، وقال الشيخ محمد بن موسى الحنفي، قاضي دمشق (ت ٥٠٦هـ) لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية!

(١) المؤمن: من المذهبية إلى الطائفية

- تكفير الشافعية للحنفية: حرم بعض علماء الشافعية زواج الشافعي من حنفية، إلا بالقياس إلى الكتابية!
- تكفير الحنابلة لبقية المسلمين: أفتى الشيخ ابن حاتم الحنبلي، بفتوى قال فيها: من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم!
- تكفير المسلمين للحنابلة: في المقابل اجتمعت المذاهب في دمشق على الحنابلة تستنكر آراء الشيخ ابن تيمية الحنبلي، حيث أفتى العلماء بارتدادهم وبكفر ابن تيمية، ونادى المنادي: من كان على دين ابن تيمية حل ماله ودمه، بينما فكر أبو حامد الطوسي (ت ٥٦٧هـ) أن يضع الجزية على الحنابلة.

تكفير الشيعة:

وقد وقع على الشيعة ما وقع على غيرهم ولكن غالباً على يد السلطات الحاكمة حيث كانت ترى بأنهم الخطر الحقيقي على سياساتها الظالمة والمنحرفة عن الدين ومبادئه الحنيفة، ففي عام ٤٠٧هـ ارتكب المعز بن باديس أفطع المجازر وأكبرها بحق الشيعة في بلدان شمال أفريقيا بحيث أدت إلى انقراض الشيعة هناك، وفي عام ٤٥٠هـ ارتكب السلاجقة مذبحه كبيرة بحق الشيعة في بغداد وأحرقوا دورهم ومكتباتهم.

وقد أدت فتوى أحد علماء البلاط العثماني وهو الشيخ نوح حكيم الحنفي إلى مقتل أكثر من ٤٠ ألف شيعي في منطقة الأناضول التركية، وحوالي ٤٤ ألف في منطقة جبل عامل، و ٤٠ ألف في مدينة حلب وضواحيها على يد السلطان سليم الأول (ت ٩٢٥هـ)، والذي أمر بقتل الشيعة أينما وجدوا في البلاد العثمانية.

وتتضمن فتوى الشيخ نوح التي ذكرها في كتاب «الفتاوى الحامدية» وجوب مقاتلة الشيعة وكفر من لا يرى ذلك، ثم حكم في نهاية فتواه باسترقاق نسائهم وذرائعهم!

وفي خراسان شمال شرق إيران استند عبد المؤمن خان ملك الأوزبك على الفتاوى للقيام بمجزرة كبرى هناك فاستباح مدينة مشهد المقدسة وقتل الآلاف

من سكانها وسبى نسائهم وانتهك حرمتهم بسبب تشييعهم.^(١)

وقد تواصلت عملية التكفير إلى عصرنا هذا، ففي عام ١٩٢٧م أصدر علماء الوهابية في العربية السعودية فتوى جاء فيها: «أما الرافضة أي الشيعة في الإحساء والقطيف، فأفتينا الإمام (أي عبدالعزيز بن سعود) أن يلزمهم البيعة على الإسلام ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل وعليه أن يلزم نائبه على الإحساء أن يحضرهم عند الشيخ بن بشر ويبياعوه على دين الله ورسوله وترك الشرك من دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم في مآتمهم وغيرها مما يقيمون شعائر مذهبهم الباطل ويمنعون من زيارة المشاهد في العراق الخ»، وقد أوصوا في نهاية فتواهم المفصلة بنفي من يرفض ذلك عن بلاد المسلمين!

وبالرغم من أن عبدالعزيز آل سعود لم ينفذ هذه الفتوى لأسباب سياسية فإنها مثلت مرجعية تاريخية وتشريعية للمؤسسة الدينية الرسمية وللأجيال اللاحقة من رجال الدين في التعامل مع الشيعة.^(٢)

وقد أفتى الشيخ عبدالله بن جبرين (ت ٢٠٠٩) وهو عضو مجلس كبار العلماء فتاوى عديدة مضادة للشيعة وهي منشورة على موقعه الإلكتروني، كالفتوى رقم ١٢٨٦٩ بعنوان «موقفنا من الرافضة»، وفتوى رقم ١٢٤٦١ بعنوان «طريقة التعامل مع الروافض»، وفتوى رقم ٧٨٢٧ بعنوان «منع الشيعة من الصلاة في مساجد المسلمين»، وغيرها.^(٣)

وقد تسابق مشايخ المذاهب التكفيرية في تكفير الشيعة وتحليل دمائهم وأعراضهم وأموالهم بل ومنع الدعاء لهم حتى في الحروب مع الصهاينة الذين احتلوا فلسطين ومقدساتها الإسلامية، كل ذلك بقصد التقرب إلى أمراء السياسة والمال، وإن كانوا يغلفون ذلك بغلاف ديني عقائدي لكي يتبعهم عامة الناس

(١) المؤمن: من المذهبية إلى الطائفية

(٢) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

(٣) Human Rights Watch: الحرمان من الكرامة

ممن لا يمتلكون بصيرة واضحة في أمور الدين.

وكان أبرز آثار هذه الفتاوى وأمثالها هو استحلال دماء وأموال وأعراض الشيعة - وغيرهم من المسلمين وغير المسلمين - في العراق وأفغانستان وباكستان وسوريا وغيرها من البلدان الإسلامية.

ففي العراق عام ٢٠٠٥م قام شخص أردني من مدينة السلط الأردنية يدعى رائد منصور البنا بتفجير نفسه بصورة انتحارية في وسط طابور من المتطوعين الجدد الذين ينتظرون دورهم للالتحاق بالتجنيد في مدينة الحلة العراقية جنوب العاصمة بغداد، فقتل ١٢٥ شيعياً وجرح ١٥٠ آخرون، وذهب ضحية الانفجار العديد من النساء والأطفال والشيوخ بسبب مجاورة مركز التطوع لسوق في المنطقة.

وقد أقامت أسرة رائد الانتحاري عزاءً له على مدى ثلاثة أيام احتفت فيه وافتخرت «باستشهاده» بالنسبة إليها هو شهيد لأنه قتل مجموعة كبيرة من الشيعة «الكفار» الذين لا يمكن أن يكونوا إلا كذلك لكي يجوز قتلهم، وإلا فلن يكون ابنهم شهيداً ولن يجد له موقعاً بين الحور العين في الجنة.^(١)

وهذه واحدة من آلاف العمليات الدموية التي وقعت في العراق منذ ٢٠٠٣م إلى يومنا هذا والتي استهدفت الشيعة فقط لأنهم كذلك وإن كانت تعنون بعناوين المقاومة والدفاع عن شرف الأمة (الملطخ منذ ستين سنة في فلسطين والذي لم يسمع عنه ذلك الأردني الملاصق بلده لها) وغير ذلك من التبريرات الواهية والكاذبة.

وفي باكستان الأمر مشابه تماماً فمنذ عام ٢٠٠٠م إلى يومنا هذا حدثت مئات التفجيرات وقضى وجرح آلاف الناس بسبب هذه الآراء الدينية الفاسدة والتي هي أبعد ما تكون عن الدين والإنسانية، وقد تمت تصفية ٥٧ من زعماء الطائفة الشيعية في أقل من خمسة أشهر من يناير إلى مايو ١٩٩٧م في محاولة ممنهجة

(١) نصر: صحوة الشيعة

لاستئصال الشيعة من مراكز السلطة^(١)، وكانت آخر مجموعة من الاعتداءات على الشيعة في باكستان هي التفجيرات التي وقعت في مدينة كويتا الحدودية في ١٠ يناير ٢٠١٣م والتي خلفت ١٣٠ شهيداً وأكثر من ٢٧٠ جريح، حيث تم تفجير سوق ونادي رياضي ومسجد كلها في مناطق شيعية، وكذلك التفجيرات التي وقعت في نفس المدينة بعدها بشهر تقريباً في سوق للخضار في ١٦ فبراير ٢٠١٣م وخلفت ١١٣ شهيد وحوالي ١٦٠ جريح، وبعدها بأسبوعين تقريباً في ٣ مارس ٢٠١٣م كان هناك تفجير في مسجد للشيعة في مدينة كراتشي خلف ٤٥ شهيد وأكثر من ١٥٠ جريح.

ويمكن إيراد أمثلة شبيهة بذلك من أفغانستان (تحت حكم طالبان)، وكشمير (القسم الباكستاني)، وسوريا خلال الأعوام ٢٠١١ - ٢٠١٣م.

ثانياً: التمييز (أزمة الحقوق):

أحد أبرز التحديات التي يعيشها الشيعة في المجتمعات التي تتخذ سياسات تهميشية ضدهم هو التمييز في جميع الحقول تقريباً، أي السياسية والاقتصادية والمعيشية والأمنية والتشريعية وأمثالها، فعلى سبيل المثال وفي وصف لأوضاع الشيعة في المنطقة الشرقية من العربية السعودية تشير برقيات صدرت عن السفارة الأمريكية في الرياض والفنصليتان في جدة والظهران إلى بعض مظاهر التمييز العام الذي يتعرض له الشيعة هناك، حيث تشير إلى أنه على الصعيد التعليمي لم يتغير الكثير من وضع الشيعة خلال السنوات الماضية، فهم لا يسمح لهم بفتح مدارس خاصة، ومن أصل ٣١٩ مدرسة للصبيان في الأحساء، لا يوجد سوى ٧ مديري مدارس من هذه الطائفة، فيما يشغل ٣٠ فقط منهم منصب نائب مدير مدرسة.

أما في مدارس الإناث فالوضع أسوأ، ومن أصل ٣٠٩ مدارس للبنات، لا توجد مديرة مدرسة من الطائفة الشيعية، فيما يقتصر عدد اللواتي يشغلن منصب

(١) نصر: صحوة الشيعة

نائبة مديرة مدرسة على ٧ فقط.

وفي الجامعات أيضاً يُعدّ تمثيلهم ناقصاً، ففي جامعة الملك فيصل ومن أصل ٢٨٧ موظفاً، فإن سبعة فقط هم شيعة، وتضيف البرقية أنه على الرغم من أن وزارة التربية حققت تقدماً في إزالة لغة التمييز السائدة بحق الشيعة من الكتب المدرسية، إلا أنه تبقى إشارات مقلقة، وتضيف: «المذكرات المدرسية تظهر دعوات معاقبة طلاب شيعة تغيّبوا خلال مناسبات دينية مثل عاشوراء».

كذلك تنقل البرقيات التي تطرقت بتفصيل إلى التعليم في المنطقة الشرقية ومشاكله ما تعرض له أحد الطلاب عندما قدم أوراقه إلى كلية العلوم السياسية لجامعة الملك سعود في الرياض، قبل أن يرفض طلبه بحجة أن «هذا المجال غير مفتوح للشيعة».

كذلك تتطرق البرقيات إلى التمييز الاقتصادي للشيعة والذي يتجسد على نحو أوضح عند النظر إلى قوانين تقسيم المناطق التي تحدّد الارتفاع المسموح به للأبنية في مناطق مختلفة، ومع أن المباني من ثماني طبقات مسموح تشييدها على طول الطريق السريع الذي يقود من الدمام إلى القطيف، تتغير قواعد بناء المباني مع الدخول إلى أول قرية ذات غالبية شيعية وهي سيهات، حيث تتطلب القواعد أن تكون الأبنية أقل من أربع طبقات.

وفي جزيرة تاروت ذات الاختلاط السني الشيعي، تسمح المراسيم ببناء أبنية من ثلاث طبقات في قرية دارين ذات الأغلبية السنية، لكن لا تسمح بأكثر من طبقتين في المناطق الشيعية المحيطة بدارين.

وعلى الصعيد الديني، توضح البرقية أنه فيما الجوامع والأئمة السنة ممولون من وزارة الشؤون الدينية، لا تتلقى الجوامع الشيعية أي تمويل من الحكومة السعودية. أما الحصول على رخصة لفتح مسجد شيعي، فيعتمد غالباً على هوى المسؤولين الحكوميين المحليين، ويوصف بأنه «غامض ومرهق». أما الحسينيات فإنها لا تحصل مطلقاً على ترخيص من الحكومة، ما يجعلها غير محصنة عندما تقرر الحكومة السعودية إقفالها بحجة «عدم حصولها على تراخيص». يضاف إلى كل

ذلك، منع الحكومة السعودية استيراد أو نشر مطبوعات شيعية دينية، وحجب المواقع التي تناقش المواضيع الدينية الشيعية، السياسية والاجتماعية.^(١) وفي مقابل ٤٠٠٠ مسجد لغير الشيعة في المنطقة الشرقية ليس للشيعة سوى ١٥٠ مسجد بنيت جميعها على نفقة الأهالي.^(٢)

وفي يونيو ٢٠٠٨ أغلقت السلطات السعودية ثلاثة دور عبادة للشيعة يعود تاريخها إلى ٣٠ عاماً، بناءً على أوامر من حاكم المنطقة الشرقية بعد أن أوقفت ملائكة هذه الأماكن لفترة قصيرة، وبعد أن تحركت الأطراف الشيعية في المنطقة لدى السلطات ورفعت القضية لولي العهد السعودي سمح بإعادة فتحها في نوفمبر ٢٠٠٨ م.

وفي ٢٥ مايو ٢٠٠٨ اعتقلت السلطات عبد الله مهنا لأنه رفض توقيع تعهد بإغلاق مكان للصلاة مجاور لمنزله، وفي ١٥ يوليو ٢٠٠٨ اعتقلت الشرطة الشيخ زهير بو صالح للضغط على أبيه حسين بو صالح لتوقيع تعهد بالتوقف عن إقامة صلاة الجماعة في قاعة صلاة بمنطقة الثقبه، وغني عن الإشارة إلى أنه لا يوجد في الخبر كلها مسجد شيعي واحد.^(٣)

أما في البحرين فلم تسمح السلطات هناك ببناء مساجد في المدن المنشأة حديثاً إلا بصورة محدودة جداً، ففي مدينة زايد وهي أحدث المدن الإسكانية لا يوجد أي مسجد للشيعة، وفي مدينة عيسى ومدينة حمد يوجد أربعة مساجد فقط مقابل ٢٠ مسجد لغير الشيعة في كل منها، وفي منطقة عراد السكنية الجديدة لا يوجد ولا مسجد للشيعة، ومن مجموع ٢٢ مسجد يوجد ٦ فقط للشيعة وفي المنطقة القديمة فقط.^(٤)

أما الكارثة الكبرى في البحرين فقد كانت مع بداية الثورة الشيعية ضد النظام

(١) فرحات: شيعة السعودية بعيون أمريكا

(٢) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

(٣) Human Rights Watch: الحرمان من الكرامة

(٤) مركز البحرين لحقوق الإنسان: التمييز والامتيازات في البحرين

الحاكم وما عرف بالربيع العربي، فقد هدمت الحكومة ٢٥ مسجداً، وقامت بالهجوم على ١٠ مساجد أخرى وتكسير محتوياتها وتخطيمها، إلى جانب الهجوم على ١٤ حسينية وتكسير محتوياتها وتخطيمها، وحجتها في ذلك أنها غير مرخصة، بينما تثبت الوثائق الرسمية خلاف ذلك، ناهيك أن بعضها مساجد تاريخية كانت موجودة قبل أن تخطأ أقدام آل خليفة أرض البحرين.

أما في مصر فالمذهب الجعفري غير معترف به رسمياً، فلكي يتم الاعتراف رسمياً بجماعة دينية يجب أن يتم التقدم بطلب لإدارة الشؤون الدينية بوزارة الداخلية، والتي تحدد بدورها إن كانت هذه الجماعة تشكل خطراً على «الوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي، ويصدر قرار الاعتراف بالجماعة الجديدة من رئيس الجمهورية، وفقاً للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧.

وفي حالة تجاهل أي جماعة دينية لعملية التسجيل الرسمية على هذا النحو، فإن أعضائها يكونون عرضة للاعتقال، وقد يواجهون حكماً بالسجن، وفقاً للمادة ٩٨ (و) من قانون العقوبات.

وفي أوائل العام ٢٠٠٤ تقدم بعض الشيعة، وعلى رأسهم المتشيع المعروف الدكتور أحمد راسم النفيس، بطلب إلى وزير الداخلية للاعتراف بالشيعة كطائفة دينية رسمية بموجب القانون، إلا أن الوزارة لم تقم بالرد على الطلب حتى الآن، ولا يوجد لشيعة مصر مراجع دينية، أو حتى وكلاء لمراجع في الخارج، مثلما هو قائم في بعض دول الخليج وغيرها من الدول العربية التي توجد فيها طائفة شيعية، كما لا يوجد لهم أي مسجد خاص بهم، بعد أن وضعت الحكومة يدها على مسجدهم الوحيد، مسجد آل البيت عليه السلام، وضمته في العام ١٩٧٩ إلى المساجد التابعة لها.^(١)

وفي تركيا تعرض الشيعة إلى العديد من الاعتداءات الدموية والممارسات الطائفية في فترة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين مما أدى إلى بداية ظهور تملل واضح من جانب العلويين مما يجري حولهم وضدهم،

وكان ما سُمِّي بالبيان العلوي الذي أصدره مثقفون علمانيون من كل الطوائف والمذاهب والأعراق، حدثاً مهماً ومحطة بارزة في مسيرة علويي تركيا، إذ طرح هذا البيان (صدر في آذار ١٩٨٩) ولأول مرة في تركيا وبجراحة نادرة المسألة العلوية في تركيا على النحو التالي:

- إن العلوية جناح من الإسلام الموجود في تركيا.
- يعيش في تركيا عشرون مليون علوي^(١).
- إن المسلمين السنة في تركيا لا يعرفون شيئاً عن العلويين، بل تحكم سلوكهم الأحكام المسبقة والشائعات التي انتشرت منذ العهد العثماني وما زالت، وليس من حق هذه الذهنية العثمانية أن تعيش في هذا العصر.
- إن رئاسة الشؤون الدينية تمثل فقط الإسلام السني في تركيا.
- في المقابل، تعمل الدولة على تجاهل وجود العلويين، وإظهار تركيا على أنها دولة سنية في حين أن ثلث السكان هم من العلويين.
- مع أن اضطهاد العلويين انتهى مع تأسيس الجمهورية، إلا أن الضغوطات النفسية والسياسية والاجتماعية ما زالت مستمرة، بحيث لم يستطع العلويون بعد استخدام حقهم في حرية التفكير والمعتقد الديني والقناعات التي كفلتها شرعة حقوق الإنسان والمادة ٢٤ من الدستور التركي.
- إن الإعلام بمختلف وسائله لا يُقدِّم معلومات كثيرة عن العلويين: شخصياتهم، أعيادهم، أشعارهم، موسيقاهم وفولكلورهم.
- على الدولة منع رئاسة الشؤون الدينية من إقامة جوامع في القرى العلوية أو إرسال أئمة مساجد إليها.
- هناك دعاية ضد العلويين في المدارس، ويجب إلغاء مادة الدين الإلجبارية في المدارس، لأن هذا يخالف مبدأ علمانية الدولة.^(٢)

(١) وقت صدور البيان

(٢) نور الدين: الأقليات الدينية والعرقية في تركيا

وفي ماليزيا قامت السلطات في ديسمبر ٢٠١١م بمهاجمة العديد من المجالس الشيعية التي تحيي ذكرى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله واعتقال أكثر من ١٢٠ شخصاً من المشاركين فيها، بتأثير واضح من الفكر والسياسات الوهابية في هذا البلد، وعلى إثر هذه الهجمات وقّعت الجامعة الإسلامية الدولية الماليزية وجامعة المدينة المنورة الإسلامية في السعودية مذكرة تفاهم بشأن تحصين الطلبة من أية توجهات شيعية، ومراقبة أية ميول لديهم في هذا الاتجاه.^(١)

ثالثاً: الإقصاء (أزمة المواطنة):

أما التحدي الثالث فهو الإقصاء السياسي والأمني والدستوري والوطني والذي يهدف إلى تصوير الشيعة على طول الخط وكأنهم أغراب عن أوطانهم وأن ولائهم للخارج وأن لا حق ولا شأن لهم بالشراسة السياسية والمشاركة في إدارة مصائيرهم وشئون الأوطان التي يعيشون فيها حتى قبل غيرهم الذين لسبب أو لآخر أصبحوا حكاماً فيها.

ففي السعودية مثلاً وعلى صعيد التمييز المؤسساتي المستمر وتحديداً السياسي، لفتت البرقيات الأمريكية التي تمت الإشارة إليها سابقاً إلى أنه رغم تمثيلهم لثلث عدد سكان المنطقة الشرقية، فإن ٣ فقط من أصل ٥٩ من أعضاء المجلس البلدي المعينين في المنطقة الشرقية هم من الشيعة، رغم أنهم ١١ من أصل ١٢ من الأعضاء المنتخبين، وفي الأحساء حيث يمثل الشيعة قرابة ٦٠ في المئة من السكان، فإن جميع المكاتب الحكومية الـ ٤٦ يديرها سُنّة.

أما على الصعيد الوطني، فإن ٣ فقط من أصل ١٥٠ عضواً من مجلس الشورى المعينين شيعة، ولا يوجد شيعة يحتلون منصباً وزارياً أو منصب نائب وزير، أو حاكم أو نائب حاكم، ولا يوجد شيعة دبلوماسيين في وزارة الخارجية السعودية، أو يمثلون السعودية في المؤسسات الإسلامية.

أما الرموز الشيعية التي تعمل مع المؤسسات الحكومية السعودية، مثل لجنة

حقوق الإنسان، أو على سبيل المثال في مناصب بلدية في القطيف، فغالباً ما ينظر إليها على أنها «في جيب الحكومة السعودية ولا تمثل مصالح المجتمع الشيعي أو هواجسه».

أما على الصعيد القانوني، فتلفت البرقيات إلى أن تطور نظام المحكمة الجعفرية من قاضي واحد إلى قاضيين، وإضافة محكمة استئناف تضم ثلاثة قضاة، لم يسهما إلا في تذكير الطائفة الشيعية «بالجمود وغياب التزام الحكومة السعودية في التعاطي مع هواجس الشيعة»، فبينما ارتفع عدد القضاة إلى سبعة، تآكلت سلطة المحكمة، وخُفِضَت للنظر فقط في الأحوال الشخصية، وإذا اختلف المتخاصمون بشأن الحكم، يمكن تحويله إلى المحكمة الشرعية. كذلك لا تملك المحكمة الجعفرية القدرة على الحكم في القضايا الشيعية للمواطنين الذين يعيشون خارج القطيف أو الأحساء، ما دفع رئيس القضاة في القطيف، الشيخ محمد العبيدان، إلى إخبار أحد الدبلوماسيين في السفارة الأميركية بأن القضاة الشيعة «لا يرون أي إصلاح أمامهم، ويبقون محبطين من تهميشهم».

وتوضح البرقيات كذلك أن الشيعة ممثلون تمثيلاً ناقصاً في الخدمات الأمنية والحكومية، ففي الأحساء لا يوجد سوى ٣ ضباط شيعة في جميع المرافق الأمنية، بما في ذلك الوكالات الخاضعة لوزارة الداخلية، والحرس الوطني، ووزارة الدفاع والطيران. أما في المؤسسات شبه الحكومية، وفي مقدمتها أرامكو، فتتحدث البرقيات عن أن من المعروف على نطاق واسع أن لديها «حاجزاً زجاجياً» مفروضاً على تقدم الموظفين الشيعة، وأنها تلجأ إلى عدم توظيف شيعة في مناطق حساسة أمنياً، وتضيف الوثيقة أن هذا التمثيل الناقص والواضح في أرامكو مؤلم خصوصاً للطائفة، آخذة في الاعتبار أن النفط الذي يمثل الحياة الاقتصادية للسعودية يأتي من مناطق كالقطيف والأحساء.^(١)

أما على الصعيد الإسكاني فقد أفتى الشيخ عبدالرحمن السعد وهو أحد مشايخ الوهابية عام ٢٠٠٨ بمنع بيع العقارات للشيعة لأنه يعتبر «مساعدة لهم

(١) فرحات: شيعة السعودية يعيون أمريكا

في إظهار دينهم الفاسد وعقيدتهم السيئة».

وحين شكل الملك عبدالله وفداً كبيراً للمشاركة في حوار الأديان في نيويورك في نوفمبر ٢٠٠٨ لم يطعم الوفد بأي عنصر شيعي، وفي فبراير ٢٠٠٩ عندما أعاد الملك ترتيب مجلس كبار العلماء وهو أعلى صوت ذو سلطة في تفسير المبدأ الديني والقضائي في البلاد، ضم لأول مرة علماء من جميع المذاهب الإسلامية إلى جانب الحنابلة الذين كانوا مستفردين به طيلة السنوات السابقة، ومع ذلك لم يدرج في أعضائه ولا فقيه واحد من أتباع المدرسة الجعفرية الإمامية، مما قضى على آمال الشيعة في مشاركة لهم أوسع في الشؤون الدينية والقضائية في البلاد.^(١)

وفي البحرين أصدر مركز البحرين لحقوق الإنسان عام ٢٠٠٣ تقريراً عن التمييز في البحرين، أوضح بالبيانات الرسمية أن من بين ٥٧٢ وظيفة عامة عليا غطّاها التقرير يشغل الشيعة ١٠١ وظيفة فقط، أي بنسبة ١٨٪، علماً بأن هناك مؤسسات لم يستطع التقرير من تغطيتها وبذلك يمكن الجزم بأن النسبة هي أقل أيضاً مما ذكر.

ويتبين من التقرير بأن الشيعة يشغلون ١٠ مناصب وزارية من أصل ٤٧ أي ٢١٪ فقط وليس منها أية مناصب سيادية وحساسة كالداخلية والخارجية والدفاع والأمن والإعلام. وبالنسبة لوظيفة وكيل وزارة فإن للشيعة فقط ٧ مراكز من أصل ٦٢ أي ١١٪ فقط.

أما نسبة اشتغال الشيعة بالوظائف العليا العامة فقد تراوحت بين ٣٪ في وزارة الداخلية و ٥٠٪ في وزارة التجارة، ومن بين ٣٢ مؤسسة وهيئة تم تغطيتها في التقرير فإن ٦ وزارات ومؤسسات حكومية لا يشغل أي شيعي فيها أية وظيفة عليا، وهي وزارة الدفاع، ووزارة الإعلام، ومركز البحرين للدراسات والبحوث، والمؤسسة العامة للشباب والرياضة، وجهاز المساحة والتسجيل العقاري، والهيئة العامة لحماية الثروة البحرية والبيئة والحياة الفطرية.

أما في المؤسسات القضائية والتشريعية فقد كانت النتيجة أن من مجموع ٦٤

(١) Human Rights Watch: الحرمان من الكرامة

وظيفة في النيابة العامة لا يشغل الشيعة سوى ٤ وظائف أي ٠.٦٪، وفي مجلس الشورى لا يوجد أي شيعي في الثمان وظائف العليا، أما باقي الوظائف وعددها ٥٦ فيشغل الشيعة منها ١٣ وظيفة فقط وكلها عبارة عن وظيفة سائق.

وفي مجلس النواب الأمر شبيه بذلك فمن مجموع ١٠٨ وظائف يشغل الشيعة ٣٩ وظيفة كلها تتركز في وظائف: سائق، ومراسل، وفني إداري، وأمين سر لجنة، وفني لجان.

أما في موضوع الإسكان فقد أوضح التقرير بأن ٤٠٪ من أراضي البحرين لا يسمح التملك فيها إلا بإذن خاص من الديوان الملكي وأن بعضها كالرفاع الغربي والشرقي لا يحق لأي شيعي بأن يملك فيها حتى قدم مربع واحد.^(١)

وقد أشار تقرير البندر إلى مخطط أطلقه الديوان الملكي لتغيير الوضع السكاني للبحرين وذلك بتحويل الشيعة إلى أقلية والسنة إلى أكثرية من خلال خطوات عديدة أهمها السعي لتجنيس ٥٠ ألف شخص غير شيعي سنوياً بحيث تصبح التركيبة السكانية معكوسة مع دخول عام ٢٠١٦م، وذلك من خلال تجنيس أشخاص غير شيعة من العراق (فلول صدام) وسوريا واليمن وباكستان وبنغلاديش ومصر والسودان، حيث يتم العمل على استقطاب ٣٠ ألف عراقي من الـ ١٢٠ ألف عراقي الموجودون في الأردن، واستقطاب آلاف السودانيين من الجالية السودانية الكبيرة التي تعمل في دول الخليج، وكذلك العمل على استقطاب ٤٥ ألف يمني، وتوفير جنسية مزدوجة لستين ألف سعودي، وآلاف القطريين، إلى جانب ٣٠ ألف باكستاني وبنغالي، و١٥ ألف من دول عربية مختلفة كسوريا والأردن ومصر وغيرها.^(٢)

ولم تسيطر فكرة التجنيس العشوائي على النظام الحاكم في البحرين إلا عندما وجد نفسه متورطاً في لعبة انتخابية لم تكن نظيفة بالأساس ووجد بأنه في حاجة

(١) مركز البحرين لحقوق الإنسان: التمييز والامتيازات في البحرين

(٢) مركز الخليج لتنمية الديمقراطية: البحرين - الخيار الديمقراطي وآليات الإقصاء/ الجزء

إلى صنفين من الناس: الذين يبيعون أصواتهم في الانتخابات لأسباب طائفية ومذهبية، والذين لديهم استعداد للدخول في الأجهزة الأمنية والعسكرية لقمع أية حركة معارضة حقيقية في البلد، ولذلك فقد ارتكز التجنيس على الطبقة السفلى من السلم الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والثقافي من المجتمعات الأخرى وليس على النخب أو الكفاءات كما تقوم بذلك الدول التي تريد مصلحة بلدانها وشعوبها.

الجدير بالذكر أن العملية الانتخابية أساساً فاسدة في البحرين فالدوائر الانتخابية تم تشكيلها بطريقة قبيحة وسمجة جداً ليس فيها أي منطق ولا ميزان عقلي أو ديمقراطي وصممت بحيث تكون النتيجة دائماً هي التالية: ٤٥٪ من النواب الشيعة يمثلون ٧٥٪ من الشعب (الشيعة)، و ٥٥٪ من النواب غير الشيعة يمثلون ٢٥٪ من الشعب (غير الشيعة)، أي سيكون ممثلي الأكثرية من الشعب هم الأقلية دائماً في البرلمان، والعكس صحيح، ولن يتم تعديل هذه الحالة كما يبدو إلا إذا انعكس الميزان السكاني وأصبحت الأقلية الحالية أكثرية سكانية وبالتالي لا يكون هناك خوف من أن تحوز أكثرية المقاعد التشريعية ضمن خريطة دوائر انتخابية أكثر منطقية.

الفصل الخامس

قراءة في الاستراتيجيات الشيعية للتغيير

الفصل الخامس:

قراءة في الاستراتيجيات الشيعية للتغيير

مطالب الشيعة:

إن التهميش والتكفير والتمييز والإقصاء والتشكيك في الولاء والاضطهاد والقمع والتجاهل والإساءات والقتل والذبح على الهوية وغير ذلك مما يقع على الشيعة قد ولد لديهم مجموعة من المطالب الأساسية والمصيرية في مختلف المناطق، وقد أشار غراهام فوللر^(١) في دراسته عن الشيعة العرب إلى أغلبها، وتبرز أكثر في الدول التي تمارس التمييز والتهميش ضد مواطنيها الشيعة في مختلف مناحي الحياة - كما أشرنا إليه في الفصل السابق، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١. المساواة في حقوق المواطنة وعدم اعتبارهم دخلاء وعملاء للخارج.
٢. إنهاء التمييز الموجه عليهم بمختلف أصنافه.
٣. الإصلاح الديمقراطي وتحكيم مبادئ حقوق الإنسان وتوفير آليات الحماية القانونية لهم (كما لغيرهم من المواطنين).
٤. معاملتهم كأقليات - في البلدان التي يكونون فيها كذلك - ذات حقوق دستورية وقانونية.
٥. إلغاء الطائفية السياسية الموجهة ضدهم، خصوصاً في الدول ذات الأنظمة العقائدية كالسعودية، والعمل على إشراكهم في المسؤولية والقرار السياسي،

Fuller: The Arab Shi'a (١)

وبالتالي يكونون «شركاء في الوطن» كما تطالب الحركة الإصلاحية في السعودية أو «شركاء في القرار» كما تطالب جمعية العمل الإسلامي في البحرين.

٦. العمل بالعلمانية السياسية التي لا تميّز بين أبناء الطوائف في الدول التي تدعي العلمانية كتركيا ومصر وتونس وغيرها وتحكيم القانون المدني.

٧. وأخيراً وليس آخراً التوقف عن تكفيرهم في الإعلام والمناهج التعليمية والاعتراف بكونهم أصحاب مدرسة فقهية دينية قائمة مستقلة ومستمرة.

مسارات استراتيجية:

بعد الحرب العالمية الأولى تمت صياغة هويات قومية جديدة - وفي بعض الحالات من فراغ - وذلك لتحديد أطر النضال ضد الاستعمار وتقرير طابع الدولة القومية التي ينبغي ارتداؤه. بالنسبة للشيعية ولا سيما عندما يكونون أقلية، كانت القومية العلمانية هوية جامعة شاملة كونها تعرفهم تعريفاً يرتفع بهم فوق المباحكات الجدلية القديمة ويساويهم بغيرهم من غير الشيعة في أعين الأمة. لقد عجز الشيعة عن الاستحكام بالعالم الإسلامي أيديولوجياً أو سياسياً وكابدوا آلام ومخاطر التهميش، وها هي الدولة الحديثة تريهم - كما هو مفترض - سبل التقدم إلى الأمام من دون حمل وزر هويتهم الدينية.

غير أنه تبين أن هذا الوعد وعد خادع مع جنوح الدولة الحديثة أكثر فأكثر نحو الاستبداد والتسلط، وإظهارها شغفاً باستخدام التخرصات الطائفية والمذهبية لتدعيم ركائزها السلطوية. لقد تخندقت الدول الحديثة في الفوارق نفسها التي أمل الشيعة أن تدمها، إذ عملت تلك الدول على تقوية مفاصل الحكم الطائفي وزيادة تهميش الشيعة، والأنكى من ذلك أنها أعطت قوة دافعة إضافية للطائفية. فالأفكار التأسيسية لتلك الدول وبالرغم من تلك الطبقة الرقيقة من الكلام المنمق عن الانصهار التي كانت تغطيها لم تتخذ ما يلزم من ترتيبات لاحتضان الطبقات المحرومة اجتماعياً واقتصادياً التي غالباً ما كانت بأكثريتها من الشيعة (كما كان الوضع في العراق ولبنان) وبقي التهميش يلاحق

الشيعية فيما هم يواجهون التمييز المأسس وألوان المضايقات والتحيز الشديد ضدهم في حياتهم اليومية.^(١)

وقد وجد الشيعة أنهم في صراعهم لمقاومة التهميش وخلق بيئة إنسانية طبيعية يعيشون فيها أنهم أمام أحد ثلاث خيارات: ففي المناطق التي يتعرضون فيها لسوء معاملة النظام اعتمدوا مساراً للتأثير على النظام ليصحح مواقفه تجاههم أو التخلص من تأثيره عليهم (كما كان الوضع في العراق والبحرين)، وفي المناطق التي يتعرضون فيها لسوء المعاملة من قبل فئات مجتمعية وطوائف دينية على المستوى الشعبي اعتمدوا مساراً للتأثير على المجتمع (كما في الكويت)، أما الحالة الأصعب فهي التي يعاني فيها الشيعة من السياسات والمعاملات الطائفية على المستويين الرسمي والمجتمعي فإنهم بحاجة إلى مواجهة هذه السياسات على كلا المستويين دون أن يكون لهم أمل كبير في أن تقف واحدة من الجهتين سنداً لهم في قبال الآخر (كما في السعودية ومصر).

وقد اعتمد الشيعة على استراتيجيات متنوعة في السعي لتصحيح أوضاعهم ومقاومة التهميش المسلط عليهم، هي كالتالي^(٢):

١ - التحرك من خلال الأطر السياسية المتاحة:

- في البحرين قدم الشيعة مطالبهم المتعلقة بتعديل الدستور وإيقاف التجنيس الطائفي وإيقاف السياسات التمييزية ضدهم عبر البرلمان الذي انضوا تحت قبته منذ تأسيسه (دخل مستقلون شيعة إلى البرلمان عام ٢٠٠٢م عندما قاطعت كتل المعارضة الأساسية الانتخابات)، واستخدموا الصلاحيات التي يتيحها لهم البرلمان ولكن بلا جدوى، فالبرلمان مصمم سياسياً ودستورياً على منطقتين اثنتين: الأول هو الاستقطاب الطائفي (وقد استدرجت الكتل الرئيسية للمعارضة إلى هذا الفخ) والثاني هو أن تكون المعارضة أقلية في البرلمان باستمرار وإن كانت هي الأكثرية في الشارع، وبالتالي فإن هذا الإطار

(١) نصر: صحوة الشيعة

(٢) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

القانوني المتاح لتحرك المعارضة الشيعية والتي عمادها الشيعة في البحرين هو في الحقيقة حصار قانوني.

إلى جانب ذلك استخدم البحارنة العرائض النخبوية والشعبية كما حدث عام ١٩٩٤م، وكذلك في الألفية الجديدة بعد خدعة الميثاق الوطني، كما قاموا بتأسيس الجمعيات الأهلية المدنية ذات البعد السياسي تعويضاً عن عدم السماح لهم بإنشاء أحزاب سياسية.

وحين لم يكن هناك برلمان ولا جمعيات سياسية ولا إعلام اجتماعي ولا ثورة في تكنولوجيا الاتصال الجماهيري كان الشيعة في البحرين يوظفون أندية المناطق والتي غالباً ما تلعب أدواراً رياضية وثقافية واجتماعية وكذلك الحسينيات والشعائر الحسينية في التعبير الجماهيري عن مطالبهم وقضاياهم ورغباتهم واعتراضاتهم، حتى أن بعض الباحثين كإسحق الخوري أطلق على هذين الصنفين من المؤسسات في البحرين بالمؤسسات شبه السياسية.^(١)

• وفي الكويت يستخدم الشيعة كذلك مجلس الأمة في طرح مطالبهم والتعبير عنها وكذلك في سعيهم لرفع مستوى نفوذهم السياسي، كما يستفيدون من مستوى الحرية الأرفع في دول الخليج للتعبير عن قضاياهم في الإعلام الرسمي والشعبي بشتى أصنافه.

• في السعودية عمل الشيعة على استثمار الانتخابات البلدية عام ٢٠٠٥م في تقوية مركزهم في مناطقهم ولذلك شاركوا فيها بقوة وحماسة وإضافة إلى ذلك طرّقوا باب العرائض التي كانت قد أصبحت متاحة ومسموحاً بها من أجل مخاطبة السلطة في مظالمهم كما حدث في عريضة «شركاء في الوطن» عام ٢٠٠٣م.^(٢)

• في تركيا يتحرك الشيعة من خلال البرلمان والأحزاب السياسية المرخصة (وإن كانت الأحزاب تؤسس على أساس علماني وليس ديني إلا أن لهم

(١) الخوري: القبيلة والدولة في البحرين

(٢) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

حضور قوي في العديد منها) ومن خلال الجمعيات التي تُعنى بإحياء الثقافة العلوية، وهي مظهر من الوعي الذي يزداد، للهوية العلوية، والرغبة في حضور أكثر فاعلية في الساحة السياسية والاجتماعية في تركيا.^(١)

- وفي باكستان كذلك اعتمد الشيعة على العمل البرلماني والدستوري والحزبي المصرح به في طرح قضاياهم والسعي من أجل تحقيقها ومواجهة التمييز السياسي والأمني الذي يشكون منه، ويعتمدون كذلك على هوامش الحرية المتاحة في حقل الإعلام وفي حقل المجتمع المدني.
- وفي لبنان الأمر شبيه بذلك فالشيعة هناك أصلاً هم على رأس الجهاز التشريعي النيابي، وذلك على المستوى الوطني أما على المستوى الطائفي فلديهم مؤسساتهم التي تمثل مصالحهم كالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ولديهم كذلك أحزابهم السياسية التي تسعى لتمكينهم وتعزيز مكتسباتهم والحفاظ عليها كحزب الله وحركة أمل، كما لديهم إعلامهم السياسي ومؤسساتهم المدنية والأهلية التي تساهم في إدارة وضبط مصالح وشئون الطائفة.

٢- الاحتجاج الجماعي السلمي وتوظيف المؤسسات الدينية:

- في البحرين اعتمد الشيعة أسلوب الاحتجاجات الشعبية بمستوياتها المختلفة (الاحتجاجات - الاعتصامات - الانتفاضة - الثورة) في مراحل عديدة من تاريخهم، ففي نهاية السبعينيات من القرن الماضي توسلوا بالمظاهرات الاحتجاجية التي لم تستمر طويلاً، وفي التسعينيات انتفضوا على واقعهم المر مع النظام الحاكم، ثم تحولوا إلى أسلوب الاعتصامات خصوصاً في عام ٢٠٠٥م، ولكن الذروة حدثت في بدايات عام ٢٠١١م حين انطلقت ثورة عارمة سمّيت بثورة ١٤ فبراير على مستوى جميع الفئات والطبقات والتوجهات لدى شيعة البحرين وذلك مع بداية ما عرف بالربيع العربي،

(١) نور الدين: الأقليات العرقية والدينية في تركيا

- واستمروا في ثورتهم برغم كل ما أصابهم من محن وآلام وتضحيات.
- وفي السعودية حدث شيء مشابه، ففي نهاية السبعينيات حدثت احتجاجات شعبية في المنطقة الشرقية ولكن سرعان ما أخمدت، ولكن الاحتجاج الجماعي الأكبر انطلق مع صعود موجات الربيع العربي وبالاخص مع تدخل جيوش السعودية ودول الخليج لقمع الثورة البحرانية، ولا زالت حركة الاحتجاجات مستمرة بالرغم من القمع الشديد وسقوط الضحايا، بل أن تحرك الشيعة في المنطقة الشرقية إلى جانب موجات الربيع العربي كان كما يبدو مشجعاً لبقية فئات المجتمع في السعودية للتحرك الاحتجاجي حتى في المناطق التي كانت تعتبر معاقل للوهابية كالقصيم والرياض ومكة المكرمة وغيرها من المناطق.
- وفي باكستان نزل الشيعة إلى الشوارع في بدايات عهد ضياء الحق حين حاول أن يفرض على الشيعة تسليم الحقوق الشرعية إلى الدولة تحت عنوان الزكاة إلى جانب محاولة فرض أحكام الفقه السني على الشيعة، فنزل عام ١٩٨٠ أكثر من ١٠٠ ألف شيعي لمدة ٣ أيام إلى شوارع إسلام آباد في نوع من الحصار على منشآت الحكومة الشيء الذي أدى في النهاية إلى خضوع الطاغية وتنازله عن فكرته^(١).

٣- محاولات التغيير بالسلاح:

- كثيراً ما يتم وصم التحركات الشعبية للشيعة التي تقع في شوارع البحرين بأنها ذات صبغة عنيفة، خصوصاً في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي وكذلك في ثورة ١٤ فبراير ٢٠١١م ولكن الحقيقة هو أن كل الذي يحدث هو عبارة عن عمليات سد شوارع وحرق إطارات وما أشبه مما يحدث في كل دول العالم عندما تنفجر الاحتجاجات الشعبية بسبب ظلم الأنظمة، ولكن لأن الصورة والصوت (الإعلام) كان في تلك السنوات حكراً على

(١) نصر: صحوه الشيعة

الحكومات العربية فقد كان يمكن وصم أي ناثر أو حركة احتجاجية بأي شيء دون أن يكون قادراً على إثبات العكس، والواقع أن مستوى الغضب الذي برز في ٢٠١١ فاق بدرجات كثيرة ما كان يحدث في الفترات السابقة ومع ذلك لم يتمكن أحد من أن يصفه بالعنف لأن في هذه المرة كانت الصور في متناول الجميع والحقيقة كانت تبث مباشرة.

ولكن حصل في الثمانينيات أن قرر البحارنة اللجوء إلى السلاح لتغيير الواقع الذي يعيشونه والظلم والاضطهاد الذي يتعرضون له، فكانت المحاولة الانقلاية الشهيرة عام ١٩٨١م والتي عملت عليها الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، إلا أن المحاولة كشفت ووادت في بداياتها، وولدت عنفاً مضاعفاً من قبل السلطة تجاه الشيعة والمعارضة على حد سواء.

الجدير بالذكر أن تلك لم تكن المحاولة الانقلاية الأولى على النظام في البحرين، فقبل ذلك حدثت محاولات من قبل حركات وعناصر ذات توجهات يسارية (في الستينيات والسبعينيات) وهي خليط من الشيعة والسنة، وبعد ذلك قيل بأنه تم اكتشاف محاولة انقلاية عبر عناصر من الجيش كانت تنسق مع قطر ولكن أيضاً تم اكتشافها مبكراً وخنقها في مهدها.

- في العراق بعد انتصار الثورة في إيران حاول الشيعة توظيف السلاح والقيام بعمليات عسكرية من أجل تحسين أوضاعهم هناك عبر مهاجمة النظام في مراكز قوته وإضعافه، إلا أن تلك المحاولات لم تكن ناضجة ولا مكتملة ولم تثمر الشيء الكثير، خصوصاً وأن النظام كان مستنفراً بكل طاقاته العسكرية والمدنية والسياسية طيلة عقد الثمانينات بسبب حربه الطويلة مع الجمهورية الإسلامية في إيران.

- وفي الكويت ارتأت بعض الفصائل الحركية الشيعية (حزب الله الكويت) أن الأوان قد آن لبدء مواجهة عسكرية مع النظام، فقامت بوضع عمليات ما بين ١٩٨٣ - ١٩٨٥ إلا أن ثمارها كانت ازدياد تشدد النظام تجاه الشيعة في تلك الفترة.

- وفي لبنان ولد التحرك الشيعي المسلح بصورة شبه طبيعية مع ما كان حاصلًا ومتفجرًا في كل لبنان من حرب أهلية، إلا أن التجربة اللبنانية كان لها مسار مختلف عن مسارات التحرك العسكري الشيعي في بقية الساحات، فالبوصلة لم تكن موجهة ضد النظام الظالم بقدر ما كانت موجهة ضد ٣ أشياء هي منظومة التهميش المهيمنة على البيئة الشيعية، ونيران الحرب الأهلية التي تضطرم من حولهم، والاحتلال الإسرائيلي.
- أما في باكستان فإن بعض الحركيين الشيعة قرروا في التسعينيات إنشاء تنظيمات مسلحة ترد على التنظيمات التكفيرية التي لم يكن لها من هدف إلا ذبح الشيعة وتفجيرهم بصور جماعية، كجيش الصحابة (سباهي صحابة) وجيش الأتقياء (لاشغر جانغفي)، فأنشأ الشيعة جيش محمد ﷺ (سباهي محمد) عام ١٩٩٣م إلا أنه كما يبدو لم يستمر لأكثر من ٣ سنوات، ثم أنشأ الشيعة الكشميريون (القسم الباكستاني) «حزب المؤمنين» للتعويض عن غياب «جيش محمد» ﷺ، وأنشأ شيعة البنجاب «المدافعون عن الإسلام» (باسباني إسلام)، وأنشأ آخرون «جيش إمام الزمان» (سباهي إمام زمان) إلا أن أغلب هذه الكيانات لم تستمر طويلاً وغابت مع الوقت عن الفعل الميداني بعد أن نفذت عدة عمليات أغلبها كان عبارة عن اغتالات لقيادات من جيش الصحابة وأمثالهم من التكفيريين النشطين ضد التجمعات المدنية الشيعية^(١).

٤- الاحتماء بالرعاية السياسية الخارجية:

وهذه وإن كانت دمغة ثابتة يتم وصم الشيعة بها في كل زمان ومكان - كما قام بذلك طاغية مصر المخلوع حسني مبارك في مقابلة صحفية ادعى فيها أن ولاء الشيعة في كل مكان هو ليس لأوطانهم - إلا أن الحقيقة هو أن التجربة الواضحة في هذا المجال هي تجربة شيعة لبنان حين شملتهم رعاية إيرانية عامة

مسنودة بتسهيلات سورية على المستوى العسكري، ولا يستغربن أحد من ذلك، ففي لبنان هناك رعاية لجميع الطوائف وعلى جميع المستويات، فللسنة السعودية ومصر وللمارونيين والمسيحيين فرنسا والولايات المتحدة وللدروز والعلويين سوريا، وقس على ذلك. وهذا طبيعي في بلد مكون من أقليات، فالأقليات على مدى التاريخ والجغرافيا كانت تسعى لتأمين نفسها عبر وضع نفسها في حماية قوى قادرة على ذلك، خصوصاً عندما تكون في وسط صراعات حادة أو تكون معرضة للقمع والظلم والاضطهاد.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك محاولات لخلق نوع من الحماية للأقليات الشيعية في البلدان العربية وغير العربية من قبل إيران باعتبارها القوة الإقليمية الشيعية الكبرى في المنطقة، إلا أن ذلك كان محدود الأثر بسبب العديد من الصعوبات والمعوقات، وإن كان يبدو بأن المراحل المقبلة قد تجعل ما كان صعباً سابقاً سيصبح أسهل منالاً بسبب التغيرات السياسية و الاستراتيجية الكبرى الجارية في المنطقة والعالم من حولها.

الفصل السادس

حالات ونماذج تمكين شيعية

الفصل السادس:

حالات ونماذج تمكين شيوعية

في هذا الفصل سنقوم باستعراض بعض حالات التمكين الناجحة ونسلط الضوء على أهم الاستراتيجيات والأدوات التي استخدمت لتحويل فئة مهمشة إلى متمكنة، ولكن قبل ذلك سنتعرض لحالة واحدة غير ناجحة لتوضيح الصورة من الجهتين السلبية والإيجابية.

حالة تمكين فاشلة لأكثرية شيوعية:

تهميش شيعة العراق في الدولة القومية بعد ثورة العشرين:

في عام ١٩١٧م بدأ الاحتلال البريطاني للعراق، وفي ١٩١٨م انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا والعثمانيين، وفي عام ١٩٢٠ بدأت الثورة الشعبية في العراق ضد الاحتلال البريطاني.

كان الشيعة يمثلون أكثرية شعبية منذ ذلك الوقت إلا أنهم كانوا يمثلون أقلية سياسية بمعنى أنهم كانوا مقصيين عن المشاركة في الحكم بل وفي كل ما هو مهم في مصير البلد، بل أن النظام العثماني الذي حكم العراق لأربعة قرون خلت لم يكن يعترف بالشيعة كملة من الملل بصورة رسمية، فقد كانوا موجودين فقط في قاموس القمع والاضطهاد العثماني.

وهذا الاضطهاد انعكس على الشيعة في صورة هزال تعليمي واقتصادي

وسياسي ونخبوي واجتماعي عام، ولولا وجود الحوزات العلمية في المدن المقدسة التي ولدت نخبة دينية فقهية لآلت الأمور إلى أسوأ من ذلك بكثير.

من جهة أخرى كان لدى البريطانيين المتصرين في حرب عالمية كل الإمكانيات التي جعلت منهم قبل ذلك إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس لعدة قرون، وكان لديها مشروع لتثبيت حاكم مسلم على العراق كانت قد اتفقت معه على كل ما هو مهم على قائمة مصالحها الاستعمارية.

النتيجة العامة والتي أصبحت تاريخاً معروفاً لدى الجميع هي أن الثورة قامت بقيادة علماء الشيعة وفقهائهم ومراجعهم، وانضوى تحت لوائها في البداية غالبية فئات الشعب العراقي بتنوعاته العرقية والمذهبية، إلا أنها خسرت المواجهة في النهاية وانتصر البريطانيون ومعهم الملك فيصل الذي كان قد أصبح ملكاً عام ١٩٢١م، ومعهم جموع الضباط السابقين في الحكومة العثمانية البائدة، وانهمزت قيادة الثورة وحملت أوزار الهزيمة التي انعكست على الشيعة بأكملهم وأدت إلى تهميشهم وإقصائهم عن المشاركة الحقيقية في الحكم الجديد واضطهادهم طوال ثمانية عقود قاسية من حكم الدولة القومية، وذلك بعد قرون من اضطهاد الدولة الدينية.

وكانت أبرز العلل التي أدت إلى ذلك التهميش والإقصاء، هي الأخطاء السياسية التي وقعت فيها المرجعيات الدينية، وبالتحديد الأمور التالية^(١):

١. التعويل في البداية على الملك فيصل كمنقذ للعراق من البريطانيين من جهة وعلى حماية الشيعة من اعتداءات الوهابيين من جهة أخرى، حيث كان معادياً هو أيضاً لهم. وبالرغم من أن المجتهدين الشيعة كالشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر اشترطا على الملك لدعمه أن يتعهد بإيقاف النفوذ الأجنبي في الحكومة الجديدة والتقيد بالبرلمان، إلا أن القاعدة العامة تقول «لا ولاء للملوك» وهذا ما حصل.

(١) يعتمد عرض هذا القسم بصورة أساسية على الاستنتاجات الواردة في كتاب «عبدالرزاق: الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي»، ونحن نقلها بتصرف.

٢. فصل العشائر العراقية التي تمثل صلب القاعدة الشعبية عن المرجعية الدينية، ففي البداية استخدمت المرجعية قوة العشائر بذكاء، فكانت القوة التي واجهت بها الحكم البريطاني منذ دخول القوات البريطانية عام ١٩١٤م، واستمرت مشاركة زعماء العشائر واتباعهم في النشاطات السياسية والصراعات المسلحة طوال ذلك العقد الاستعماري الأول.

ولم تكن العشائر آنذاك تمتلك خبرة سياسية أو إيماناً عميقاً بالقضايا المطروحة، بل كان يحركها حس وطني ممزوج بمصالح اقتصادية إضافة إلى ولاء كبير تكنه للمرجعية الدينية. إلا أنها شعرت بالتعب من استمرار المواجهة لتسع سنوات (١٩١٤ - ١٩٢٣م) واستمرار التضحيات والكفاح المسلح، ومالت إلى العودة إلى مزارعها وأعمالها اليومية، كما وأخذ بعض زعمائها يتطلع إلى الامتيازات التي يحظى بها الآخرون جراء اقترابهم من الحكومة والملك.

وقد التفت الملك فيصل إلى أهمية العشائر فباشر خطة زيارة رؤساء العشائر في مناطقهم وإغرائهم بالامتيازات والمناصب اذا ما وقفوا معه لإجراء انتخابات المجلس التأسيسي. وقد نجحت خطة فيصل، فجرد بذلك المرجعية من أقوى أسلحتها المادية في الصراع، إذ فقدت نفوذها القوي بين القبائل العراقية، وقد أثر ذلك في مواقف المرجعية اللاحقة حين اضطرت للتنازل عن تشدها بل اضطرت فيما بعد للانسحاب من المسرح السياسي وتعهدت بعدم مزاوله أي نشاط سياسي.

٣. نجاح البريطانيين وحكومتهم العراقية في فرز المرجعيات الشيعية إلى فارسية (ذوي أصول إيرانية) وعربية (ذوي أصول عراقية) ورفضها التفاوض في شئون العراق مع «الفرس» وحصره في المرجعيات العربية كالفقهاء من عائلة كاشف الغطاء والفقهاء من عائلة بحر العلوم، واعتزال المعسكر الأول للسياسة العراقية بصورة شبه كاملة فيما بعد، ومن خلال هذه الحالة تمكنت الدولة العراقية من فرض فصل شبه تام بين الدين والسياسة (بعكس

ما كان يحصل في إيران آنئذ) وحالت دون ظهور الفقهاء كقوة سياسية لعقود طويلة، ولذا لم يكن للمجتهدين دور يذكر في الثورة التي حصلت عام ١٩٣٥م.

٤. الخروج من العراق إلى إيران ثم العودة بشرط عدم التدخل في السياسة، فحين قامت الحكومة بنفي الشيخ الخالصي في تموز ١٩٢٣م وبدلاً من قيامها بتعبئة الجماهير وتعزيز حضورها بينها قامت بقية المرجعيات باتخاذ قرار الهجرة إلى إيران احتجاجاً على ما جرى للخالصي!! فأعاقت الحكومة مغادرة الشخصيات العربية وسهّلت مغادرة الإيرانية منها. لقد قدمت تلك الخطوة خدمة كبيرة للحكومة العراقية والإنجليز لأنهم كانوا يعانون من نفوذ المرجعية بين العراقيين واستمرار تأثير فتاوى تحريم المشاركة في الانتخابات عليهم، فغيابهم منح الحكومة فرصة ذهبية لإتمام الانتخابات دون معارضة المراجع أو معارضة قليلة من اتباعهم في المدن.

وحين شعر المراجع المهاجرون بأن ما قاموا به قلص نفوذهم وفتح الباب أمام منافسيهم النجفيين للهيمنة على الحوزة وأن دورهم وتأثيرهم في الساحة الشيعية سيضمحل اذا بقوا في إيران قرروا الرجوع، ففي قم كانوا يفتقدون المقلدين والأتباع كما أن الأموال التي معهم نفذت واضطروا إلى بيع ممتلكات كانوا يديرونها في النجف لتغطية نفقاتهم.

٥. إصرار المرجعية الدينية بزعامه شيخ الشريعة الأصفهاني على المضي بالكفاح المسلح ضد الإنجليز رغم التفاوت الكبير في ميزان القوى بين الطرفين، مما أدى إلى انتكاسة الجهاد وهزيمة مرة لحقت بالثورة في حين لاحت هنالك فرصة ثمينة للخروج من المواجهة مع الحفاظ على ماء الوجه.

فبعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي عرضت الحكومة البريطانية التفاوض من أجل إنهاء القتال، لكن شيخ الشريعة رفض ذلك المقترح على الرغم من أن أخباراً مؤكدة وردته تشير إلى عدم إمكانية الثوار الصمود ومواصلة القتال لأسباب مالية واقتصادية وتسليحية.

لقد كان بإمكان المرجعية في تلك الحالة أن تحافظ على موقعها وتزعمها للحركة الوطنية من خلال استمرار حضورها السياسي أثناء التفاوض مع ممثلي الحكومة، والاتفاق على شروط الصلح وإقرار السلم وحفظ مصالح الأمة والدفاع عن الثوار وعدم تعريضهم للعقاب الجماعي وعمليات الانتقام التي طالت قراهم ومزارعهم وأهاليهم.

لقد كان بإمكان المرجعية الدينية عبر الدخول في مفاوضات المشاركة في تقرير مصير العراق، ومدى مساهمة الإسلاميين في السلطة، وتغيير موازين التنافس لصالحها عبر إدخال ممثليها في الدولة واستلام مناصب حكومية، وكان بإمكان رجالات الثورة أن يكونوا شركاء في السلطة لا معزولين عنها.

٦. في النهاية اضطر بعض المجتهدين والذين كانوا يوماً ما أبرز قيادات الثورة إلى التوقيع على تعهد بعدم التدخل في الشؤون السياسية بالعراق، بعد ثلاث سنوات من هزيمتهم العسكرية والسياسية، واتسعت الهزيمة حين انسحب موقف العلماء ذاك على الفترة التالية حيث أصبح التدخل بالقضايا السياسية في عرف الحوزة العلمية من القضايا التي ينبغي الحذر منها، وانتشرت تلك المفاهيم في الأوساط الشعبية بحيث بات من الغريب أن يعمل أو يتدخل مجتهد أو متدين بالسياسة أو يدلي برأيه في قضية سياسية أو يشارك في حدث سياسي، كما أدى ذلك إلى حرمان الشيعة من المشاركة في المناصب الحكومية واستفرد الأقلية السنية بها لسنوات طويلة.

وقد سارت الدولة العراقية التي تحولت إلى أقلية سنية تحكم أكثرية شيعية على سياسة تهدف باستمرار إلى إقصاء الشيعة عن المشاركة في الحكم قدر الإمكان، وإبطال مفعول كثرهم العددية، فالدرس البليغ الذي استخلصته الدولة من ثورة العشرين هو ضرورة الفصل بين الدين والسياسة وعزل المرجعيات الدينية سياسياً وجاهيرياً وفصل القواعد الشيعية عن قياداتها وحوزاتها لكي لا يتكرر مرة أخرى ما حدث في ثورة العشرين.

وقد مرت عملية تهميش الشيعة بالمراحل التالية^(١):

- الاعتراف بالدولة: بعد اعتزال المراجع للسياسة بدأت محاولات الشيعة لوضع أنفسهم على الخارطة السياسية للدولة الجديدة، وبدأوا السعي للحصول على وظائف حكومية مما أذكى حدة التوتر بينهم وبين السنة، فحكام العراق السنة كانوا لا يضمون عادة في وزاراتهم إلا وزيراً رمزياً شيعياً واحداً طوال العشرينيات، وفي ١٩٣٠ كان الأكراد الذين يشكلون ١٧٪ من السكان يشغلون ٢٢٪ من المناصب بينما الشيعة الذين يشكلون أكثرية السكان كانوا يشغلون ١٥٪ فقط.

وإلى جانب السياسة الطائفية كان الشيعة يعانون من مشكلة داخلية نابعة من أوساطهم، فمراجع الشيعة كانوا قد أعلنوا حظراً على قبول المناصب الحكومية في إطار معارضتهم للوجود البريطاني في العراق والحكومة العراقية على النحو الذي شكلت به في أوائل العشرينيات، ففي مارس ١٩٢٠م اصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي فتوى حرّم فيها كل أشكال الخدمة تحت الحكم البريطاني، وفي عام ١٩٢١م حرم الشيخ مهدي الخالصي قبول مناصب حكومية معتبراً ذلك عملاً من أعمال التعاون مع الكفار، وظل هذا الحظر سارياً إلى عام ١٩٢٧م.

الجدير بالذكر أن غالبية الوزراء الشيعة الذين شاركوا في حكومات العشرينيات كانوا وزراء للتعليم، وسبب ذلك كما يبدو هو رغبة الحكومات العراقية في جرّ الشيعة إلى التعليم الحكومي العلماني كبديل عن التعليم الأهلي الذي يمر عبر الحوزات الدينية، لتخفيف أثر الحوزات وتعليمها على النخبة المتعلمة منهم.

- ثورة عام ١٩٣٥م: في عام ١٩٣٣م بدأت حالة من الاحتجاج لدى الشيعة بسبب صدور أكثر من كتاب يذم الشيعة ويصفهم بالفرس وبأن ولائهم

(١) يعتمد عرض هذه الحالة بصورة أساسية على التحليل الوارد في كتاب «نقاش: شيعة العراق» ونحن ننقله بتصرف عن الفصل الرابع والذي هو بعنوان: البحث عن التمثيل السياسي.

للخارج (هل يذكركم هذا بشيء!)، وفي نفس العام نشر إحصاء السكان الذي قام به البريطانيون والذي أكد بأن الشيعة هم أكثرية السكان، وفي نفس العام مات فيصل الذي كان يعتبر أداة لتخفيف الاحتقان بين الطائفتين، وفي نهاية ١٩٣٤م تم حل البرلمان في حركة كان الهدف منها إسقاط قسم من شيوخ العشائر الشيعية وإعطاء مقاعدهم التي تمثل مناطق ذات أغلبية شيعية إلى شخصيات سنية، فانطلقت ثورة مع بداية ١٩٣٥ واستمرت لحوالي خمسة أشهر ثم بعد ذلك إخمادها بشق تحالفات الثوار من جهة وبالقوة من جهة ثانية (ألا تبدو المشاهد مألوفة باستمرار؟).

- محاولة الوصول إلى السلطة: بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ونتيجة لتزايد احتجاجات الشيعة بدأ توظيفهم بأعداد أكبر في الحكومة ومجلس الأعيان والجهاز الإداري، ولكن حكام العراق قاموا أيضاً بتوسيع حجم الحكومة والجهاز البيروقراطي مؤمنين بذلك سيطرة السنة على جهاز الدولة، فمن مجموع ٦٤٥ منصباً وزارياً في ظل الحكم الملكي تبوأ الشيعة ١٨٢ منصباً، ورغم ارتفاع نسبة تمثيلهم في حكومات الخمسينيات إلى ٣٦٪ فقد ظلت أكثر المناصب الحساسة في يد السنة، وعلى حد قول سياسي سني للسفير البريطاني آنذاك هنري ماك بأنه كلما نشأت الحاجة إلى منصب رسمي جديد توجب استحداث منصبين واحد للسنة وآخر للشيعة.

في عام ١٩٤١ ولأول مرة تم تعيين شيعي كوزير للداخلية وهو صالح جبر، وفي ١٩٤٧م وبسبب دعم سياسي سني بثقل نوري السعيد عين جبر رئيساً للوزراء حيث رأى الساسة السنة بأنه سيكون الرجل المناسب للتعامل مع مهمة شاقة تتمثل في إعادة النظر في معاهدة ١٩٣٠م مع بريطانيا، وقد استطاع جبر تحسين وضع العراق في المعاهدة، إلا أنه ما أن انتهى من موضوع المعاهدة حتى تحرك الشارع السني ضده وقاموا بتخوينه تحت عنوان تفاوضه مع الإنجليز! وكان شعارهم الرئيسي (يسقط الرافضي) فما كان منه إلا أن استقال بعد ١٠ شهور من ولايته.

عام ١٩٥٠ شكّل توفيق السويدي حكومة كان فيها ٥ وزراء شيعة من أصل ١٢ وزير، إلا أن القلاقل السياسية التي تصاعدت مع اقتراب الانتخابات البرلمانية بسبب قانون الانتخاب اتخذت مبرراً لتدخل الجيش وحل الأحزاب وفرض الأحكام العرفية، وكان من نتيجتها ضرب كتلة صالح جبر وتهيمنة سياسياً وهيمنة السنة من جماعة نوري السعيد مرة أخرى على موازين السلطة.

- خيارات أخرى: بدأ الشيعة في البحث عن خيارات أخرى يمكنهم من خلالها لعب دور سياسي أكبر، فكان الحزب الشيوعي باعتباره معارضاً قوياً للحكومة ملاذاً للكثيرين منهم، خصوصاً وأنه كان يعارض ضم العراق لتحالفات إقليمية كمشروع الهلال الخصيب ومشروع الوحدة مع سوريا ومصر، فقد كانوا هم أيضاً يعارضون ذلك لخوفهم من أن يؤدي ذوبانهم في بحر أكبر من المجتمعات السنية إلى تهميشهم أكثر وإلغاء مشاركاتهم السياسية بصورة قاطعة، ولكن مع وصول عبدالكريم قاسم إلى السلطة عام ١٩٥٨م واعتماده على أحزاب شعبية كالحزب الشيوعي - بسبب افتقاره للتحالفات السياسية النخبوية - والتي أصبحت مقربة من السلطة أثار خوف قطاعات متعددة من الشعب العراقي وعلى رأسها المرجعيات الدينية الشيعية فبدأت حراكها وفتاوها ضد الحزب والشيوعية كعقيدة، خصوصاً عندما عملت الحكومة ومن ورائها الحزب على إصدار قانون موحد للأحوال الشخصية، ومهدت اضطرابات الساحة السياسية التي استمرت حتى عام ١٩٦٨م إلى انقلاب حزب البعث واستيلائه على السلطة مرة ثانية، وبدأت معه هيمنة السنة بحدّة أعلى، حيث شكّل الحرس الجمهوري كله تقريباً من السنة، وأصبحت نواة النخبة العراقية نخبة سنية تكريتيّة، ووقعت مراكز الدولة الحساسة تحت سيطرة سنية تكريتيّة محكمة.

حالة تمكين ناجحة لأكثرية شيعية:

شيعية العراق بعد إسقاط الدولة الطائفية عام ٢٠٠٣م:^(١)

عندما بدأ الغزو الأمريكي للعراق في مارس ٢٠٠٣م كان القرار الشيعي العابر لجميع المستويات والطبقات والتوجهات السياسية والدينية الشيعية هو عدم تكرار أخطاء ثورة العشرين.

ولذلك فقد أوعز المرجع الأعلى في العراق آية الله السيد علي السيستاني لشيعه العراق - وتفهم الشيعة ذلك واستجابوا له على نطاق واسع - بعدم التصدي للزحف الأمريكي على بغداد.

وقد فسر نائب وزير الدفاع الأمريكي بول وولفويتز بأن موقف السيستاني هو «لصالح أمريكا»، لكن الحقيقة هي أن إيعاز السيد السيستاني يومها كان خطوة أولى للمطالبة بالعراق للشيعة، فإسقاط صدام حسين وسلطته الطائفية المستبدة كان إيذاناً باختلال ميزان القوى القائم بين الشيعة وغيرهم، وبنهاية التسلط الطائفي الأحادي للعراق.

في العراق طرح السيد السيستاني نموذجاً بسيطاً للحكم قميناً بأن يقبله الجميع، انطلق من موقفه حيال مبدأ حكم الغالبية، وطالب بحكومة خاضعة للمسائلة وتمثيلية من شأنها أن تعكس الهوية الشيعية وتصونها، وكل شطر من هذه المعادلة يدعم الشطر الآخر، فأن تكون الحكومة خاضعة للمسائلة وتمثيلية معناه تمكين الشيعة من امتلاك السلطة، بينما عنت الهوية الشيعية تحصين تلك السلطة وترسيخها في الدولة والمجتمع على السواء.

أما نطاق وطبيعة الفقه الشرعي الشيعي في الدولة والمجتمع العراقيين فهي مسألة من المستحسن في رأيه ترك أمر البت فيها إلى وقت لاحق، وكان ذلك ميلاً واضحاً عن عموم الخيارات القائمة في المنطقة، فهو لم يفرض نظاماً مستبدًا

(١) يعتمد عرض هذه الحالة بصورة أساسية على التحليل الوارد في كتاب «نصر: صحوة الشيعة» ونحن ننقله بتصرف عن الفصل السادس والذي هو بعنوان: من الجزر إلى المد.

كالنظام البعثي الذي أسقط، ولا نظاماً يدعي المثالية والحلم بدستور قرآني مثلما يدعو المتطرفون الأصوليون من السنة، ولا مضى خلف فكرة ولاية الفقيه التي تؤسس الدولة على أساس ديني، وإنما حصر دور الإسلام في تأمين القيم والخطوط الهادية لنظام المجتمع، وفيما كان العالم غافلاً إلى حد بعيد عن أهمية ابتداعه هذا، كان هو يحمل إلى الشرق الأوسط الكبير بهدوء إنما بثبات مقاربة سياسية جديدة.

كان السيد السيستاني حريصاً على أن لا يظن به أحد أنه موال لأمریکا، وأنه لا يتردد في الوقوف في وجه السلطات الأمريكية عندما يتهدد هدفه خطر ما. وقد أوضح موقفه باكراً على هيئة فتوى أصدرها وتعلق بالمدى المتاح للسلطات الأمريكية في رسم مستقبل العراق:

«ليس لسلطة الاحتلال البتة حق اختيار أعضاء لجنة صياغة مسودة القانون الأساسي (الدستور)، وليس لأية سلطة تقوم من أجل لجنة صياغة كهذه أن تمثل بأية حال المصالح النبيلة للشعب العراقي أو تترجم إلى قوانين أمان الشعب العراقي وهويته الأساسية التي عمادها الدين الإسلامي الحنيف وقيم المجتمع. إن الخطة المطروحة حالياً على بساط البحث غير مقبولة من أساسها، وعلى ذلك تكون الانتخابات الشعبية ضرورية حتى يتسنى لكل عراقي بلغ سن الاقتراع أن يختار ممثله في الجمعية التأسيسية، وبعد ذلك لابد من المصادقة على أي قانون أساسي تضعه تلك الجمعية عبر استفتاء وطني. فاللازم على جميع المؤمنين أن يطالبوا بذلك، والجزم بصحة هذا التوجه هو الطريقة الفضلى التي تتيح لهم المشاركة في هذه العملية».

ومع ذلك وبالرغم من كل الضغوط الآتية من الشارع، لم يشغل السيد السيستاني نفسه بنزعة معاداة أمريكا، وإنما عمل مبكراً على رسم خطوط حول ما يسمح للولايات المتحدة أن تفعله على الصعيد السياسي في العراق، إنما دائماً باسم المبادئ الديمقراطية. وقال مجادلاً إن على الولايات المتحدة أن تتجنب اتخاذ أية خطوة من شأنها أن تعيق خيارات العراق الدستورية والسياسية في المستقبل،

طلما أن العمل بغير ذلك سيكون عملاً غير ديمقراطي.

وربما كانت تلك حركة تكتيكية تنم عن دهاء أريد بها تكبيل أيدي السلطات الأمريكية بخطابيتها عن الديمقراطية.

مع ذلك كان انتقاء السيد السيستاني للاستراتيجية والأسباب التي ساقها لرفض دفة التوجيه الأمريكية بالغة الأهمية، فهو لم يتوسل أسلوب الشيطنة والخطابات النارية وإنما استخدم فقط حجج وبراهين هادئة - مدعومة في بعض الأحيان بمظاهرات حاشدة حقاً إنما سلمية - عن البراغمية والحقوق والديمقراطية وحق تقرير المصير، وقد يكون أسلوب السيستاني هذا هو ما سيرسم الاتجاه العام لبسط سطوة الشيعة على العراق.. وفي المنطقة.

وللحفاظ على مصداقيته عند العراقيين تفادى السيد السيستاني أي تعاط مباشر وشخصي مع الولايات المتحدة، فرفض الاجتماع بالمسؤولين الأمريكيين، لكنه فوّض ابنه وعلماء شيعة كبار آخرين الاتصال بهم.

وأثبت انه ماهر في تثبيط همّة الحاكم الإداري الأمريكي المؤقت بول بريمر من خلال تحديّ الخطط الأمريكية لتسليم السلطة إلى عراقيين أمثال إياد علاوي وأحمد الجليبي اللذين كان السيستاني يشعر بأنهما يتعارضان ورؤيته لعراق شيعي. وحين أعلن بريمر أن الانتخابات الأولى ستعتمد صيغة المؤتمرات الحزبية لاختيار المرشحين لها، أصرّ السيد السيستاني على اعتماد صيغة «صوت واحد للناخب الواحد»، محاججاً بأن أي دستور يصار إلى تركيبة بوسائل أخرى «لن يكون شرعياً»، ومن أجل تدعيم وجهة نظره هذه أنزل حشوداً ضخمة لكن بصورة منظمة إلى شوارع بغداد لمدة خمسة أيام متتالية إلى أن تراجع بريمر، وعندما طلب هذا الأخير الاجتماع به لمناقشة أوجه الخلاف بينهما كان رد السيستاني مقتضب وجازم: «اسمع يا سيد بريمر، أنت أمريكي وأنا إيراني، أرى أن نترك الأمر للعراقيين فيضعون هم دستورهم».

التزم السيد السيستاني الحذر والتعقل، فلم يحاول أن يكون مصدر السلطة العليا بين الشيعة بل سعى بالأحرى إلى أن يكون وسيطاً نزيهاً وباني جسور

يستطيع أن يوصل الأصوات والتجمعات السياسية بعضها ببعض، ولم يحاول أن يضيف خطأً أو لوناً، بل اكتفى بتأمين القماشة التي يمكن للطائفة الشيعية أن ترسم عليها مستقبلها.

كذلك لم يجرب السيستاني أن يصنع دولة إسلامية، وإنما عمل فقط على منح الشيعة سلطة دستورية وقوة سياسية انتخابية بما يتماشى مع حجمهم الديمغرافي ومبدأ حكم الغالبية، أما الاستخدامات السياسية التي يمكن استنباطها من تلك القوة فكانت موضوعاً مؤجلاً إلى يوم آخر، فالسيد السيستاني لم يصادق على سياسيين معينين أو برامج محددة بل حدد الاتجاه العام للسياسة الشيعية العراقية. لقد ابتعد ساحة السيد السيستاني عن الصراعات والمنافسات الجانبية التي حصلت بين بعض الفصائل والتيارات الشيعية على مسائل تبدو أغلبها تفصيلية، فبقيت عيناه مسمرتان على الغنيمة الكبرى: تسليم العراق للشيعة، وحماية الهوية الشيعية عن طريق تجسيدها في الدستور الجديد والدولة الناشئة عنه.

كان من شأن مثل هذا الإجماع الشيعي أن يلم تحت مظلته متدينين وعلمانيين ورجال دين وإصلاحيين، ذلك أن الكل موافق على أن يكون للشيعة سلطة أكبر في البت بالأمور ولكل مجموعة بعد ذلك أن تجادل وتضغط وتنظم وتحالف داخل الطائفة وخارجها على السواء كي ترى خياراتها وقد اختيرت لتكون المخطط الهندسي لبناء العراق الجديد ما بعد صدام حسين.

وقد انضم الشيعة العراقيون إلى قوات الأمن الجديدة بالآلاف بل وبمئات الآلاف وقد شجعهم على ذلك زعماءهم. حتى السيد السيستاني حض الشباب الشيعي علناً على الالتحاق بالقوى الأمنية، وهو ما واطبوا عليه برغم العنف المتأجج في وجههم.

لقد اعتبر الشيعة الدولة الجديدة دولتهم ولم يكن هناك سبب يحملهم على عرقلة بناء الدولة بل بالعكس كان لديهم كل شيء ليكونوا الرابحين.

بالنسبة للسيستاني، الصحوة الشيعية على المستوى الإقليمي كانت تعني بناء هوية مشتركة لملايين البشر من عراقيين وإيرانيين ولبنانيين وباكستانيين وأفغان،

بغية انضاج المكاسب في الرأسمال السياسي الذي يمكن لمثل هذه الهوية أن تستتبعه حتماً.

و حين قام السياسي الشيعي وسليل الأسرة الدينية المعروفة محمد بحر العلوم وقصد السيد السيستاني في نوفمبر ٢٠٠٤م، وقف أمام السيد وضرب بعصاه بغضب في الأرض قائلاً: «لا يسعنا ترك عوائلنا هدفاً لهجمات الإرهابيين، إن لكل شيء حداً يقف عنده، وما أن يتخطى هذا الحد حتى لا يعود هناك غير الله وسلاحنا»، وطلب من السيد السيستاني أن يدعوا الجماعات الشيعية إلى الرد بالمثل.

هنا أجابه السيد السيستاني بنبذة هادئة: «لا تفعل ذلك أرجوك. كن متمدناً من فضلك. إننا لا نريد إشعال حرب أهلية. هذه هي النقطة الأهم على الإطلاق». ونزل بحر العلوم عند رغبة السيستاني، وقد التزم الشيعة بمجملهم على هذا النهج حتى عندما صدموا بتفجيرات الأماكن المقدسة في سامراء.

أن أداء السيد السيستاني يذكرنا كم أن القيادة تبقى خطيرة الشأن وكم أن الحقائق على الأرض ترتدي أهمية فائقة، وكذلك كم أن الشيعة باتوا مستعدين وتواقين إلى طرح انفسهم كلاعبين أقوى فعلاً وأشد حزمًا من أي وقت مضى في رسم صورة الشرق الأوسط المقبلة.

وعلى مستوى التحليل الجوهري تشير الصحوة الشيعية إلى اتفاق في الرأي بين الحكومات والحركات الشيعية مؤداه أن المكاسب المحققة في العراق لا بد من صونها وترسيخها، فالنتيجة المتحصلة من الحرب قد عادت بالنفع على الشيعة في كل المنطقة وليس على شيعة العراق وحدهم.

أن الصحوة الشيعية غير مقترنة بأي شكل مفرد من أشكال الحكم، فهي لا تدل لا على انتشار جمهوريات إسلامية ولا على احتمال أن يصبح العراق نموذجاً سياسياً للحكم في البحرين أو لبنان، فأهمية العراق لا تكمن في المسائل التفصيلية للحكم بقدر ما تكمن في العبرة المستفادة وهي أن الشيعة قادرون على المطالبة بالمزيد وفي وسعهم الحصول عليه. لقد أطلق العراق تفاعلاً كيميائياً متسلسلاً،

وهذا التفاعل سيشتغل على نحو مغاير في لبنان والبحرين والسعودية، لكن الحصيلة الإجمالية ستكون من دون أدنى شك قوة شيعية أكبر، ومزیداً من الصلات الثقافية والعری الدينية الظاهرة بجلاء على امتداد الحوض الشيعي المركزي.

حالة تمكين ناجحة لأقلية شيعية:

شيعية لبنان بدءاً من ستينيات القرن الماضي^(١):

إن قيام لبنان المستقل عام ١٩٤٣م واحتساب الطائفة الشيعية فيه على أساس أنها الطائفة الثالثة من حيث الترتيب الإداري من بين ١٨ طائفة لم ينعكس بأي اثر على وضعهم السياسي والاجتماعي، فبالرغم من كون منصب رئيس البرلمان اللبناني خصص لهم إلا أنهم كانوا من أقل الطوائف تمثيلاً في الحكومات التي شكّلت بعد الاستقلال، وكانوا في أدنى عتبات السلم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع اللبناني، وبقيت سياسات التهميش والتفجير تحاصرهم كقدر منصوص لسنوات طويلة (ففي الستينيات كان الشيعة يمثلون ٣٠٪ من عدد السكان ولكن لم يحظ الجنوب الشيعي سوى بـ ٧,٠٪ أي أقل من واحد بالمائة من ميزانية الدولة)^(٢).

ومع تطور الأحداث التي أصبحت تاريخاً معروفاً للجميع من انطلاق حركة السيد موسى الصدر إلى الحرب الأهلية إلى اتفاق الطائف، استطاع الشيعة أن يرفعوا تمثيلهم النيابي من ١٩ مقعد إلى ٢٧ مقعد (أصبحوا متساوين مع السنة) من أصل ١٢٨ مقعد يشكلون المجلس النيابي، ومع ذلك فإن الشيعة تقبلوا هذه النتيجة بتحفظ كبير، فقد كانت رغبتهم الأولى في الطائف هو إلغاء النظام السياسي الطائفي، أو في أقل الأحوال إعطائهم تمثيلاً فيه يوازي حجمهم السكاني

(١) يعتمد عرض هذه الحالة بصورة أساسية على التحليل الوارد في «Hazran: The Shiite community in Lebanon»، ونحن نقله هنا بتصرف.

(٢) غريب: نحو تاريخ فكري سياسي لشيعة لبنان

الحقيقي.

ومع تطورات السنوات القليلة الماضية بدا أن الوضع السياسي في لبنان أصبح بنسبة كبيرة في يد الشيعة ويتأثر بنفوذهم وقوتهم السياسية والاجتماعية والسكانية على الأرض، وأنه لا يمكن لحكومة أن تقوم أو تستمر بصورة طبيعية من دون موافقة القوى السياسية الشيعية هناك، بحيث تحول الشيعة من الفئة الأقل حظاً والأضعف موقعاً في لبنان إلى الفئة الأكثر نفوذاً وقوة وتأثيراً فيه، ويمكن الإدعاء بأن ذلك يعود لأربعة عوامل رئيسية:

١. الفورة السكانية للشيعة:

حين تم تنفيذ الإحصاء الرسمي الأول - والأخير - في لبنان عام ١٩٣٢م كانت نسبة الشيعة هي ١٩,٦٪ من عدد اللبنانيين، ولكنهم وصلوا إلى ٤٠٪ (بحسب Hazran أي ١,٦ مليون نسمة من أصل ٤ ملايين لبناني) بعد سبعة عقود عام ٢٠٠٥م.

إن أول من انتبه إلى إمكانية توظيف الفوران السكاني للشيعة بصورة إيجابية لصالحهم هو السيد موسى الصدر - رحمه الله - حيث أنه سعى للتناغم بصورة أكثر فائدة مع النظام الطائفي في لبنان من خلال محاولة تحويل القوة السكانية النامية للشيعة إلى قوة سياسية من خلال زيادة تمثيل الشيعة في صناعة القرار السياسي اللبناني، وفيما بعد في الثمانينيات حاول الأستاذ نبيه بري أن يوظف هذه الحالة بطريقة أخرى من خلال فكرة إلغاء النظام الطائفي برمته والتحول إلى نظام سياسي علماني، من دون أن يشطب فكرة التعايش مع هذا النظام إذا كان سيوفر مشاركة سياسية أكبر للطائفة الشيعية يعكس حجمها الواقعي على الأرض، وذلك من خلال مطالبة أمل وحزب الله فيما بعد بتقليص سن التصويت إلى ١٨ عاماً، لزيادة تأثيرهم الانتخابي.

من جهة أخرى، إن الخليط الذي تشكل من عاملين هما الزيادة السكانية للشيعة وهجرتهم المتزايدة إلى ضواحي العاصمة بيروت كنتيجة لمعاناة مناطقهم الأصلية طوال الحرب الأهلية وحقبة الاحتلال الإسرائيلي، أضاف إلى القوى

السياسية الشيعية مقداراً كبيراً من النفوذ والتأثير السياسي على العاصمة برمتها، فمع نهاية الحرب الأهلية كان نصف سكان بيروت من الشيعة، ولأن غالبيتهم كانوا من الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا فلم يكن من الصعب تعبئتهم في حراك سياسي من أجل تحقيق أوضاع أفضل لهم.

٢. النهوض العسكري للشيعة:

العسكرة في لبنان لم تكن يوماً ما شيئاً طارئاً على الحياة السياسية والعامة، ففي نهاية الخمسينيات كان اللبنانيون يخوضون غمار حرب أهلية، وفي السبعينيات كان الفلسطينيون يمثلون قوة عسكرية تناهز قوة الدولة وقد فرضوا ما يريدونه على من يريدون هناك لدرجة أنهم اعتبروا الجنوب «فتح لاند» في مقابل الجبهة الإسرائيلية، ومع بدايات الحرب الأهلية في منتصف السبعينيات تحركت القوى اليسارية بقيادة الزعيم الدرزي كمال جنبلاط عسكرياً وكانت على وشك إسقاط الدولة الطائفية وإقامة نظام علماني بديل، ولم يكن للشيعة في ذلك كله لاقاة ولا جمل سوى أن المعارك بأغلبيتها كانت تقع على أراضيهم وأنهم كانوا وقوداً لمحركة هذا أو ذاك.

ومع بداية الحرب الأهلية ووصول نيرانها إلى الشيعة وجدت قيادتهم آنذاك المتمثلة في السيد موسى الصدر المبرر الكافي لإنشاء أفواج المقاومة اللبنانية «أمل» لتكون درعاً مدافعاً على الأرض عن الشيعة ومصالحهم.

إلا أن الحدث الأبرز كان هو الانعطاف العسكرية الشيعية ضد الاحتلال الإسرائيلي، الذي بدأ في عام ١٩٨٢م واستمر بعد نهاية الحرب الأهلية، حينما شرع اتفاق الطائف لجهة واحدة من الشيعة هي «حزب الله» استمرار حمل السلاح في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي طالما بقي الاحتلال على أرضهم في الجنوب اللبناني، وقد توج ذلك الحراك العسكري بانتصار غير مسبوق عربياً عام ٢٠٠٠م حيث اندحر الإسرائيليون وخرجوا من لبنان بلا شروط ولا معاهدات سلام لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، ومن ثم بانتصار ٢٠٠٦م الذي فاق ما حدث قبل ست سنوات في آثاره ومفاعيله النفسية والسياسية

والاستراتيجية محلياً ودولياً، وحول الشيعة إلى طائفة يحسب لها ولمصالحها ألف حساب.

وبالرغم من الحالة المتقدمة التي برز فيها الشيعة في لبنان وانعكاس تموجاتها على مستوى العالم بأسره، لم يسعى الشيعة للهيمنة بالقوة على لبنان ككيان أو على الطوائف التي تشكّله، ولكن ذلك لم يمنعهم من التحرك في مايو ٢٠٠٨ لحماية أنفسهم مما كان يحاك ضدهم من مؤامرات سياسية دولية وتنفذ بأيادي محلية، والسيطرة على بيروت برمتها خلال ساعات، الشيء الذي دفع الأوضاع السياسية باتجاه اتفاق الدوحة، وانتج استحقاقاً سياسياً تمثل في إعطاء الشيعة صلاحية إسقاط أية حكومة من خلال آلية الثلث المعطل.

٣. التعبئة السياسية والاجتماعية للطائفة:

أحد أسباب تحلف الطائفة الشيعية في لبنان خلال عقود طويلة كان هو المنظومة القيادية للطائفة، والتي تمثلت في مجموعة من العوائل الإقطاعية والتجارية والسياسية والدينية التي هيمنت على قرار الطائفة ومصيرها منذ ما قبل الاستقلال، وبدل أن توظف قدراتها السياسية والمالية وغيرها لخدمة الطائفة قامت بعكس ذلك.

في الستينيات بدأ اختراق هذه المنظومة القيادية الفاسدة والفاشلة وتفكيكها بواسطة عاملين، الأول هو اختراق الأحزاب اليسارية المعارضة للنظام الطائفي للبنية المجتمعية الشيعية، والثاني هو قدوم السيد موسى الصدر، الذي وظف المزيج الثنائي الذي تشكّلت منه شخصيته وهما الحيوية السياسية والتمثيل الديني.

وقد قام السيد الصدر بشيئين ساهما إلى جانب حركته السياسية التي لا تهدأ في تعبئة البيئة الشيعية، الأول هو إطلاق مجموعة من المؤسسات البنوية الشيعية التي ساهمت في إطلاق عمليات تحسين للأوضاع الشيعية على مستويات عديدة اجتماعية واقتصادية وتعليمية وغيرها، والمثال الأبرز فيها هو المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ومجلس الجنوب، وحركة المحرومين، والثاني هو إطلاق خطاب

تعبوي استطاع أن يربط الهوية التاريخية للشيعية بواقعهم المعاصر من خلال توظيف الرموز الأساسية للشعائر والمفاهيم والشخصيات المقاومة للظلم في التاريخ الشيعي والناهضة في وجه الاستبداد والاستغلال واستحضارها في خطاب سياسي عنوانه الأساسي هو العدالة الاجتماعية، في صيغ تعبيرية واضحة، وأداء مثابر لا يكل ولا يمل.

وبالرغم من أن السيد الصدر تم تغييبه عن الساحة السياسية عام ١٩٧٨م بواسطة القذافي ومن تأمر معه من العرب، إلا أن قيام الحرب الأهلية التي شلت النظام السياسي الذي تعتمد عليه المنظومة القيادية التقليدية للشيعية، وهزيمة القوى اليسارية المطالبة بإسقاط النظام الطائفي واغتيال زعيمها كمال جنبلاط، مهد الطريق أمام القيادة الشيعية الجديدة المتمثلة في الأستاذ نبيه بري ومن وراءه حركة أمل في التصدي بصورة كاملة لقيادة الطائفة الشيعية.

ولم يلبث الأمر إلا قليلاً حتى جاءت بصورة متسارعة أحداث الثورة الإسلامية في إيران وانتصارها التاريخي وآثاره المعنوية والسياسية والثقافية، ومتبوعةً بالاجتياح الإسرائيلي للبنان، الشيء الذي مهد الطريق لظهور حزب الله على الساحة.

ومع كل هذه التطورات لم يكن أمام الشيعية وقياداتهم السياسية الجديدة إلا مسار يقوم على منهج واقعي في التعبئة وخطاب يقوم على عنوان المقاومة، والواقعية في ذلك تتضح عندما ننتبه إلى أن نظاماً اجتماعياً طائفيّاً لم يكن بالإمكان استقطاب دعمه ومساندته بأي شكل من خلال استخدام خطاب طائفي يخدم طائفة لوحدها في قبال الطوائف الأخرى، فكان استخدام خطاب ومنهج سياسي قائم على مقاومة إسرائيل هو الأداة الجامعة التي جعلت عموم اللبنانيين بمختلف طوائفهم يقبلون أو يتفهمون - بنسب متفاوتة - حالة التعبئة الشيعية، دون أن يسعوا لاعتراضها - مع أن اعتراض هكذا حالة كان قد بدأ يتلاشى كخيار عملي منذ فترة غير قصيرة.

لقد مرت على الطائفة الشيعية في لبنان ثلاث عمليات تعبوية، الأولى سياسية

محضة تمثلت في حركة الأحزاب اليسارية التي كانت تستهدف إسقاط النظام الطائفي واستبداله بآخر علماني، والثانية داخلية تقوم على إبراز الهوية وتمثلت في نشاط السيد الصدر ومن وراءه حركة أمل لتوظيف صيغة النظام الطائفي القائم لخدمة قضايا الطائفة، والثالثة دينية عقائدية تمثلت في النموذج الثوري الإسلامي لحزب الله، وكان السيد الصدر رحمه الله أول من نظم الجماهير الشيعية من خلال أطر سياسية ومجتمعية وأهلية.

٤. الرعاية الخارجية للطائفة:

في لبنان لم يكن الشيعة هم أول من بدأ في نسج علاقات مع قوى خارجية وإقليمية، فتاريخياً كان المارونيون قد أسسوا لتحالف تاريخي مع الفرنسيين، والسنة مع مصر عبدالناصر ثم مع سوريا والسعودية، وكان الذي أسس لعلاقات خارجية للشيعة مع قوى إقليمية هو السيد الصدر - وهو أساساً ذو أصول إيرانية - وذلك مع النظام السوري في عهد الراحل حافظ الأسد، وكان هدفه تقوية الوضع الداخلي للشيعة من خلال استقطاب الرعاية الخارجية.

وكان لقيام الثورة الإسلامية في إيران وانتصارها دور بارز في الانعطاف نحو الجمهورية الإسلامية في إيران كراع إقليمي للشيعة، خصوصاً مع ظهور حزب الله على الساحة.

وكان للرعاية الأجنبية أثر في تعزيز الوضع السياسي الداخلي لكل طائفة في لبنان، وبقدر ما يكون الراعي الإقليمي قوي تنعكس قوته على الطائفة التي يراها ويساندها.

ومع مرور الوقت أصبح للشيعة راعيان إقليميان هما سوريا وإيران، وقد ساهمت هذه الرعاية كثيراً في تحسين أوضاع الشيعة السياسية والعسكرية والمالية والدينية والاجتماعية والثقافية بشكل كبير على مدى السنوات التي امتدت منذ زمن الحرب الأهلية وإلى يومنا هذا.

إن الرعاية الإيرانية هي التي غطت دينياً وعسكرياً انطلاقة حزب الله، وهي التي وفرت الغطاء المالي للعديد من المؤسسات الحزبية والاجتماعية والتنمية

والثقافية، والرعاية السورية هي التي سهّلت للحزب الاحتفاظ بسلاحه بعد اتفاق الطائف، وكلا الرعايتين كان لهما دور كبير وأساسي في توفير السلاح وتسهيل وصوله إلى المقاومة في لبنان في شتى الظروف والأوقات، حتى في أحلكها أثناء عدوان ٢٠٠٦ على لبنان.

ومع ذلك فللرعاية أحياناً ثمن قد يكون غير مرغوب فيه، فالشيعة اضطروا إلى التنازل عن مطلبهم الأساسي المتمثل في إلغاء النظام الطائفي السياسي في لبنان، وقبول استمرار التعايش معه رضوخاً عند إصرار الحليف السوري، ولكن هذه هي طبيعة التحالفات الاستراتيجية القائمة على تقديم وتأخير الأولويات بحسب ما تقتضيه الأوضاع والمصالح المتبادلة.

القسم الثالث

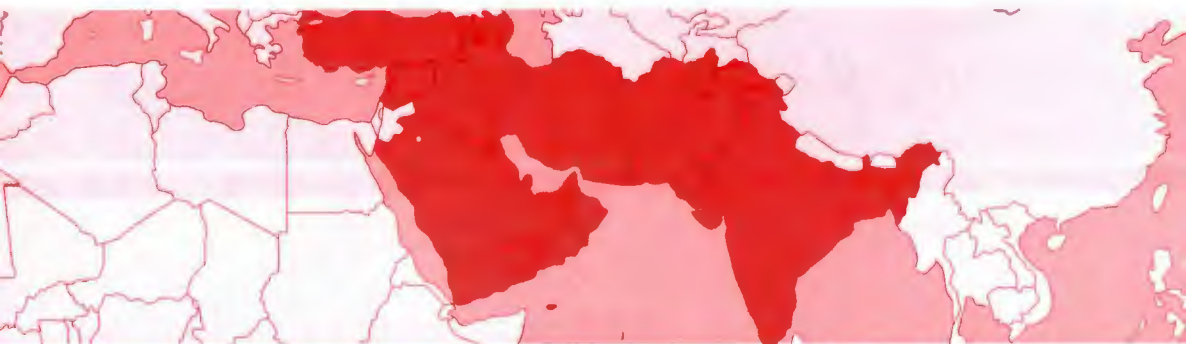
استراتيجيات تمكينية

الفصل السابع: مسارات التقدم في البيئة الشيعية

الفصل الثامن: مسارات التأزم في البيئة الشيعية

الفصل التاسع: العلاقات التفاعلية البينية للشيعية حول العالم منذ عام ٢٠٠٣م

الفصل العاشر: استراتيجيات التمكين الشيعي





الفصل السابع

مسارات التقدم في البيئة الشيعية

الفصل السابع:

مسارات التقدم في البيئة الشيعية

في هذا الفصل سنحاول أن نتعرف على المسارات التي يمكن أن يتقدم فيها الشيعة أو يوظفوها لتقدمهم، بمعنى آخر سنستعرض ما نرى بأنه نقاط قوة في الوضع الشيعي العام، وما يشكل فرص إيجابية لهم.

أولاً: نقاط القوة

هناك مجموعة من نقاط القوة في الوضع الشيعي العام يمكن توضيحها في العناوين التالية:

١. الانتشار الجغرافي:

يتنشر الشيعة كما أشرنا سالفاً على مستوى العالم أجمع، وهم موجودون تقريباً في كل مكان توجد فيه يابسة، وإن كان انتشارهم يتفاوت في الدول بين عشرات الملايين هنا ومئات الأشخاص هناك، إلا أنه اليوم ومع كل هذا الفضاء المفتوح والعولمة المتشابكة، يمكن لفرد واحد أن يقوم مقام أمة في التأثير والنفوذ، مما يعني أن قلة الوجود الشيعي في بعض الأماكن لا تلغي إمكانية توليد فاعلية وتأثير كبيرين له.

والانتشار الجغرافي الكوني للشيعة له مضامين عديدة، أهمها:

• أن الشيعة هم واقع عالمي محسوس وقائم، عقائدياً وسياسياً وحقوقياً وثقافياً، بحيث لا يمكن إنكاره أو تجاهله أو القفز عليه أو حصاره، لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا إعلامياً ولا عقائدياً. وفكرة إلغاء الشيعة أو نكران وجودهم أو ادعاء أنهم مذهب في طريقه إلى الانقراض أو أنه فارسي مجوسي صفوي الأصل وغير ذلك من الخزعبلات التي كانت تروج في خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضي، لم تعد تنطلي إلا على البكتيريا المتراكمة في مخ من يطلقها - هذا إن كان لديه مخ أصلاً.

• إن هذا الانتشار يوفر مساحة سياسية واقتصادية وحقوقية وثقافية أوسع للتضامن والتعاقد والتكاتف بين الشيعة أنفسهم وفي قضاياهم والمسائل التي تتعلق بهم وتهمهم، وهذا بدا واضحاً مثلاً في التضامن الشيعي العالمي مع ثورة البحرين التي انطلقت في ١٤ فبراير ٢٠١١م حيث أنها بالرغم من تجاهل الأنظمة والمجتمعات التكفيرية والطائفية الشرقية والأنظمة الاستكبارية الغربية لها، إلا أنها حصلت على تضامن سياسي وحقوقى وإعلامي واسع بدءاً من حدود أستراليا شرقاً إلى حدود الولايات المتحدة غرباً ومن حدود الدول الإسكندنافية شمالاً إلى مجتمعات وسط أفريقيا جنوباً، استطاع أن يخرجها من شرنقة الحصار والقمع المهل والتشويه المتعمد على أيدي النظام الخليفي وحلفائه الإقليميون والدوليون، وكان قاعدة التحرك والفعل لهذا التضامن هو الوجود الشيعي المبارك المنتشر على نطاق هذه المساحات كلها.

• هذا الانتشار يمكن أن يتحول إلى أداة لتوزيع الأدوار على المواقع الجغرافية ومواردها، فكما أن هناك في عالم التجارة العالمية ما يسمى بالأقاليم الإنتاجية - مجموعة دول تنتج الأطعمة وتتاجر بها، ومجموعة أخرى تنتج المصنوعات الجلدية والنسيج، و... الخ - يمكن كذلك بالنسبة للشيعة أن يوزعوا الأدوار على مجتمعاتهم المتنوعة والمتفرقة في أنحاء العالم، فيكون لبعض المجتمعات أو الأقاليم طابع الفعل والتأثير السياسي على المستوى الشيعي، وبعضها طابع

التأثير الاقتصادي، والأخر علمي، وهكذا، ولا يعني ذلك أن من يقوم بالفعل السياسي يهمل الاقتصاد أو العلوم أو ما أشبه، وإنما يكون له الدور الأساسي في ذلك، وهذه نقطة موجودة جزئياً في الواقع الشيعي، فالعراق وإيران اليوم يشكلان الإقليم الثقافي الشيعي على مستوى الثقافة الشيعية الدينية والفقهية وهما الذين يغذيان العالم الشيعي برمته في هذا المجال ويبدو أنهما سيحافظان على المركز إلى ما لا نهاية بسبب مجموعة من العوامل التاريخية والدينية وغيرها، بينما يمكن للمجتمعات الشيعية الموجودة في العالم الغربي أن تقوم بدور آخر يناسبها، والموجودون في الشرق الأقصى بدور مكمل ثالث، وهكذا، بحيث يتولد ما يمكن أن يطلق عليه في المستقبل بالأقاليم الوظيفية الشيعية التي تساند وتكمل بعضها بعضاً وتتم الاستفادة من مواردها وقدراتها جميعاً لخدمة النهضة الشيعية ومصالح الشيعة في كل العالم.

- إن توزع المجتمعات الشيعية في مختلف جهات العالم يوفر فرص للتبادل والتعاون البيئي اقتصادياً واجتماعياً وأكاديمياً وغير ذلك، وهذا الشيء يساعد على رفع الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية للمجتمعات الشيعية الفقيرة أو المستضعفة أو المهمشة، ويفتح أمامها أبواب لفرص ربما أغلقها عليهم آخرون.

- توفر بيئة حاضنة للمغتربين الشيعة، فالكثير من أبناء الشيعة الذين يغتربون في سبيل توفير لقمة العيش أو طلب العلم أو فراراً من الظلم والقمع أو لنشر العقيدة أو للعلاج أو لغير ذلك يكون أول همهم هو أن يجدوا مجتمعاً دينياً وثقافياً واجتماعياً يتألفون معه، خصوصاً إذا كان الاغتراب قد حصل في موسم من المواسم الدينية والشعائرية كموسم الصيام في شهر رمضان المبارك أو موسم إحياء ذكرى عاشوراء الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام في شهر محرم الحرام أو ما شابه ذلك. وهذا الانتشار الجغرافي الواسع بما يستلحقه من مؤسسات وأنشطة وفعاليات يوفر ملاذاً وحاضنة للمؤمنين الشيعة وأسراهم حيثما حلّوا وآتوا واجدوا.

• الانتشار الجغرافي يوفر فرصة للشيعية للتفكير الجمعي والفعل الجمعي بمساحة عالمية، فلا يكون هم الواحد منهم أو تفكيره محصور فقط بوضعه الفردي أو ضمن نطاق مجتمعه مهما كان كبيراً، فالعالم اليوم كله يفكر بصورة جماعية سواء على مستوى الطوائف أو الأقاليم أو القارات أو التحالفات، والطرف الضعيف اليوم هو الذي يتصرف على نحو فردي أو معزول، ولا يمكن أن تكون ندأ لمن حولك وأنت فرد مقطوع بينما كل من حولك يتصرف على أساس أنه جزء من كيانات دولية وعالمية، وفي الحديث الشريف: «الشاردة للذئب».

• وداعاً للغياب أو التغييب - فالانتشار والحضور العالمي يوفر القدرة على التمثيل الحضور للشيعة في كل مكان وزمان وحدث، وبالتالي لن يكون من اليسير أن يغيب الشيعة عن أية قضية تهمهم على مستوى العالم أو يحذف دورهم أو تأثيرهم منها، خصوصاً إذا كان لديهم تنسيق بيني عام لشئونهم كطائفة.

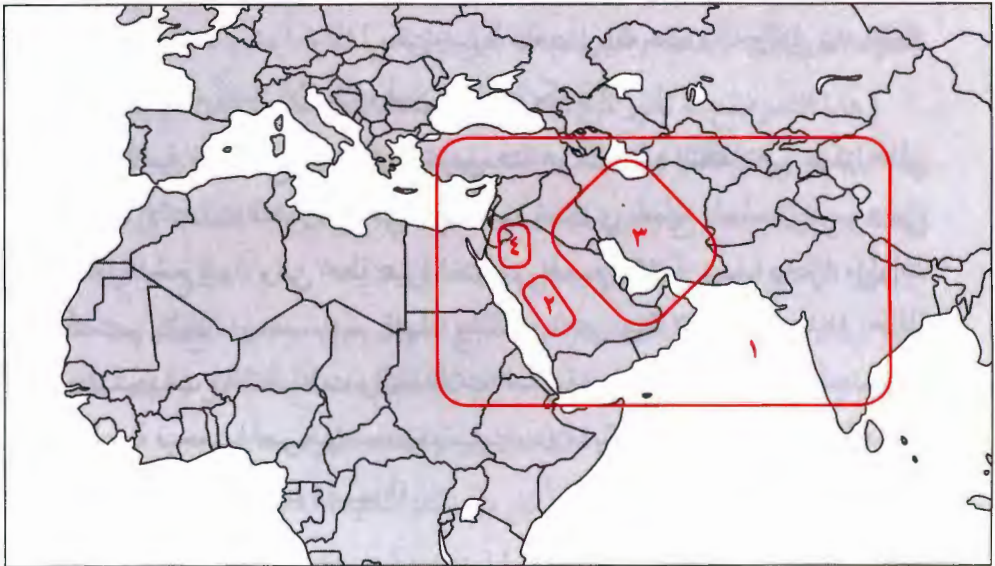
• توفر فرصة لتبادل التجارب الثقافية والاجتماعية والسياسية مع العالم كله، فالانتشار بين مئات المجتمعات التي تمثل قدراً واسعاً من الثقافات والتقاليد والمعارف والأفكار، وانتقال هذه التجارب الإنسانية مع حركة الشيعة البينية في مواسم الزيارات والحج ومراكز العلم والحوزات وصياغتها بما يتلاءم مع الثقافة الشيعية، يوفر منصة كبيرة للتقدم والتفاعل مع العالم والاستفادة من كل ما هو صالح ومفيد في أرجاء المعمورة، كما أن العكس كذلك صحيح، فالشيعة يمكنهم من خلال انتشارهم الواسع أن ينقلوا للمجتمعات الإنسانية تجاربهم ورؤاهم وعقائدهم الصحيحة والسليمة التي يمكن أن تكون خير بديل وعلاج للأفكار السقيمة والصور النمطية عن الإسلام التي ساهم في نشرها وعززها التكفيريون والقتلة وأصحاب الفتاوى العجيبة والغريبة التي تأنفها النفس البشرية والتي جعلت من الدين الإسلامي هدفاً للسخرية والاستهزاء في عصر الإعلام والصورة العالمية.

٢. التموضع الاستراتيجي:

هناك أربعة تموضعات مهمة واستراتيجية للشيعية، هي التموضع الجغرافي والديني والاقتصادي والسياسي.

شكل ٧-١

خارطة توضح التموضعات الاستراتيجية للوجود الشيعي



توضح الخارطة التموضعات التالية:

١. التموضع الجغرافي
٢. التموضع الديني
٣. التموضع الاقتصادي
٤. التموضع السياسي

التموضع الجغرافي:

يتموضع الثقل الشيعي في وسط العالم الإسلامي، بل أن ما يسمى اليوم بالشرق الأوسط^(١) وهو قلب العالم الإسلامي المشكل من ستة عشر دولة يضم إثني عشر دولة من دول الحوض الشيعي، وهذا التوضع يمثل الجغرافيا التأسيسية للحقب الأولى من التاريخ الإسلامي برمتها، والشيعية متواجدون في قلب هذه الجغرافيا منذ اليوم الأول لنشأة الإسلام، وكل المذاهب والعقائد والنحل الأخرى إنما تشكلت بعدهم بعقود أو قرون، فهم أصل الإسلام نهجاً وحقيقةً وكياناً وبشراً، وإذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وشيعتهم هم أصل الإسلام، فمن ذا الذي يكون؟!

وأهمية التوضع الجغرافي الشيعي هنا هو أن هذه المنطقة هي مركز عالمي لحركة الانتقال والعبور، بل هي محطة عبور إجباري لجميع المسلمين بسبب وقوع منطقة الحج فيها، وهي محطة عبور اختياري لجميع الشيعة بسبب وجود مزارات أئمتهم عليهم السلام ومقدساتهم فيها، ولذلك تعتبر بيئة حيوية متجددة حافلة بالمستجدات والاتصالات والتفاعلات البشرية، وذلك ينعكس على المجتمعات الشيعية فيجعلها حيوية ومتجددة باستمرار، وما يكون كذلك لا يمكن التصدي له أو إيقاف حركة نموه بسهولة.

التموضع الديني:

يتواجد الشيعة منذ بداية التاريخ الإسلامي وإلى يومنا هذا في أهم البقع الدينية بالنسبة للمسلمين ولأتباع ومحبي أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين، فالشيعة هم مكّون أساسي وأصلي من سكان الحجاز والمدينة المنورة والتي هي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله والمركز الذي انطلقت منه العقيدة الإسلامية إلى كل العالم، وتحوي قبر رسول الله وابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وعدد من أهل بيته وقبور أحفاده عليهم جميعاً الصلاة والسلام وعلى

(١) وهو ما يمثل الشرق العربي بالإضافة إلى مصر وإيران وتركيا

رأسهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله وحفيده وسيد شباب أهل الجنة ، ولا يمكن لأي مسلم خلال حقب التاريخ كلها أن يؤدي الحج إلا ويزور بعد ذلك المدينة المنورة ليتشرف بالحضور عند رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

وكذلك تركز الشيعة طوال التاريخ في العراق الذي يضم مقامات ستة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام والإمام الحسين بن علي عليه السلام حفيد رسول الله ﷺ وسبطه وسيد شباب أهل الجنة.

وهذا التوضع له تأثير كبير جداً على المجتمعات الشيعية فهو قد جعل من هذه المناطق مراكز تأثير في المسلمين الشيعة وغيرهم من أصحاب الفرق الأخرى المنتشرين في كل بقاع الأرض، فالتجمع الذي يحصل في كربلاء المقدسة في ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام وصل حجمه في عام ٢٠١٠م^(١) إلى حوالي ١٥ مليون زائر، منهم ٣٥٠ ألف زائر من خارج العراق، وفي موسم الحج إلى بيت الله الحرام وصل عدد الحجاج في عام ٢٠١٠م (بما فيهم حجاج الداخل وفيهم مئات الألوف من الشيعة) إلى حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون حاج.

كما أن هذا التواجد يلقم حجراً كل من يكفر الشيعة، فكيف يستقر الكفار في قلب المقدسات الإسلامية طوال ١٤٣٤ عام وكيف يحجّون ويعتَمرون في كل سنة وعلى طول التاريخ وكيف يمارسون عباداتهم وشعائرتهم وعقائدهم الدينية الصحيحة والصريحة دون أن يتمكن من ردعهم أحد لولا أنهم فعلاً مسلمون ويمثلون الطريقة والمنهاج الذين أتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم وفي سنته النبوية الشريفة.

لقد مر على العراق وأرض الحجاز أشد الحكام بغضاً وظلماً للشيعة كالأُمويين والعباسيين والعثمانيين والصداميين والوهابيين، وهؤلاء كلهم عملوا على اضطهاد الشيعة ومحاصرتهم وقمعهم والتحريض عليهم، وكانوا خلال حقب

(١) عن قناة الفرات الفضائية العراقية، نقلاً عن محافظ مدينة كربلاء المقدسة

طويلة أصحاب اليد المطلقة في هذه المناطق وغيرها التي يتواجد فيها الشيعة ومع ذلك لم يستطيعوا أن يزحزحوا الشيعة عن عقائدهم ولا عن مراكزهم قيد أنملة، ومضوا كلهم إلى حساب ربهم وبقي الشيعة وسيبقون دائماً ثابتون كالأطواد في أوطانهم وبلادهم وحاضراتهم الأصلية والمباركة.

التموضع الاقتصادي:

تموضع كتل سكانية كبيرة من الشيعة في أحواض النفط الكبرى في العالم كالخليج الفارسي^(١) وبحر قزوين، ففي الخليج مثلاً تشكل الكتل السكانية الشيعية ثلثي البيئة السكانية لأحواضه النفطية، وهو أحد أضلاع المثلث الاستراتيجي الذي يضم ثلاث مناطق كبرى لإنتاج النفط والغاز في العالم هي الخليج الذي يمتلك حوالي ٦٥٪ من مخزونات النفط المعروفة في العالم (حوالي ٢٥٪ في المنطقة الشرقية، و١١٪ في العراق، و٩٪ في كل من الإمارات العربية والكويت و٨,٥٪ في إيران)، وحوض بحر قزوين الذي ينتج قليلاً من النفط في الوقت الحاضر لكنه يمتلك مخزونات هائلة من النفط والغاز الطبيعي، وشرق آسيا الذي يحتوي على عدد من الحقول القائمة ويضم بشكل كامن مخزونات كبيرة في بحر الصين الجنوبي^(٢).

(١) المعروف على طول التاريخ أن الخليج يحمل اسم «الخليج الفارسي» أو «خليج فارس» كما هو مشار إليه في الكتابات والخرائط القديمة، ولا زالت إلى اليوم جميع الأطراف والكيانات والشخصيات الثقافية والسياسية في العالم تطلق عليه هذا الاسم إذا مرت على ذكره حتى لو كانت تلك الجهات معادية لإيران، وحتى الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر كان يستخدم هذا الاسم في خطبه السياسية، والوحيدون الذين يصرون على تبديل اسمه إلى الخليج العربي هي دول مجلس التعاون الخليجي ووسائل الإعلام التي تستلم منها الأموال والرشاوى، وكل من يسعى لتحاشي الإحراج السياسي حول الموضوع يقوم بإطلاق لفظ «الخليج» فقط عليه بدون كلمة فارسي أو عربي.

(٢) كبير: الحروب على الموارد

جدول ٧-١

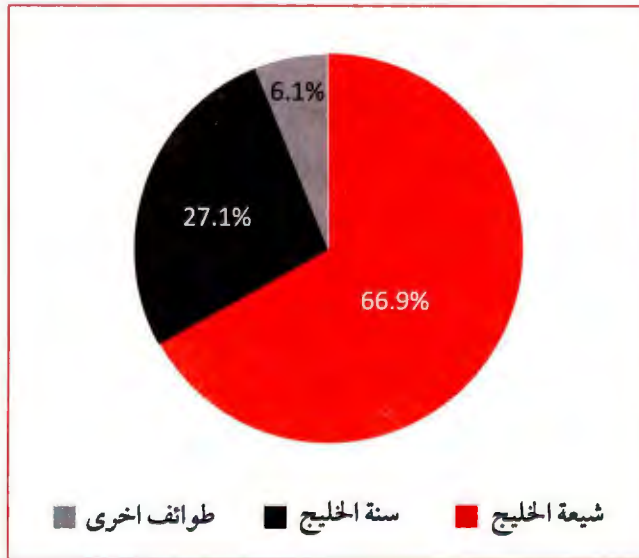
يبين نسبة الشيعة في الخليج

مجموع سكان دول ضفتي الخليج يتجاوز 153 مليون نسمة

شيعه الخليج	102,482,662	66.9%
سنة الخليج	41,479,538	27.1%
طوائف اخرى	9,336,962	6.1%

شكل ٧-٢

رسم بياني يبين نسبة الشيعة في الخليج



ويعتقد كثير من الجيولوجيين أن الاكتشافات المستقبلية ستزيد من المخزون الصافي لمنطقة الخليج. إن مكان نفط الخليج هي أيضاً عالية التركيز ومتموضعة قريباً من السطح، ما يعني أنها من بين الأماكن الأسهل اكتشافاً وتطويراً.

مع تقدم القرن ستصبح الدول المستوردة للنفط أكثر اعتماداً على إمدادات الطاقة من الخليج. فوفقاً لوزارة الطاقة الأمريكية، سوف تزداد الواردات العالمية من بترول الخليج بأكثر من الضعف فيما بين ١٩٩٧م و ٢٠٢٠م، من ١٦,٣ إلى ٣٦,٤ مليون برميل يومياً، ومن غير المتوقع أن يشهد كل بلد ارتفاعاً كبيراً في الواردات من منطقة الخليج، لكن بالنسبة للبعض ستكون الزيادة هائلة، فالواردات الصينية مثلاً يتنبأ لها أن تقفز بنسبة ٩٦٠٪ على مدى العقدين التاليين، من ٥,٣ إلى ٥,٣ مليون برميل يومياً.

أما على حوض بحر قزوين فإن الاحتياطيات المحتملة للنفط فقط دون الغاز تضع آذربيجان وإيران في المرتبة الثالثة والرابعة بعد كازخستان وتركمانستان (الاحتياطيات المحتملة لآذربيجان ٣٢ مليار برميل، ولإيران ١٥ مليار برميل).

في عام ١٩٩٧م أبلغت الحكومة الأمريكية الكونغرس بأن حوض قزوين يضم كمية كبيرة من النفط تبلغ ٢٠٠ مليار برميل أي حوالي عشرة أضعاف الكمية الموجودة في بحر الشمال وثلث الاحتياطيات الإجمالية للخليج.

والمعروف بأن وجود النفط لا يعني استخراجه فقط، فهو يمكن توظيفه اقتصادياً وصناعياً وسياسياً واجتماعياً، ولا يتوقع لمناطقه خصوصاً في الخليج أي نوع من الاستقرار السياسي والأمني خلال المستقبل المنظور خصوصاً بعد ثورات الربيع العربي، وذلك بسبب الغبن الفاحش والنهب المتواصل والظلم المكشوف الذي تمارسه الأنظمة المتسلطة حتى الساعة عليه والتي تقوم بحرمان مجتمعاتها من ٩٩٪ من خيرات وثروات أوطانهم وتستأثر بها لأفراد عوائلها الحاكمة، ثم تشارك الفقراء أيضاً في بقية ١٪.

التموضع السياسي:

يتموضع الشيعة في منطقة ذات حساسية استراتيجية من الناحية السياسية وهي قسم من بلاد الشام تحاذي فلسطين المحتلة، وهذا التموضع فرض عليهم وضعاً سلبياً تحول إلى إيجابيا بعد أن استنهضوا أنفسهم على مدى عقود وأخذوا زمام المبادرة في إصلاح وتعزيز أوضاعهم وتمكين أنفسهم، إلى أن وصل الحال

بهم إلى المواجهة مع الكيان الإسرائيلي الغاصب والمحتل في عام ٢٠٠٦م. شكّل انتصار حزب الله والمقاومة الإسلامية الشيعية المدعومة استراتيجياً وسياسياً وعسكرياً ومالياً من إيران وسوريا انقلاباً حاداً في التاريخ العربي الحديث المسكون بالهزائم والعجز، ولذلك يمكن اعتباره لحظة تأسيسية ومرجعية، بها تقاس الأمور المستجدة، فحرب ٢٠٠٦ هي لحظة تأسيس في ذاكرة مئات الملايين من العرب والمسلمين.

إن من أهم نتائج حرب تموز^(١) هو تحول المقاومة من قوة معيقة ومعرقلّة للمشروع الأميركي في الشرق الأوسط إلى قوة مانعة قادرة على إيقاف هذا المشروع وليس فقط تأخيرها.

لقد كان الهدف الرئيسي من الحرب اقتلاع المقاومة وإسقاط سوريا من البوابة اللبنانية وتفكيك جبهة الممانعة التي حالت دون السيطرة الغربية الصهيونية على المنطقة، ثم محاصرة إيران وإسقاطها بحرب أو حتى من غير حرب.

أما الأهداف الأدنى فكانت تسليم السلطة في لبنان إلى فريق تابع بحول لبنان إلى مشيخة أو إمارة على غرار ما هو قائم في الخليج.

وبسبب نتائج الحرب دخلت إيران مرحلة أمان استراتيجي، واستحال تصفية القضايا الإقليمية لا سيما القضية الفلسطينية، ومنع تحويل العراق إلى مستعمرة أميركية، أو عودة الواقع السياسي اللبناني إلى ما قبل ١٤ فبراير ٢٠٠٥، إذ فشلت الولايات المتحدة في تحويل لبنان إلى رأس جسر استراتيجي لعبورها إلى التغير الفوضوي في المنطقة.

كما كانت نتائج الحرب عاملاً أساسياً من بين العوامل التي جنبت إيران ضربة عسكرية مباشرة، الأمر الذي تمثل في عجز كل من الولايات المتحدة وإسرائيل عن تجميد المشروع النووي الإيراني، ومنع إيران من المضي قدماً في مشروعها.

(١) جريدة السفير: خمس سنوات على حرب تموز ٢٠٠٦م

لقد وضعت حرب تموز ٢٠٠٦ الشيعة وحزب الله في مجهر السياسات والاستراتيجيات السياسية والعسكرية الدولية والإقليمية بسبب الانتصار الاستراتيجي الذي تحقّق، ولكن الأهم هو أنها فجرت مجموعة من التدايعات الإيجابية النفسية والفكرية والسياسية على مستوى الشارع العربي الذي كان شاهداً حياً وواعياً ومنبهرأ بما جرى، حيث أدرك بأن كل هذه الأنظمة ما هي إلا نمور من ورق (واكتشفنا مؤخراً بأنها نعاج، ومن ورق أيضاً) الشيء الذي تحول إلى إرادة للثورة والمقاومة انطلقت مع بزوغ خيوط الفجر الأولى لثورات الشعوب العربية على الطغيان والاستبداد، ولو لم يكن لما حدث عام ٢٠٠٦ إلا هذا الفضل أي بث الثقة في نفوس الشعوب العربية وبيان مدى قدرتها على الفعل والتأثير والتغيير اذا امتلكت إرادة الكفاح من أجل التغيير لكان كافياً.

٣. بنية القيادة المرجعية:

قبل البدء في الحديث عن القيادة لا بأس بأن نستعرض بعض التعريفات المتعلقة بالموضوع بإيجاز عن الشيعي المقلّد، والمجتهد، والمرجع.

المقلّد أي الذي يقلّد شخصاً آخر هو كل شيعي وصل إلى سن البلوغ، حيث عليه أن يقلّد أي يرجع في أحكام الشرع المتعلقة به إلى أحد العلماء الذين وصلوا إلى رتبة المرجعية. ولذا فالشيعة كلهم مقلّدون.

والمجتهد هو الشيعي الذي درس العلوم الشرعية بحيث وصل إلى مستوى متقدم جداً من الكفاءة العلمية لا يحتاج عندها إلى تقليد أحد المراجع، وإنها يمكنه هو أن يستنبط أو يستخرج أو يصل إلى معرفة الأحكام الشرعية في مختلف القضايا والأمور بنفسه. وهذه الفئة من الشيعة - وعادة ما يلقب الواحد منهم في زمننا الحاضر بأية الله - ربما يصل عددها بين الشيعة إلى بضعة آلاف من بين مئات الآلاف من طلبة العلوم الذين يدرسون في الحوزات العلمية الدينية.

والمرجع هو الشيعي المجتهد الذي فاق بقية المجتهدين في العلم والورع والتدين، بحيث توافق على تفوقه المجتمع العلمي الحوزوي الشيعي، وأقروا له بالألمية والزعامة الدينية، فيتحول إلى مرجع يرجع إلى آرائه وفتاواه الفقهيّة

الشيعية في مختلف الشؤون الدينية والحياتية، وهذه الفئة من الشيعة عادة لا يتجاوز عددهم العشرات في كل عصر - وعادة ما يلقب الواحد منهم في زمننا الحاضر بآية الله العظمى أو تجاوزاً بالإمام (ولا يقصد به بطبيعة الحال الإمام المعصوم عند الشيعة أي لا يقصد به أن يكون أحد الأئمة الإثنا عشر إطلافاً)^(١).

ولكن إقرار مرجعية أحد المجتهدين من قبل المجتمع العلمي الحوزوي - أو ما قد يعبر عنه البعض بأهل الحل والعقد - إنما هو إقرار بوصوله إلى مستوى يؤهله لذلك، وليس هو فرض لمرجعيتهم على الناس والمقلدين - وإن كان لذلك بعض الأثر في هذا الشأن.

فالعوام من الناس هم من يجعل من المرجع زعيماً ذو شأن وثقل ديني كبير أو متوسط أو محدود، فمدى تقليد الناس له أي اعتباره مرجعاً لهم هو ما يصنع ثقله الحقيقي في المجتمع الشيعي، فبعد أن تعرف الناس بأن فلان قد أصبح مؤهلاً للمرجعية وبأن آرائه وفتاواه الشرعية قد بدأت تنشر على الملأ من خلال كتبه الفقهية، تبدأ بالتحول إليه عادة بعد وفاة أحد المراجع الذين كانت ترجع إليهم قبل ذلك، وتستند في عملية اختياره كمرجع لها إلى عوامل مختلفة منها - إضافة إلى ما سبق - سمعته العلمية في الحوزات الرئيسية كحوزة قم المقدسة أو حوزة النجف الأشرف، ومدى سمعته كتلميذ سابق للمراجع الكبار والمشهورين الذين سبقوه، ومدى نفوذ وكلائه وتلامذته المنتشرون في البلدان والمجتمعات الشيعية، ومدى استجابة وتنازل وقبول العلماء الكبار الآخرين لمرجعيتهم، وما لديه من آثار وإنتاجات وتأثير في الشؤون الدينية أو العلمية أو السياسية أو الاجتماعية أو غيرها.

وقد يظهر في بعض الأحيان مجتهد كبير تساعده الظروف فيصبح مرجعاً عاماً للعالم الشيعي كله من غير منافس - وهذه حالات نادرة - كما حدث للمرجع

(١) ربما يلاحظ القارئ العزيز إلى أنني لا أميل إلى استخدام مصطلح الإمام بالنسبة لمراجع الشيعة أعزهم الله، وكذلك مصطلح (آية الله) بكثرة، إلا إذا تطلب النقل ذلك أو كانت الإشارة إلى خطاب رسمي أو ماشابه.

الديني الميرزا محمد حسن الشيرازي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، و
 شيخ الشريعة الأصفهاني عام ١٩٢٠م، وللسيد أبو الحسن الأصفهاني في
 أربعينيات القرن الماضي.

والمرجعية العامة قليلاً ما تستقر عند أحد أمداً طويلاً، فالغالبية الساحقة من
 المراجع لا تصل إلى هذا المقام إلا بعد أن يمضي من عمرها حقبة طويلة في
 الحوزات والدراسة والتدريس ونشر فقه وعلوم آل البيت عليه السلام، وغالباً بعد أن
 يتوفى جميع نظرائه ومنافسوه والذين أيضاً يكونون في الأساس من المعمرين،
 ومعنى ذلك أنه يحصل على المرجعية العامة في أواخر عمره، وقد تدركه الوفاة
 سريعاً، كما حصل لشيخ الشريعة الأصفهاني الذي أصبح مرجعاً عاماً للشيعه
 بعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي في منتصف أغسطس ١٩٢٠م وتوفي هو في
 ديسمبر من نفس العام أي أن مرجعيته العامة استغرقت أربعة أشهر لا أكثر.

والشيعه بصورة عامة يرجعون إلى آراء مراجعهم أو يحرصون على التعرف
 إليها في مختلف شئون الحياة الخاصة والعامة بدءاً من طهارة أو نجاسة أي شيء،
 وانتهاءً بشرعية الحاكم السياسي أو شرعية الثورة عليه، فالمسائل الشرعية لدى
 الشيعة - وبقيّة الفرق الإسلامية بصورة عامة - تمس حياة الإنسان من قبل
 ولادته وتستمر إلى ما بعد موته.

والمرجع لدى الشيعة ليس مجرد فرد، فبنية المرجعية الدينية قد تعطي المرجع
 نفوذاً على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية أكبر مما يكون لحكومات
 أكبر الدول الشيعة مجتمعة.

فالثقل الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري للمرجع
 يتشكل من خلال كفاءته وسمعته الدينية، وعدد مقلديه الذين قد يتراوح عددهم
 بين عشرات الآلاف و عشرات الملايين ومدى انتشارهم في البلدان، وعدد
 وكلائه ومعاونيه ومدى كفاءتهم وانتشارهم في البلدان، وطبيعة مقلديه
 وأوضاعهم العلمية والاقتصادية والاجتماعية، ومدى التوافق الشيعي البيني على
 برامجهم ومشاريعهم وتحركاته وتوجهاته المختلفة، إضافة إلى تموضعه الجغرافي بمعنى

إن كان يتخذ من إحدى الحوزات الرئيسية مقراً له.

وللمرجعية الشيعية منظومة من الارتباطات الإدارية والمالية على النحو التالي:

المنظومة الإدارية:

عادة ما يكون لدى المرجع مجموعة كبيرة من التلامذة وطلبة العلوم الدينية الذين يدرسون على يديه بشكل مباشر - بحسب مستوياتهم - أو على يدي تلامذته المباشرين أو تلامذة تلامذته، وهؤلاء قد يواصل بعضهم الدراسة لسنوات طويلة قد تصل إلى عشرون أو ثلاثون سنة أو أكثر، والبعض الآخر قد يدرس لسنوات محدودة لا تتخطى الستين أو الثلاث أو الأربع أو ما أشبه، كل ذلك بسبب مرونة النظام الحوزوي - والتي قد يعتبرها البعض نوع من الإفراط في المرونة.

وحين يرجع هؤلاء إلى بلدانهم - وغالبيتهم العظمى يفعلون ذلك - فإنهم يتحولون إلى نوع من الممثلين لمرجعهم الديني ولآرائه الفقهية ومصدر لمعرفة فتاواه لمن يريد من العامة، وهذا «الجيش» من الخريجين والمريدين لا ينقطعون عادة عن التواصل بطريقة أو بأخرى بمقر ومركز مرجعيتهم المتواجدة في الحوزة التي درسوا فيها، وبالتالي فهم يمثلون قناة تواصلية اجتماعية وسياسية واقتصادية واسعة بين جمهور الشيعة وبين مراجعهم.

إلى جانب ذلك هناك شخصيات من تلامذة المرجع أو شبكة المجتهدين المرتبطين به مباشرة يتم تعيينهم كوكلاء بصورة محدودة أو بصورة عامة عن المرجع، أي أنهم رسمياً يمثلونه في الإفتاء نيابة عنه وإبراز آراءه في مختلف الأمور التي يسأل الناس عنها، كما أنهم يمثلونه في استلام الأموال والحقوق الشرعية التي يخرجها الناس من أموالهم بصورة دورية أو خاصة.

كما أن العديد من الاتباع يقومون بافتتاح مكاتب تمثل المرجعية الدينية أمام الاتباع والمقلدين، ويطلق عليها اسم «ممثلية»، وقد يدير الممثلية بعض من تلامذته

أو وكلائه، وكذلك يقوم البعض بافتتاح حوزات محلية في بلدانهم لتعليم العلوم الدينية لمن يرغب، وغالباً ما تكون هذه الحوزات تتبع أحد المراجع الذين لديهم مقلدين في تلك المنطقة.

هذا ناهيك عن اللقاءات المباشرة بين المراجع والناس والتي تتم غالباً في المواسم الدينية التي تتزامن فيها زيارات عموم الشيعة للبلدان والمدن المقدسة التي تقع فيها الحوزات الدينية.

وفي عصرنا الحاضر فإن الإنترنت سهّلت التواصل مع مكاتب المراجع وممثليهم من خلال المواقع الإلكترونية الناطقة باسمهم.

المنظومة المالية:

أما في الشأن المالي، فالمعروف أن الشيعة - إضافة إلى الزكاة المعروفة والتي تؤخذ على النقدين والأنعام الثلاثة والغلات الأربع - لم يُقرّوا بنسخ وإلغاء الضريبة الشرعية المسماة بالخمس والمذكورة في آية صريحة في القرآن الكريم، والتي يُقرّ جميع المسلمين في كتبهم الفقهية والتاريخية أن رسول الله صلى الله عليه وآله عمل بها طيلة حياته.

والخمس هو عبارة عن مقدار يعادل ٢٠٪ من صافي الأموال الزائدة عن مؤنة السنة المنتهية، وله شروطه وقواعده الفقهية الخاصة، وهو بخلاف ما يظن الكثيرين من غير الشيعة - وبعض الشيعة غير ملتزمين بأدائه - لا يشكّل عبئاً على من يقوم بإخراجه، إلا إذا قام بالتهاون فيه وعدم الالتزام به لسنوات طويلة، فهو حينئذ يصبح كالصلاة التي تهاون فيها صاحبها ولم يؤدها لسنوات طويلة ثم انتبه في آخر أيامه إلى فداحة فعله ولا يعرف كيف يقضي ما تراكم عليه من حق الله أو حق الناس.

والخمس لا يعني كما يظن البعض هو إخراج ٢٠٪ من أموال الناس سواء أرادوا أم لم يريدوا، واستطاعوا أم لم يستطيعوا، فله شروط دقيقة وآليات ضابطة، فتجد بأن الشخص الذي يمتلك مليون دينار زائدة من الأرباح مثلاً قد يخرج في

عام من الأعوام ٢٠٠ ألف دينار، وفي عام آخر ٢٠ دينار فقط، وفي عام ثالث قد لا يخرج شيئاً أصلاً، وذلك بسبب القوانين الحاكمة على عملية التخمس وطبيعة شروطها المتعلقة بالمال وطبيعته وحركته ووضع الخمس، وغير ذلك مما يتم تقييمه بصورة دورية في كل عام.

على كل حال فإن الخمس واجب على كل شيعي، ولو افترضنا بأن من ٢٩٠ مليون شيعي قام ١٠٪ منهم فقط بإخراج الخمس في هذا العام، وبأن متوسط ما أخرجه كل منهم هو ألف درهم مثلاً - لا حدود لقلّة أو كثرة مبلغ الخمس فكل حالة تختلف عن الأخرى في النتيجة وإن كانت القوانين التي تحكمهم واحدة - فإن الخمس الذي قد يصبح المراجع مسئولون عن توزيعه وإدارته خلال هذا العام هو ٢٩ مليار درهم، وهو كما نرى مبلغ ليس بالهين إطلاقاً، وهذا المقدار من المال في الحقيقة قد لا يصل إلى يد المراجع منه إلا النزر اليسير فهو وبإجازة من المراجع يتم توزيعه على أصناف من المحتاجين من الشيعة ذكرت في آية الخمس في القرآن الكريم كما قد يتم استخدامه في بعض المشاريع الدينية أو المجتمعية أو غيرها مما يقرره الحكم الشرعي للخمس، ومن أراد التفاصيل فليراجع الكتب الفقهية للشيعة في هذا الشأن.

إلى جانب ذلك هناك موارد مالية عديدة أخرى يمكن للمرجعيات الدينية أن توجهها أو تؤثر في طريقة صرفها كالزكاة السنوية، وزكاة العيد (الفطرة)، والأوقاف الدينية، والندور، والكفارات الشرعية المالية، والتبرعات الطوعية، وغيرها.

وحين نقارن بين المرجع الشيعي وفقهاء الفرق الإسلامية الأخرى - بل وعلماء الأديان الأخرى، نجد الفروق التالية:

١. الاستقلال المالي: إن الفقيه في الفرق الإسلامية الأخرى أشبه ما يكون موظفاً حكومياً، إذ هو يعتمد في معاشه على الحكومة، ويتنقل من مكان إلى آخر بأمر منها، وقد تزداد وظائفه ومخصصاته أو تقل حسب رغبة الحكام

السياسيين أو مقدار رضائهم عنه^(١). أما المرجع الشيعي فهو يستمد معاشه من الحقوق الشرعية التي يخرجها الناس، وهو لذلك يكون وثيق الصلة بسواد الناس يتحسس بأحاسيسهم ويميل إلى الوقوف إلى جانبهم ضد الحكام الظلمة.

٢. الاستقلال الإداري: إن شبكة الارتباطات الواسعة والنشطة والنافذة اجتماعياً توفر استقلالية عالية للمرجعية لتوجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية للشيعية، فبسبب طاعة الناس للمراجع وتقليدهم لهم فإنهم يرجعون لهم في شئون القضاء والإرث وفض النزاعات وطلب المعونات وتوفير المساعدات وفي شئون الزواج والطلاق وغيرها من قضايا الأحوال الشخصية، وكثيراً ما يستغني الشيعة عن الرجوع إلى مؤسسات الدول القائمة بالرجوع إلى علمائهم ومراجعهم، لأنهم يرون بأن ما يصدر عن المرجع في هذه القضايا هو أقرب إلى الصواب والشرع ورضا الله سبحانه وتعالى.

٣. الاستقلال السياسي: إن المرجع الشيعي ينظر إلى الحكام السياسيين نظرة مختلفة عن نظرة الفقيه في الفرق الأخرى إليهم، ففي الفرق الأخرى السلطان واجب الطاعة وينظر إليه باعتباره ولي أمر المسلمين الذي تجب طاعته، أما عند الشيعة فولي الأمر الواجب طاعته هو الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر الغائب عن الأبصار وهو «صاحب الزمان» أي المسئول عن شئون الأمة في هذا الزمان وفي كل زمان يمر في عهد غيبته، وينوب عنه أثناء غيبته علماء الدين - بشروط معينة - ولذا فإن المراجع الدينيين في نظر الشيعة هم أولى بالطاعة من الملك أو الرئيس أو الزعيم السياسي، وإذا لم يحصل الحاكم السياسي على إذن منهم كان حكمه باطلاً، أو مشوب بالشبهات - ويتم التعامل معه على أساس قواعد وأصول واستثناءات متداولة بين العلماء في الفقه الشيعي بهذا الخصوص.

(١) الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

إن أهمية البنية المرجعية للشيعية هي في كونها توفر لهم على مدار التاريخ مخارج وقنوات بديلة لأوضاع ثقافية وسياسية واقتصادية وقانونية لطالما عانوا منها، وتوفر لهم قدراً كبيراً من الاستقلالية الاقتصادية والسياسية والإدارية والاجتماعية بالرغم من كل القمع والإقصاء والتحديات التي واجهتهم على مدى التاريخ والجغرافيا.

وأخيراً من المهم أن نشير إلى أن طاعة الجمهور الشيعي لمراجعته واعتبارهم أولي الأمر بالنسبة إليه - مهما تفاوتت هذه النظرة من بين جيل لآخر أو بيئة لأخرى - إلى جانب عصامية ونزاهة وزهد المراجع وتفانيهم غالباً في خدمة الناس ومصالحهم وعقائدهم، ولّد قدرة هائلة لدى هذه المرجعيات على ضبط الجمهور الشيعي وسلوكه وانفعالاته، بعكس جماهير الفرق الدينية الأخرى التي يمكن لأي مغني أو عازف عود أن يطيل لحيته ويقصر ثوبه فيصبح بقدرة قادر فقيه وإمام ومفتي وأهل لأن يُبايع حتى على الأموال والدماء والأعراض، بل إنك تجد أن أمثال هؤلاء هم من يقود الساحة الدينية للفرق الأخرى اليوم ويصدرون فتاوى تضحك الثكلى، في الوقت الذي يُهمّش فيه علمائهم الذين درسوا في معاهدهم الدينية الكبرى ويُقصون عن التأثير بسبب القوى والتيارات السياسية التي تحكم وتهمن بين الفينة والأخرى فتصبح هي الأمرة والناحية والسيدة المطاعة.

ع. منظومة سياسية متماسكة وطاعدة:

جزء مهم من حالة القوة في الوضع الشيعي في وقتنا الحاضر يعود إلى كون أغليتهم كدول أو كتل سكانية ينضوون تحت لواء حلف سياسي إقليمي متماسك وقوي وفي حالة نمو وصعود ميداني، بينما مناهضوهم ومنافسوهم السياسيون (الولايات المتحدة والدول الأوروبية وحلفائهم من الأنظمة العربية) يتواجدون في منظومة سياسية هي في طور الفشل والانحدار.

وسنورد بعد قليل دلائل على هذا التصور، ولكن قبل ذلك من المهم أن نشير إلى أن ما يحصل هو شبيه بما حصل ما بين ثمانينيات وتسعينيات القرن المنصرم

حين تفككت وانهارت المنظومة الشرقية في عالم الحرب الباردة في ذلك الوقت بقيادة الاتحاد السوفياتي. فالاتحاد السوفياتي تفكك وانهار وتقلص متراجعا لينكفي في حدود دولته الأم وهي روسيا، التي غابت بسبب ذلك عن المشهد السياسي الدولي وذوى تأثيرها فيه على مدى عقدين من الزمن تليا تلك الحقبة، بسبب رباعية مميتة تشكّلت من:

- فشل وانهيار المشاريع السياسية السوفياتية في مناطق نفوذها، خصوصاً هزيمتها في أفغانستان على مدى عقد كامل، وفشلها في إنهاء حركة التضامن (غدانسك) في بولندا على مدى عقد كامل أيضاً، وانعكاس ذلك على مجمل فاعليتها الدولية وتدخل تأثيرها الاستراتيجي في وسط آسيا وشرق أوروبا، وهما كانا المجالين الجغرافيين المباشرين لتأثيرها السياسي.
- فشل وانهيار السياسات الاقتصادية وعدم قدرة المنظومة الاشتراكية على معالجة أزماتها الاقتصادية المتعمّقة وإشباع بطون شعوبها، لدرجة أن الجوع كان منتشرأ بين الناس في العاصمة موسكو، وكانت صور الأسواق التجارية وهي خالية من المواد الغذائية هي أكثر ما يبقى في ذاكرة المراقب عن تلك الفترة.
- الانهيار الإداري المتمثل في تفشي الفساد في المؤسسات الحاكمة السياسية والمالية والخدماتية في تلك المنظومة وابتعادها عن واقع ومصالح الناس وتحولها إلى مؤسسات نخبوية تدافع عن مصالح النخب المهيمنة على سياسات الدولة، وإلى هياكل ليس لمعالجة مشاكل الناس وإنما للتعطية على عجز الأنظمة الحاكمة.
- الأعباء العسكرية، فالمنظومة الاشتراكية حينما انهارت لم تكن تعاني من عجز عسكري في الأسلحة أو الصواريخ أو العتاد التقليدي ولا حتى النووي، فالاتحاد السوفياتي عندما انهار كان لا يزال القوة العسكرية الثانية في العالم كله بعد الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن هذه القوة العسكرية الهائلة كانت كالجسم الضخم الذي يشكل عبئاً على العظام المنخورة داخلياً،

فالأعباء الاقتصادية والاجتماعية والمالية والخدماتية التي تولدها ضخامة الآلة العسكرية (الفاشلة سياسياً) كانت أكبر من أن يتحملها الاقتصاد والإدارة المالية والسياسية والخدماتية في المجتمعات الاشتراكية، فكانت النتيجة هي ما آلت إليه، والباقي أصبح تاريخاً معروفاً للجميع.

دلائل انحدار المنظومة الغربية الأمريكية^(١) في الوقت الحالي:

فشل المشاريع السياسية:

انهيار المشاريع السياسية للغرب في المنطقة، وفي مقدمتها فشل استراتيجية الحصار العام على الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي شكّلت رأس حربة في مواجهة السياسات الاستعمارية والإمبريالية الغربية في المنطقة، وفشل بعدها سياسات الاحتواء واستراتيجية الاحتواء المزدوج، وسياسات الإقصاء والحروب العسكرية والإعلامية والنفسية، وبعد أكثر من ثلاثة عقود من الحصار والسياسات المضادة يجد العالم إيران في قمة الدول المنتجة علمياً، وفي قيادة محور سياسي مقاوم منتصر على عموم الجبهات المفتوحة عليه، وفي مصاف الدول المتقدمة صناعةً وإنتاجاً في المجالات العسكرية والنووية والفضائية والطبية والتجارية والزراعية في المنطقة والعالم.

الصفعة المرتدة للفوضى الخلاقة:

فشل نظرية الفوضى الخلاقة، ومشروع الشرق الأوسط الجديد، وفكرة الهيمنة من خلال لعبة نشر الديمقراطية المشروطة بالتبعية لأمريكا. فقد شهد العقد الأول من هذا القرن محاولة الولايات المتحدة لفرض نظام عالمي مؤات لمصالحها يركز على سيطرتها المحكمة والتامة على شرق أوسط جديد ضعيف ومقسم على أسس جديدة أسوأ من التي سبقتها، وكان الهدف من ذلك السيطرة على منابع الطاقة النفطية والغازية والتحكم بعقدة المواصلات العالمية وتحديد

(١) كيوهان: مبني للمجهول

علاقات القوة في هذا العالم لمنع صعود روسيا والصين وأوروبا مرة أخرى كقوى عالمية عظمى منافسة لها.^(١)

ولذلك انتظرت الإدارة الأمريكية بفارغ الصبر وقوع هجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ واعتبرت الحرب على أفغانستان ٢٠٠١ م الفرصة الكبرى لتحديد المدى الأقصى الذي تريد السيطرة عليه من الشرق الأوسط وتلحقه بغزو العراق ٢٠٠٣ م لتضفي عمقاً لتحركها، وللعلم فقد كان قرار غزو البلدين قد اتخذ في الكونغرس الأمريكي قبل ذلك بسنوات في عهد الرئيس كلينتون، وكانت الخطوة التالية هي إسقاط النظام في كل من إيران وسوريا أو تطويعهما، والقضاء على حركات المقاومة في فلسطين ولبنان، ودعمت الولايات المتحدة انقلابان في جورجيا وأوكرانيا لحماية أجنحة جبهتها أمام الدب الروسي.

وكانت الخرائط التي نشرت لهذا الشرق الجديد تقسم العراق إلى دويلات كردية وسنية وشيعية، وسوريا ولبنان إلى علوية ومسيحية ودرزية وسنية بعد عدة عمليات تهجير متبادلة بين الساحل والداخل، كذلك الأمر بالنسبة للجزيرة العربية وإيران وباكستان وأفغانستان. وبلغ المشروع الأمريكي في المنطقة ذروته مع العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو ٢٠٠٦ م، ولكن ما لم يكن في الحسبان هو جاهزية المقاومة الكبيرة لصدده وهزيمته.^(٢)

لم يكن النصر في أفغانستان والعراق حاسماً وقد تبدى ذلك منذ البداية، وبادرت إيران وسوريا إلى دعم المقاومات في البلدين كل بحسب موقعه، وبادرت روسيا إلى دعم انقلابين مضادين في جورجيا وأوكرانيا، وقد تراقق ذلك مع أزمة اقتصادية حادة في الغرب والولايات المتحدة، وبدا واضحاً أن استهتار الغربيين بسنن الحياة والتاريخ والسياسة واعتقادهم بأن الغلبة في الأمور تكون دائماً لم يملك السيف الأطول، واعتمادهم طوال تاريخ تعاملهم مع الشرق على المؤامرات والسرقات والفساد الإداري والأخلاقي ومساندة الأنظمة القمعية المستبدة

(١) واكيم: صراع القوى الكبرى على سوريا

(٢) جريدة السفير: خمس سنوات على حرب تموز ٢٠٠٦

الجاهلة الفاقدة للشرعية ستدوم إلى الأبد كوصفة سحرية لا يمكن خرقها، قد كلّفهم الكثير.

فالوصفة تحولت إلى صفة وانقلب السحر على الساحر، فقد كان شعار الأمريكيين حين بدأوا حربهم على «الإرهاب» هو «تجفيف منابع الإرهاب» المالية والبشرية والسياسية وغيرها، إلا أن الذي حصل بعد عشر سنوات هو جفاف الموارد الغربية والأمريكية حيث وصلت التكلفة الحقيقية للحرب على العراق وأفغانستان بحسب بعض التقارير الأمريكية الأخيرة إلى ما يقارب ٦ تريليون دولار، بعد أن تراكمت مبالغ تتجاوز الخمسة عشر تريليون دولار كدين عام، ووصلت الأزمة الاقتصادية في الغرب إلى أوجها، واضطرت حكوماتهم إلى وضع ضرائب حتى على غرف النوم^(١)! والنتيجة كانت للقوة العظمى التي لم تنسحب من قواعدها في اليابان وألمانيا حتى بعد مرور سبعة عقود على انتصارها هناك في الحرب العالمية الثانية، أنها انسحبت من العراق في جنح الظلام وبدون ضجيج الإعلام أو صور الكاميرات بعد تسع سنوات فقط، وهما الأكبر الآن هو تنفيذ انسحاب ناجح ونظيف بلا خسائر مضاعفة من أفغانستان.

لقد انتبعت الولايات المتحدة ومنظومتها الإمبريالية إلى انحسار قدراتها وحدود ما يمكن أن تفعله وما لا يمكنها، ولذلك كان عليها أن تقلص خسائرها قدر الإمكان وتحافظ على ما تقدر عليه من مصالح في الجزيرة العربية والهلل الخصيب من خلال خوض معركة أخيرة حاسمة في مواجهة القوى المناوئة - فكان لابد من إشعال الجبهة السورية.

تكاثر الأنظمة الفاشلة:

من أهم مظاهر انهيار المنظومة الأمريكية في المنطقة والعالم هو تحول حلفاءها إلى أنظمة فاشلة بصورة متسارعة، فباكستان في طريقها - أن لم تتدارك نفسها - إلى التحول إلى دولة شبه فاشلة^(٢) والنظام الذي تدعمه في أفغانستان لا يمكن

(١) كما حصل في بريطانيا ٢٠١٣م

(٢) Rashid: Pakistan on the Brink

التنبؤ بمستقبل إيجابي له بسهولة، والأنظمة التي تفجرت فيها ثورات الربيع العربي كلها تابعة وحليفة ولصيقة بالمنظومة الأمريكية - تونس ومصر والبحرين واليمن^(١) إلى جانب سخونة الأوضاع في السعودية والأردن والمغرب والكويت - وقد تحولت بعض هذه الدول إلى دول شبه فاشلة كالبحرين والسعودية بحيث لا تستطيع السلطة في البحرين حتى أن تتنفس الهواء من دون أن يمر ذلك عبر رثة المرتزقة المجنسين من عشرات الدول لحمايتها حيث وصل الأمر بملكها إلى استجداء عودة الاستعمار البريطاني من جديد إلى البلاد لحماية عائلته وقبيلته^(٢) وكان قبلها مستعداً لبيع البلد برمتها إلى أبناء نجد من الوهابيين والسعوديين، وأما النظام السعودي الذي لم يستطع أن يصمد أمام مجموعة صغيرة ومحاصرة من الحوثيين وكل ما يشغله في الدنيا برمتها هو محاربة الشيعة أينما كانوا، فهو نظام في غيبوبة حادة عقلياً ونفسياً وبدنياً ولا يبدو أن الأوضاع عنده ستستمر أكثر على مما هي عليه.

هذا إلى جانب الأنظمة المتساخنة التي تحمى على نيران الطائفية والعنصرية والأوهام السياسية كنظام العثمانية الجديدة في تركيا الذي ينتقل من فشل إلى آخر ومن صفر إلى ما دونه (يتكلمون عن صفر مشكلات، فينجزون صفر علاقات .. يا للعبقرية!).

الانهيار المالي الغربي:

وأخيراً وليس آخراً هناك الانهيار الاقتصادي والمالي في الغرب ومنظومته، بينما بقية المحاور السياسية في العالم تشهد نهوضاً اقتصادياً كمحور بريكس العالمي (البرازيل والصين وروسيا والهند وجنوب أفريقيا).

ففي سبتمبر ٢٠٠٨م بدأت أزمة مالية عالمية والتي اعتبرت الأسوأ من نوعها منذ زمن الكساد الكبير عام ١٩٢٩م. نشأت الأزمة أولاً بالولايات المتحدة الأمريكية ثم امتدت إلى دول العالم لتشمل الدول الأوروبية والدول الآسيوية و

(١) الربيع العربي في ليبيا وسوريا كان مجرد سيركاً أمريكياً دامياً نجح في ليبيا وفشل في سوريا

(٢) جريدة الأخبار اللبنانية ٢١/٥/٢٠١٣

الدول الخليجية والدول النامية التي يرتبط اقتصادها مباشرة بالاقتصاد الأمريكي، وقد وصل عدد البنوك التي انهارت في الولايات المتحدة خلال عام ٢٠٠٨م فقط إلى ١٩ بنكاً. وقد ابتدأت الأزمة بما دعي بأزمة الرهن العقاري، وكانت إحدى نتائجها المباشرة انعدام السيولة في البنوك، وعدم القدرة على تمويل المشاريع الجديدة وانخفاض الطلب مع زيادة العرض، ومن ثم إعلان إفلاسها بشكل تدريجي مما أدى إلى كساد اقتصادي غربي عالمي.

ورغم الخطط التي وضعتها حكومة الولايات المتحدة والحكومات الأوروبية لمعالجة الأوضاع إلا أن الأمور مستمرة في مسار انحداري واضح، بينما عدد من البلدان الأخرى مثل الصين وإيران وروسيا لم يتأثر اقتصادها بل على العكس تماماً، وذلك لأن اقتصاد هذه الدول لم يكن مرتبطاً بالاقتصاد الأمريكي.^(١)

إن الركود الذي عم أرجاء الاقتصاد الأمريكي كان أسوأ مما توقع الجميع، وطالت شراياته الدول الأوروبية، حيث يمر كل عام أسوأ من الذي قبله بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي التي تعاني من أزمة ديون أثقلت كاهلها، وخفضت التصنيف الائتماني لكثير من دولها، وتندر بتفكك وتشردم الاتحاد.

وأزمة الديون الأمريكية باتت خانقة ومدمرة وتندر بانهيار الاقتصاد الأمريكي، وبدأت تترك تداعياتها على الشعب الأمريكي بشكل مباشر، في ظل تواصل انخفاض معدل نمو الناتج القومي المحلي.

وقد أظهر مسح عام ٢٠١١م شمل ٢٩ مدينة أمريكية أن عدد الجوعى ارتفع في معظم تلك المدن في العام الماضي، ومن المتوقع أن يواصل الارتفاع في ٢٠١٢م، وأفاد المسح الذي أجراه مؤتمر رؤساء البلديات في الولايات المتحدة أن ٨٦ في المئة من تلك المدن ذكرت أن طلبات المساعدات الغذائية الطارئة زادت في العام الماضي، وقالت مدينتان إن الطلبات ظلت مستقرة. وجاءت البطالة في مقدمة أسباب الجوع، يليها الفقر وانخفاض الأجور وارتفاع تكاليف السكن، ولا تتوقع أي من تلك المدن أن تراجع طلبات المساعدات الغذائية الطارئة في العام

(١) ويكيديا: الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٧ - ٢٠١٢

الذي يليه، وتوقعت ٩٣ في المئة منها أن تزيد الطلبات، كما ارتفع عدد الأشخاص الذين يعيشون بلا مأوى ٦ في المئة في المتوسط في المدن التي شملها المسح، إذ قالت ٤٢ في المئة من المدن إن العدد ارتفع، بينما قالت ١٩ في المئة إن العدد بقي بلا تغيير.^(١)

وتسجل الولايات المتحدة عجزاً سنوياً يزيد عن تريليون دولار منذ بضع سنوات، ويبلغ حجم الدين القومي الآن أكثر من ١٦ تريليون دولار.^(٢) وقد تفاقمّت أزمة الديون التي تضرب بعض الدول الأوروبية خاصة اليونان والبرتغال وإيرلندا وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا وأخيراً قبرص، ونتيجة لذلك هبطت أسعار أسهم المصارف الأوروبية بشكل حاد، في الوقت الذي ارتفعت فيه كلفة الإقراض والاستقراض في سوق الإنترنتك (فيما بين المصارف) بين ليلة وضحاها بشكل حاد. إن الالتباس المتصاعد بخصوص السيولة والإيفائية (القدرة على إيفاء جميع الديون) لدى مصارف أوروبا أدى إلى ببطء النمو في قسم كبير من أوروبا، بما فيه ألمانيا، ما يزيد من صعوبة إدارة أعباء الدين المتنامي فحسب، وبما أنه سيُطلب من الحكومات الأوروبية شطب خسائرها بواسطة مصارفها، فقد أدت المخاوف بشأن السيولة البنكية إلى رفع كلفة الاقتراض الحكومي.

ويرى بعض المحللين بأن لدى أوروبا ثلاثة بدائل، هي: استقراض مقدار أكبر من المال من خارج أوروبا، أو جعل البنك المركزي الأوروبي بصفته الملاذ الأخير المقرض يشتري عدداً أكبر من سندات الحكومة، أو السماح وببساطة لاتحاد النقد الأوروبي بالانهيار.^(٣)

(١) عبدالفتاح: الديون تنذر بانقراض الاقتصاد الأمريكي

(٢) قناة العربية: خبيران: أمريكا في طريقها إلى انهيار مالي جديد

(٣) حارث عبدالفتاح جريدة السبيل الأردنية ٢٠١٢/١/٢م: الديون تنذر بانقراض الاقتصاد

الأمريكي

دلائل صعود منظومة إقليمية جديدة بقيادة الشيعة:

لقد بدأت شرارة الصحو الشيعية مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م ولكن بريقها تلاً مع التغيرات الجيوستراتيجية في العراق عام ٢٠٠٣م وشعاعها سطع مع الانتصار الاستراتيجي لحزب الله عام ٢٠٠٦م، ولا شك بأن إيران الحالية هي أقدر من يتمكن من قيادة هذه الصحو وتحديد أطرها.

تمثل إيران اليوم الوجه الحديث للإسلام في العديد من النواحي، فاللغة الفارسية هي اليوم ثالث أكبر اللغات شعبية على الإنترنت (بعد الإنكليزية والصينية) حيث يتسنى للمرء أن يبحر فيها بين ما يزيد على ٣١٠ آلاف موقع.

إن الإيرانيون منخرطون بنشاط في نقاشات مستفيضة حول الفكر الغربي، وقد كانت هناك ترجمات لأعمال عمانوئيل كانط إلى الفارسية خلال العقد المنصرم أكثر من أية لغة أخرى، وفي بعض الحقول من علمي الرياضيات والفيزياء كنظرية الأوتار الكونية مثلاً تحل مراكز الأبحاث الإيرانية بين الأفضل في العالم، وإيران هي الدولة السابعة في العالم من حيث الإصدارات في سوق الكتب، ففي سنة ٢٠١٠م صدر ٦٥ ألف عنوان كتاب، وهي ثالث بلد في العالم من حيث التحاق الطلبة بالجامعات وفيها أكبر جامعة خاصة في العالم تضم ١,٣ مليون طالب (جامعة آزاد الإسلامية)، وفيها مكتبات بمعدل مكتبة لكل ١٧٠ مواطناً، وهي الدولة الأولى في العالم من حيث نسبة النمو في العلوم والتكنولوجيا، وهي تاسع دولة في العالم ترسل قمراً صناعياً إلى الفضاء، وسادس دولة ترسل حيوانات لأغراض اختبارية إلى الفضاء وترجعهم أحياء.^(١)

وقد تركت هذه الدينامية الثقافية بصماتها حتى على المؤسسة الدينية الإيرانية، فهناك مكتبات جديدة في قم ومشهد وكل واحدة منها تحوي ملايين الكتب وهي مزودة بأحدث الوسائل التقنية لإدارتها، وفي قم هناك أكبر مكتبة للمخطوطات هي مكتبة المرجع المرحوم شهاب الدين المرعشي النجفي، حيث تحوي أكثر من ٣٥ ألف مخطوطة، وتحتضن قم اليوم حوالي ٣٠٠ معهد ديني، وحوالي ٥٠ ألف

(١) نصر: صحو الشيعة، وويكيبيديا International Ranking of Iran

طالب ينتمون إلى سبعين دولة - وليسوا جميعاً من الشيعة، ومن باكستان وحدها يوجد ٦ آلاف طالب علوم دينية.^(١)

ومن الناحية السياسية تمتلك إيران شبكة من العلاقات الإقليمية تشكل مسرحاً لنفوذها السياسي في المنطقة، ويمكن إيجازها في التالي:^(٢)

- أفغانستان: قامت إيران بدعم مجموعة من القوى السياسية - قبل الاحتلال الأمريكي - وهو ما كان يشار إليه بتحالف الشمال، تتشارك معها في معارضة حكم طالبان، وهي مجموعة متنوعة من الانتماءات العرقية والمذهبية، مما دفع الولايات المتحدة والقوى السياسية الأفغانية إلى الإقرار ضمناً بالدور الإيراني في أفغانستان، فجعلها شريكاً معترفاً به في تقرير مستقبل هذا البلد.
- العراق: كما في أفغانستان، نسجت إيران علاقاتها مع العراقيين الشيعة والأكراد حينما كانوا معارضين ومطاردين لسنوات طويلة من قبل نظام صدام حسين، فانعكس ذلك على علاقاتها بالقوى الحاكمة اليوم هناك منذ اللحظة الأولى لتأسيس النظام الجديد في العراق. لقد حولت إيران احتلال العراق من مكيدة لمحاصرتها إلى فرصة ورّطت خلالها جيش الاحتلال الأمريكي في حرب استنزافية حامية حققت لها هدفين: الحيلولة دون تكرار تجربة تغيير الأنظمة في دول أخرى في المنطقة على الطريقة الأمريكية، والحيلولة دون تفرغ الولايات المتحدة الأمريكية لانتهاج سياسات عدوانية ضدها.

- فلسطين: تبنّت الثورة الإسلامية في إيران منذ يومها الأول القضية الفلسطينية بصورة تجاوزت كل الطروحات العربية الرسمية حيث طالبت بتحريرها من البحر إلى النهر، بل وإزالة إسرائيل من الوجود، ومع الوقت أصبحت هي الممول الرئيسي والمزود الأكبر للمجموعات الفلسطينية المقاومة، بحيث وبعد أكثر من مواجهة وحرب في ٢٠٠٦ في لبنان و ٢٠٠٨ و ٢٠١٢ في

(١) نصر: صحوة الشيعة

(٢) نور الدين: الحصار المتبادل

فلسطين ظهر جلياً للجميع بأن إيران وحلفائها المقاومون أوصلوا إسرائيل إلى مرحلة بات فيها كابوس سقوط الدولة الإسرائيلية والأحلام الغربية والأمريكية المتعلقة به أقرب إلى الواقع من أي حلم سياسي آخر متعلق بهذه القضية، وجعل كل من يريد معالجة هذا الموضوع يفكر جدياً في كيفية التعامل مع النفوذ الإيراني فيه قبل كل شيء.

- سوريا: انتقلت علاقات طهران بدمشق من تفاهم مصالح وتبادل منافع سياسية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران إلى تحالف استراتيجي وقف البلدان إلى جانب بعضهما خلال كل العواصف العاتية التي مرت بهما - الحصار الاقتصادي والسياسي منذ انتصار الثورة، إلى جانب خمس حروب عسكرية وسياسية دولية ضد محور المقاومة الذي يتشكل منهما والمقاومة اللبنانية والفلسطينية. وتعتبر مذكرة التعاون الدفاعي التي وقعتها سوريا مع إيران في منتصف حزيران ٢٠٠٦ الوحيدة من نوعها بين بلد عربي وإيران.
- لبنان: ارتكز تأسيس العلاقة بين إيران ولبنان - وبالتحديد المقاومة اللبنانية لإسرائيل التي يشكل الشيعة حالياً رأس الحربة فيها - على الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا - مروراً بانتصار عام ٢٠٠٠م وانتصار ٢٠٠٦م - كان ولا زال لإيران وحلفائها المقاومين حضورهم الطاغوي السياسي والميداني على الساحة السياسية في لبنان بالرغم من كل الجهود التي تمارسها القوى المضادة لذلك إقليمياً ودولياً.

ويتجلى الحضور الإقليمي الإيراني في المجالات التالية:

- استفادات إيران من جغرافيتها السياسية الاستراتيجية وقامت بتفعيلها في شئون الشرق الأوسط وآسيا الوسطى.
- تنمية اكتفائها الذاتي في مجالات الصناعة والزراعة والتسلح والطاقة النفطية والنووية.
- تخطي الحصار الإمبريالي عليها من خلال بناء علاقات متينة مع دول إقليمية

وغير إقليمية قوية سياسياً واقتصادياً وذات نزعة استقلالية واضحة كدول البريكس.

- توظيف الفرص التي ولّدها الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق وانقلابهما من حائطي صد وحصار لإيران إلى بوابتي حركة وعبور وتأثير في الساحة السياسية الإقليمية والعالمية.

- تعزيز تأييدها للقضية الفلسطينية ولسياسات المقاومة والتحرر فيها، بل وكل الساحات العربية والإسلامية المتعرضة للغزو أو الاحتلال كالعراق ولبنان وأفغانستان وأخيراً سوريا.

لقد أصبحت إيران - وبالتالي السياسة الشيعية - قوة إقليمية على مستوى المنطقة كلها من وسط وجنوب آسيا إلى شرق المتوسط، وفرضت نفسها لاعباً أساسياً في كل النزاعات الإقليمية.

ثانياً: الفرص

هناك مجموعة من الحالات والأوضاع في البيئة الإقليمية والعالمية يمكن أن تمثل فرصاً لتقدم الشيعة - وغيرهم - وتسهل لهم عملية التمكين وتعزيز أوضاعهم السياسية والمعيشية والحقوقية، وغيرها، وهذه تلخص في الأمور التالية:

١. العولمة:

العولمة تعني جعل الشيء عالمي الانتشار في مداه أو تطبيقاته، أي جعله مناسباً أو مفهوماً أو في متناول اليد لمختلف الدول والشعوب والمجتمعات، مع إزاحة الأسوار والحواجز والمعوقات التي تمنع عولته، بل وإصدار قوانين وتشريعات تدعم وتؤسس لانتشاره وتطبيقه وتثبيته على مستوى الأمم والعالم.

وما يهمننا هنا هو العولمة التي تتعلق بثلاثة أشياء متصلة ببعضها البعض، وهي عولمة القيم الإنسانية، والمواثيق الحقوقية، والمؤسسات القانونية.

عولمة القيم تعني أن كل الناس لهم الحق في التمتع بالقيم والمفاهيم الحسنة التي تحدد وتوجه مصير البشر وحياتهم بصورة إيجابية، مثل قيم الحرية والعدالة والديمقراطية والمساواة والسلام والأمان والاعتدال وتكافؤ الفرص وحكم القانون والدستور وحرية العبادة وما أشبه ذلك.

وهذه العولمة مفيدة للشيعة في كل مكان لو تم تفعيلها، فهي ترفع بالضبط العناوين التي تفتقدها بعض الكتل السكانية الشيعية المهمشة بسبب كونها أقلية

في مجتمعات أكبر منها كماً ومناوئة لها سياسياً أو عقائدياً.

إلى جانب ذلك هناك مجموعة من المواثيق الدولية التي تنادي وتدعوا الدول والأمم وتحثها على الالتزام بالقيم الصالحة والمفاهيم العادلة وتفعيلها بين ظهراني شعوبها ومجتمعاتها بحيث اعتبرت أغلب أو جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ملزمة بها أديباً أو معرضة للمساءلة على أساسها، مثل «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» والذي اعتمد في الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ العام ١٩٤٨ م ويتكون من ٣٠ مادة أساسية تحث على احترام حياة كل فرد وسلامته وحقوقه الإنسانية والسياسية والقانونية والدينية والفكرية والمعيشية والصحية وغير ذلك، و«العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية» والذي أقر في الأمم المتحدة عام ١٩٦٦ م ويتشكل من أربعة أجزاء و ٣١ مادة أساسية تدور حول حق تقرير المصير ومناهضة التمييز بسبب العرق أو الجنس أو الدين أو اللغة أو الرأي أو الثروة أو غير ذلك وضرورة معاملة كل المواطنين بصورة متكافئة وعادلة وتسهيل حقهم في التعليم والعمل والحياة الحرة الكريمة، و«العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية» والذي أقر أيضاً في ١٩٦٦ م وهو مواز للعهد الذي سبقه ولكن في مجال الحرية السياسية والدينية والإنسانية وضرورة قيام الدول بتوفير الأمن والأمان لجميع مواطنيها من أجل أن تحصل على تلك الحريات وتمارسها دون خوف أو اعتقال أو إرهاب أو تعذيب، إلى جانب «اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها» لعام ١٩٤٨ م والتي تعارض جرائم الاعتداء الجماعي والإبادة الجماعية سواء في زمن السلم أو الحرب، وتعارض قتل أو إلحاق الأذى أو الإخضاع القسري أو التهجير والطرده أو المحاصرة الديموغرافية لأي جماعة من الجماعات لأسباب قومية أو أثنىة أو عنصرية أو دينية بصورة كلية أو جزئية وعلمية أو سرية وضرورة محاكمة من يقوم بذلك من الأنظمة والأمم، و«الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري» والتي أقرت عام ١٩٦٥، وغير ذلك من العهود والمواثيق.

وهناك أيضاً من جهة أخرى مؤسسات قانونية دولية تتابع الحوادث والوقائع

المتعلقة بالقيم والمواثيق الدولية وتصدر أحكاماً بشأنها مثل «المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان» والتي تأسست عام ١٩٥٩م وتعني بدراسة الشكاوى المقدمة إليها حول التجاوزات الحقوقية والإنسانية للدول الأعضاء فيها على ضوء الاتفاقيات والبروتوكولات المنصوص عليه في ميثاقها، بحيث يمكن للأفراد وللدول التقدم بالشكاوى فيها وللمحكمة حق الإفتاء فيها، وكذلك «المحكمة الجنائية الدولية» وتأسست عام ١٩٤٥م والتي يحق لها النظر في القضايا المتعلقة بالإبادة الجماعية وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والاعتداءات على الأفراد والجماعات والأمم والتي تدل على اختراق القانون الدولي أي مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول والأمم والمجتمعات.^(١)

إن كل هذه الأمور المعولة تشكل منفذاً جيداً يمكن للشريعة في كل مكان التعلق بها والعمل على أساسها ورفعها كأدوات أساسية لتحسين أوضاعهم في المجتمعات والدول التي يعيشون فيها أوضاعاً قمعية واستبدادية وتهميشية، وأن يرفعوا صوتهم أمام العالم كله مطالبينه بالوقوف إلى جانب قضاياهم العادلة ومطالبهم المحقة.

٢. ثورة التكنولوجيا والاتصالات:

نحن نعيش في عصر الشبكات الحاسوبية والإنترنت والفضائيات والهواتف الذكية وغير ذلك من المسميات التي أضحت الجميع يعرف معناها ومدلولاتها، فنحن في عصر اختزلت فيه المسافات وأصبح بإمكان أي شخص أن يشكل شبكة علاقات واسعة أو أن يكون من أعضائها بحيث قد تضم مئات الألوف من الأفراد المتوزعين على مختلف بقاع العالم وأن يعقد معهم المؤتمرات دون أن يتحرك من مكانه ويناقش معهم اهتماماتهم المشتركة، وأن يتخذوا قرارات جماعية ويوزعوا الأدوار التنفيذية فيما بينهم ثم يزاوجوا بين نتائج أعمالهم كل في مكانه ليخلقوا تأثيراً عالمياً ينعكس تأييداً لقضاياهم أو تنديداً لمواضيع يعترضون عليها.

(١) ويسبرودت: مختارات من أدوات حقوق الإنسان الدولية

بالنسبة للشيعية - ولغيرهم - في مختلف أصقاع العالم يمكن أن تكون تكنولوجيا الاتصالات هي المنصة العالمية^(١) التي تعالج مجموعة من القضايا والفرص والتحديات التي يعايشونها^(٢)، مثل:

- الاغتراب الشيعي: فكما أسلفنا فإن الشيعة موزعون على ٢١٢ دولة في العالم ولكن ٨٦٪ موجودون في الحوض الشيعي بينما ١٤٪ موزعون ككتل سكانية ومجموعات صغيرة نسبياً وبالتالي فإن هذه الجزر السكانية الشيعية لا يمكن أن تهمل أو يتم التعامل معها كفائض، وإنما يجب أن تكون شريكة في العمل والسعي والتفكير والمبادرة والتغيير نحو الأفضل، ويوماً ما كانت هذه المجموعات منقطعة ومجهولة بالنسبة للعديد من مراكز الثقل والقيادة الشيعية، إلا أن الأمر لم يعد كذلك بعد الآن، ويجب من خلال الفرص التي أتاحتها تكنولوجيا الاتصالات التعامل معهم كجزء أساسي من الوجود الشيعي الفاعل.

- العمل الجمعي: إن ثورة الاتصالات - ولا زالت في بداياتها - يمكنها أن تدمج الشيعة في كل زمان ومكان في عمل جمعي يتبلور في مشاريع ومبادرات سياسية واقتصادية ومجتمعية وثقافية وتمكينية تهدف إلى تعزيز أوضاع الشيعة في مختلف المجالات ومعالجة التحديات التي يعانون منها، وميزة هذه الحالة أنها لا تقسم الشيعة إلى صنفين: مرسل ومستقبل، أو مفيد ومستفيد، أو عائل ومعول، وإنما تجعلهم شركاء في المسؤولية التنفيذية وفي تحقيق النتائج.

- القرار الجمعي: كذلك تسهّل هذه الحالة عملية المشاركة في خلق القرارات الجماعية الجزئية أو المصيرية المتعلقة بأوضاع الطائفة ومستقبلها في كل حقل وموقع، بحيث يمكن للشيعي البعيد أو المنتمي لأقلية ما أن يكون مسئولاً بعمله وأفكاره ومساهماته عن تقدم اتباع أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين بمختلف الصور والأشكال.

Tapscott: Wikinomics (١)

(٢) أوهمي: الاقتصاد العالمي

- **التعليم ونشر المعارف:** إن نشر العلوم وتبادل التجارب واكتساب المعارف وبناء الخبرات المشتركة أصبح أيسر بما لا يقاس، بحيث أن جامعة علمية تضم في أبنيتها عشرات الألوف من الطلبة المقيمين، يمكنها أن تضم مئات الألوف غيرهم على شبكة فصولها الإلكترونية من مختلف بقاع العالم، وأن توفر لهم خيارات أكاديمية قد تكون مفقودة في مواقع تواجدهم الجغرافي، الشيء الذي يمكن أن يقلص بصورة حادة النواقص الأكاديمية لاتباع أهل البيت عليه السلام في مختلف الحقول والمجالات.
- **التضامن والتعاقد:** إن القدرة التشبيكية والتنسيقية التي تتيحها الاتصالات يمكن أن تساعدنا على التضامن مع حقوق أي شيعي فرد على أية بقعة من خريطة العالم، فما بالك بالمجتمعات الشيعية التي تعاني من بعض التحديات كالتمهيش والتمييز، كما أنها تسهل عمليات الإنقاذ والمساندة والإصلاح المعيشي من خلال التعاقد الاقتصادي وإنشاء المشاريع التنموية والمالية والتجارية المشتركة بل وإنشاء الاتحادات والمجموعات الاتحادية الواقعية والافتراضية العابرة للحدود الافتراضية والواقعية وبالتالي يمكنها أن تحل العديد من المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها اتباع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بل يمكن لها أن تساهم في إدارة أفضل للموارد المالية الشرعية أخذاً وعطاءً وصرفاً وتوزيعاً ومراقبةً وتوجيهاً.
- **التكيف الشيعي:** كما يمكن ومن خلال شبكات التواصل الاجتماعي توفير بيئة اجتماعية لمغتربي الشيعة في كل مكان، تسد جزء من الفراغ الاجتماعي الذي قد يعاني منه الطلبة أو اللاجئين أو المسافرون للعلاج أو المستبصرون الجدد أو المعتقلون أو المنفيون أو المبلّغون في الأماكن الجديدة أو من ذوي الإعاقات البدنية أو المشغولون أو غيرهم ممن تساعد تكنولوجيا الاتصالات على مدهم بالعوض الاجتماعي أو الثقافي أو المعنوي أو السياسي في وسط البيئات المتنوعة والمتباينة التي يتعايشون فيها.
- **مضاعفة التأثير:** إن القدرة العالية على التواصل والتضامن والمساندة

واكتساب المعرفة وتبادل الخبرات يمكن أن يحول كتل سكانية شيعية صغيرة الحجم إلى كتل سياسية أو اقتصادية أو علمية كبيرة التأثير، وبالتالي يساعدها على أن ترسم مصيرها وتتموضع بشكل أفضل في المجتمعات التي تتواجد فيها، وهذه الحالة والتي هي عبارة عن رفع مستوى تأثير الكتل الصغيرة يمكن أن توازيها حالة أخرى بالنسبة للكتل الشيعية الكبيرة وهي زيادة تأثيرها القيادي والسياسي على الوجود الشيعي في مختلف بقاع الأرض.

- القدرة على التعريف بالشيعية بصورة صحيحة: وأخيراً وليس آخراً فإن ثورة الاتصالات وفرت للشيعية في كل مكان في العالم القدرة على إيصال صوتهم وأفكارهم وآرائهم وتوضيح حقيقتهم وعقائدهم بمختلف اللغات وبشتى الصور وفي كل الجهات من خلال البث التلفزيوني الفضائي والمباشر والذي هو أيضاً اخترق المسافات والحواجز ليصل إلى كل من يريد وبتكلفة أصبحت في متناول كل الأمم والمجتمعات.

٣. الفراغ الاستراتيجي الإقليمي:

لقد استطاع الشيعة وبالأخص الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن يوظفوا الفراغ الاستراتيجي في المنطقة ويملئونه بحضورهم ونفوذهم وأهدافهم ويحققوا من ذلك مكاسب استراتيجية كبيرة وبعيدة المدى، وهذا الفراغ الاستراتيجي له وجهان أحدهما قائم والثاني قادم، الأول هو الفراغ السياسي في المنطقة، والثاني هو الفراغ العقائدي على مستوى العالم الإسلامي.

الفراغ السياسي:

خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية شكّلت الجمهورية الإسلامية مركزاً لمحور سياسي تقوم هويته على مجموعة أسس ومبادئ أهمها: الاستقلالية عن الهيمنة الأمريكية (وغير الأمريكية)، ومساندة حركات الشعوب التي تسعى إلى الاستقلال والتحرر، ومساندة القضية الفلسطينية ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ومساندة القضايا الإسلامية بصورة عامة، وتعزيز أوضاع الشيعة الثقافية والدينية

والسياسية في كل مكان.

في المقابل هناك منظومة سياسية في المنطقة تتشكل من أغلب الأنظمة الحاكمة في الدول العربية والإسلامية تقوم هويتها على النقيض أي: التحالف حتى النخاع مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، وقمع أية فكرة لدى الشعوب الإسلامية والعربية للتطور والتحرر من أغلال الاستبداد والظلم، والتخلص من أعباء القضية الفلسطينية وتسليمها بالكامل وفي أقرب فرصة ممكنة للكيان الإسرائيلي والاعتراف به ككيان شرعي ودولة جارة بل ومفضلة في المنطقة، وفك الارتباط مع أي من قضايا الشعوب الإسلامية واعتبار أن كل إنسان مسئول عن نفسه ونفسه فقط، وتعبئة الغرائز الطائفية بسبب ومن غير سبب لشعوب المنطقة ضد بعضها البعض (الشيعة والسنة والأكراد والعرب والبربر والأقباط والتركمان والموارنة والدروز والزيديون والإسماعيليون والحنابلة والصوفيون والشوافع والنوبيون و... إلخ).

وعلى أساس هذه الخلفية فقد كان الحلف الأمريكي العربي الإسلامي يقوم ومن غير قصد أو بسبب فشل سياساته، بخلق فراغات سياسية واستراتيجية بسبب تجاهله للقضايا المهمة لشعوب المنطقة، فاتحاً بذلك الباب على مصراعيه أمام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحلفائها للمبادرة بتبني هذه القضايا وتحويلها إلى أوراق استراتيجية في أيديهم.

• الفراغ الشيعي: فمثلاً نسبة الشيعة بمختلف أصنافهم في المشرق العربي هي الثلث (٣٣,٣٪) ومع ذلك لم يحصلوا على حقوقهم أو المساواة الكاملة مع مواطنيهم الآخرين في هذا البلد أو ذاك، بل عم صمت طويل حول واقعهم طوال العقود الماضية، فكان من الطبيعي أن يبحث الشيعة العرب عمن يساندتهم في حراكهم من أجل حقوقهم والدفاع عن مطالبهم العادلة، فكانت إيران خياراً حاضراً ومتاحاً، فابتعاد الشيعة العرب عن حكوماتهم وتوجههم إلى استقبال الدعم الإيراني (أو غيره) كان الفضل الأول فيه إلى الحكومات العربية التي دفعتهم بسياساتها الطائفية الشديدة دفعاً نحو هذا

الخيار ثم قامت بتشكى وتباكى بشأن ذلك!^(١) ولعل الوضع في العراق هو خير دليل، فالعرب كلهم قاطعوا العراق بعد سقوط صدام لسنوات ورفضوا إقامة علاقات دبلوماسية رسمية مع بغداد وأرسلوا كل زبالة الأرض من الإرهابيين لقتل الشيعة العراقيين قرابةً إلى الله تعالى، ثم قاموا يَحْتَجُّون ويعترضون على التقارب العراقي الإيراني ويصفون العراقيين بالصفويين والمجوس وغير ذلك - وفي الحقيقة هذا هو أفضل ما برعوا فيه أي السباب وتضيق الفرص وصب الشتائم على الآخرين وتحميلهم أخطائهم.^(٢) والأمر شبيه بذلك في لبنان فلا داعي للتكرار.^(٣)

- الفراغ الفلسطيني: وفي فلسطين تحلّت جميع الدول العربية - ما عدا سوريا حليفة إيران الأولى في المنطقة - عن القضية الفلسطينية وتركوا الفلسطينيين بلا غطاء سياسي أو عسكري أو مالي في العراق وتحت رحمة الحصار الإسرائيلي القاتل، وقاموا يتسابقون على تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني في السر والعلانية، فكان الفضل الأول لهم في إعطاء إيران وحلفائها في سوريا ولبنان وفلسطين اليد الطولى في التأثير في السياسات والتطورات الاستراتيجية المتعلقة بهذه القضية بعد أن دعموها ولسنوات طويلة بالمال والسلاح والمواقف السياسية والمعنوية.
- الفراغ الكردي: أما الأكراد - فقبل المنطقة المحمية أمريكياً في شمال العراق - كانت القيادات السياسية والعسكرية الكردية المقاتلة عن حقوقها في العراق وتركيا لا ملاذ لها في المنطقة إلا في إيران وسوريا، ولذا نجد بأن الأكراد يحفظون هذا الجميل لقيادتي البلدين ويسعون قدر الإمكان إلى عدم تصادم المصالح والسياسات بينهما فيما يتعلق بالقضايا الإقليمية.
- الفراغ الأفغاني: وفي أفغانستان تحلّى الجميع في التسعينيات عن تحالف الشمال

(١) عترسي: جيواستراتيجية الهضبة الإيرانية

(٢) Rubin: Iran

(٣) Chubin: Iran's Power in Context

الممثل لجميع مكونات الشعب الأفغاني (باستثناء البشتون الذين كانت تمثلهم طالبان آنذاك) بعد أن استولت طالبان بمساعدة المحور الأمريكي على سلطة البلد التي جاهد في سبيل استقلالها عن الاحتلال السوفياتي ذلك التحالف، فكانت إيران هي البلد الوحيد الذي بقي متخاصماً مع طالبان ومتحالفاً مع قوى المعارضة في الشمال ويساندها بالسلاح والملاذ والمال والمواقف السياسية، فأنمر موقفها نفوذاً سياسياً قوياً ودوراً متميزاً على الأرض الأفغانية بعد سقوط طالبان، ولا زالت إيران واحدة ولربما الوحيدة التي تمارس مؤسساتها الإنسانية والاجتماعية والتنمية مثل «لجنة الإمام الخميني للإغاثة» نشاطها في كابول وهيرات ومزار شريف وزارانج، وتساعد سنوياً - منذ عام ١٩٩٣م وحتى يومنا هذا - عشرات الآلاف من العوائل والأفراد الأفغان، من جميع أطراف الشعب الأفغاني - وليس فقط الشيعة - بما فيهم البشتون^(١).

• الفراغ الأفريقي: ^(٢) كعادتهم انشغل العرب بتمويل الحروب والمؤامرات الأمريكية في المنطقة، ولم يعطوا أولوية لمسلمي القارة السمراء (فنسائهم لسن شقراوات لكي يصدرُوا من أجلهن فتاوى الجهاد) فما بالك بشعوبها، ولذلك أهملوها، بينما تقدم الإيرانيون في عملهم الأفريقي، فالرئيس الإيراني مثلاً يقوم ومنذ عام ٢٠٠٣م (وحتى عام ٢٠١٢م) بزيارة سنوية إلى أفريقيا هذا إلى جانب زيارة مختلف الوزراء الإيرانيون، وكان وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحى في زيارته الأخيرة لأفريقيا في يناير ٢٠١٣م قد أعلن أن أفريقيا هي أولوية إيرانية حيث زار حينها بنين وغانا وبوركينا فاسو وأثيوبيا وختم بمشاركته في المؤتمر السنوي للاتحاد الأفريقي.

وبحسب إحصائيات ٢٠١٠م فإن النفط الإيراني شكل ٢٥٪ من النفط المستورد في جنوب أفريقيا وبأسعار مخفضة خاصة، أما بالنسبة للسنغال فإن

Majidyar: Iranian Influence in Afghanistan (١)

Choksy: Iran Takes on the World (٢)

رئيسها عبدالله وادي زار بين ٢٠٠٠ و ٢٠١٢م طهران عدة مرات والتقى حتى بمرشد الجمهورية الإسلامية المرجع الديني آية الله السيد علي الخامنئي، وكانت حصيلة تلك الزيارات علاقات وثيقة جداً نتج عنها قيام إيران بإنشاء مصفاة نفط في السنغال مع امتلاك حصة ٣٤٪ منها ومصنع للكيماويات ومصنع بقيمة ٨٠ مليون دولار لتجميع السيارات وإنشاء لجنة اقتصادية مشتركة وغير ذلك من الأنشطة والفعاليات والمبادرات المشتركة مع مختلف البلدان الأفريقية.^(١)

• الفراغ الإسلامي: وأخيراً وليس آخراً، تأتي قضية مسلمي ميانمار (وهم في غالبيتهم الساحقة ليسوا بشيعة) حيث تم تشريد وذبح أكثر من ١٠٠ ألف مسلم من بيوتهم ومواطنهم فتعامت عنهم كل تلك الدول التي تدعي وصلاً بالإسلام - بخلاف التنديد اللفظي التي تقدمت به منظمة التعاون الإسلامي - وكانت إيران من الأطراف القليلة التي مدت يد العون لهم عن طريق «لجنة الإمام الخميني للإنقاذ» ومع ذلك خرج من يستنكر المساعدة الإيرانية خوفاً من إنشاء نفوذ لها في تلك المنطقة!^(٢)

إن كل تلك الأنشطة والتحركات والنجاحات تشير إلى أن وصف إيران لنفسها بأنها قوة «أكبر من إقليمية» لم يعد ادعاءً وإنما تحدياً ينمو باضطراد مقابل كل من يحاول محاصرتها أو احتوائها أو التقليل من شأنها.^(٣)

الفراغ العقائدي:

هناك فراغ من نوع آخر يمكن لفكر أهل البيت عليهم الصلاة والسلام الذي يستضيء به الشيعة ويتبعونه أن يسده، وهو الفراغ العقائدي، وهو يتمظهر في شكلين هما: الفراغ العلمي، والفراغ العلمائي.

• الفراغ العلمي: فبعد أن كان الدين لدى عموم الفرق الإسلامية هو دين

Rubin: Africa (١)

Kagan: Iranian influence (٢)

Rubin: Africa (٣)

التسامح المحمدي، ودين البصائر التوحيدية، ودين التنمية والعلم والإنسانية والإصلاح والرفق والتعاون والمجادلة بالتي هي أحسن أصبح دين الفتك و«سنة الذبح» وأكل لحوم البشر والقتل لأتفه الأسباب بل وبدون سبب، ودين التمثيل بالجثث والجهاد في سبيل الله بالفروج والشهوات الجنسية، ودين التعدي على كل أنواع الحرمات وهدم المجتمعات واغتصاب النساء والأطفال باسم إقامة الخلافة الإسلامية، وأصبح دين يحرم الدعاء للمسلمين إذا ما حاربوا ويتفهم دوافع أعدائهم من الصهاينة، دين يسمح باللواط لتوسيع الأدبار من أجل استخدامها في العمليات الاستشهادية، دين أكبر همه هو كيفية تطبيق فتوى إرضاع الكبير بين الموظفة ومديرها والسيدة وسائقها، دين يسمح لمغني ومدير فرقة راقصات أن يتحول إلى شيخ ومفتي وإمام خلال أقل من أسبوعين فقط لأنه ترك لحيته تطول بلا حلاقة ولبس ثوباً يقصر إلى ركبتيه شبرين، دين يعتبر «هند بنت عتبة» قدوة في تمثيلها بجثث المسلمين وأكل أحشائهم، دين يدافع عن يزيد بن معاوية الذي مثل بجسد سيد شباب أهل الجنة وقطعه إرباً فقط لأنه خليفة المسلمين ولا شيء بعد ذلك يهم، بينما يرى بأن سيد شباب أهل الجنة عليه السلام قد قتل بسيف جده صلى الله عليه وآله، وكيف يكون سيد شباب أهل الجنة وقد قتل بسيف جده؟! دين يطلب منك أن تستخدم العقل والمنطق لتتهدي إليه، ولكنك حين تصل لذلك وتسلم يطلب منك أن تلغي عقلك ومنطقك ولا تسأل لماذا اختلف الصحابة وتقاتلوا ولعنوا بعضهم بعضاً، فتلك أمة قد خلت، والله تبارك وتعالى أنزل لنا في قرآنه قصص أمم عاشت قبلنا بعشرات الآلاف من السنين واندثر ذكرها ولكنه أحيّا ذكرها من جديد لكي نعتبر ونتعظ من سيرتها، ولكنه يمنعنا - حسب قولهم - من الاتعاظ بسيرة الرسول وأصحابه وفهم ما شجر بينهم لكي لا نكرر ذات الأخطاء، بحجة انهم أمة قد خلت، دين يرفض أن يعطي العصمة حتى للنبي ﷺ إلا في شئون الدعوة ولكنه يرفض أن يخطئ أي من آلاف الصحابة فقط لأنهم رأوا النبي ﷺ - ومن رأى النبي ﷺ ألا يمكن أن يخطئ؟ أبداً؟؟! وليس علينا أن نسأله

عن أخطائه وإنما نسير على سنته كصحابي حتى لو خالفت سيرة وسنة الرسول الأعظم ﷺ؟! هل هذا هو الدين الذي نريد من العالم ومن الأجيال القادمة المتفتحة والمتعلمة أن تقتنع به وتسير خلفه وتجعله هادياً لها ودليلاً لحياتها؟ لا بد أنكم تمزحون!

• الفراغ العلمائي: لقد ترك علماء الدين والشريعة من الفرق الأخرى الساحة وجعلوها فارغة من أي دور حقيقي لهم، واصبحوا مشغولين بأمور أقل ما يقال عنها أنها مصيبة، فتجد أحد أكبر شيوخهم مشغول بالإفتاء لصالح إسقاط هذا النظام أو ذاك (مع أن إسقاط ولي الأمر مخالف لأصولهم الفكرية) لأسباب ليست دينية على الإطلاق وإنما فقط لأنه متحالف مع طاغية آخر يعارض الطاغية الأول، حتى استحق عن جدارة لقب «مفتي الناتو»، كما تجدهم مشغولين وبصورة كبيرة بتوضيح فتاوى غريبة لمواضيع أغرب غير واردة في القرآن ومروية في سنتهم بأسانيد متهافئة كفتوى إرضاع الرجل الكبير، أو فتوى حرمة سياقة المرأة للسيارة، ولكن جواز قيادتها للدراجة الهوائية بوجود محرم، وفتوى جهاد النكاح (أو ربما نكاح الجهاد) وغير ذلك مما يقف عنده المرء حيران.

وفي المقابل أصبح أي ناشط أو من «شباب الصحوة» أو لديه القليل من الثقافة الدينية مع كونه مثلاً طبيب أطفال أو أسنان أو ما أشبه - أي يحظى بلقب دكتور مثلاً - يمكن بسرعة الصاروخ أن يرتقي إلى مرتبة أمير أو شيخ أو إمام أو ربما أكبر من ذلك^(١)، ويمكنه أن يفتي ما يراه أو في الحقيقة ما لا يراه أصلاً لأنه في الحقيقة بلا بصيرة، بل وينقض فتاوى من هم أقدر منه من علمائهم، بل ويمكنه أن يفتي بقتل أكبر علماء المسلمين منهم جهاراً نهاراً دون خوف من أي عقاب أو استنكار حقيقي (كما حصل في سورية للمفتي محمد رمضان البوطي).

والآن كيف يريد هؤلاء لجمهورهم أن يثق فيهم بعد ذلك، فهذا الجمهور لم يجد إلا الجنون والمآسي من تلك الفتاوى، ومجتمع غير شيعي مثل مجتمع تونس

(١) كميل: الفتنة

عانت عوائله الولايات من فتاوى الجهاد والنكاح في سورية التي صدقها وتحمس لها الكثير من أبنائهم وبناتهم ولم يتصد لهذه الفتاوى كبار شخصياتهم الدينية إلا بعد سنتان من المعاناة وظهور بوادر الهزيمة على جبهة الجهاد بالنكاح، وكذلك الشأن في الصومال التي دمرها أبنائها باسم إقامة حكم الدين فلم يبق بها دنيا ولا دين، وليبيا التي تحولت بفضل الفتاوى الناتوية والمقاتلين الذين نزلت معهم الملائكة ويمثلون جيوبهم بالفياعرا لأنهم يتوقعون نزول الحور العين من الجنة في أية لحظة كرامة لهم، إلى بلد منهار وفاشل لا شيء يعمل فيه بصورة حقيقية سوى مضخات النفط التي تنهل منها بلاد الناتو كما ينهل الرضيع من ثدي أمه.

في المقابل نجد لدى اتباع أهل البيت عليهم الصلاة والسلام صرامة شديدة في أمور الإفتاء وإبداء الآراء والأحكام الشرعية وضبط لمسار التوجهات والقضايا التي يتعرض لها علمائهم وفقهائهم، فلا يتعرض أحد للفتوى ما لم يكن مؤهلاً لذلك مهما بلغ شأنه، ولذلك فإنك ترى بأن شخصاً بلغ من المكانة الجهادية والسياسية والعلمية ما بلغ مثل السيد حسن نصر الله لا يحق له أن يفتي في أي أمر ولم يدع هو يوماً ذلك إطلاقاً، بل إنه يتبع فتاوى الفقهاء الذين يقلدهم وجل ما يمكن أن يكونه هو أن يأخذ وكالة عن أحدهم - كما هو الحال. ولو كان السيد حفظه الله شخصية من شخصيات إحدى الفرق الإسلامية الأخرى لأصبح - وبمقاييس الوضع الحالي - منذ دهر طويل أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ولُسميت باسمه أبواب في الجنة لا يدخلها إلا من يجيز له ذلك!

إن هذا الفراغ يمكن للشيعية بواسطة عقائد أهل البيت عليهم السلام المتزنة وآرائهم وبصائرهم السديدة ومفاهيمهم العقلانية للدين أن يوفر البديل الصالح للمسلمين وغير المسلمين لكي يطلعوا على الحقائق والبصائر الحقة التي أرشد بها الوحي الإلهي رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله الذي بُعث لإنقاذ البشرية وهدايتها إلى النور على أسس الرحمة والإنسانية والعقل والصلاح.

وليس المقصود هنا هو نشر التشيع أو تشييع الآخرين فهذا آخر همتنا في هذا الكتاب، ولكن المقصود هو أن لا يفقد الناس الأمل في هذا الدين الإنساني

العظيم وأن لا تشوّه صورته بفعل مجاميع من الجهال وضعوا أنفسهم أوصياء غير شرعيين عليه واعتبروا انفسهم مفسرين له وناطقين باسمه. وهذا الفراغ يمكن أن يملأ بواسطة:

- الحوزات العلمية الدينية التي تنشر فكر وفقه وبصائر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.
- القنوات الفضائية التي تنشر ثقافة آل بيت رسول الله ﷺ وأحاديثهم وعلومهم القرآنية، بدلاً من قنوات التكفير والسباب ومعالجة المرضى بتحضير الأرواح والاستعانة بالجان.
- المطبوعات والمنشورات والكتب التي تساهم في التعريف بآل بيت رسول الله صلوات الله عليهم وتاريخهم وإنجازاتهم وعطائهم وتضحياتهم العظيمة من أجل نصره هذا الدين.
- المواقع الإلكترونية على الإنترنت التي تمارس أدواراً مشابهة لما هو مذكور أعلاه.
- المؤتمرات الدينية التي تقرب الأفكار بين الفرق الإسلامية وتوضح الحقائق وتعرف الناس بالمضامين والمقاصد الحقيقية للشرائع السماوية.
- وغير ذلك كثير مما يمكن القيام به وهو متاح ومتوافر لدى آل بيت رسول الله ﷺ وشيعتهم ومواليهم ومحبيهم.

الفصل الثامن

مسارات التأزم في البيئة الشيعية

الفصل الثامن:

مسارات التأزم في البيئة الشيعية

أولاً: نقاط الضعف التحدي العددي

أحد أهم مواطن الضعف المأخوذة على الشيعة هي قلتهم العددية بالنسبة لعموم عدد المسلمين، ولكن في الحقيقة هذا الموضوع بحاجة إلى معالجة موضوعية من أكثر من زاوية، لمعرفة ما اذا كان نقطة ضعف مطلقة أم محدودة أم طبيعية وخالية مما يمكن أن يعتبر ضعفاً.

في البدء من الجيد أن ننوه بأن الشيعة - وحيث أن العديد من البلاد الإسلامية التي يتواجدون فيها هي ذات أنظمة مناوئة لهم عقائدياً أو سياسياً - غالباً ما يتم التعمية على أعدادهم الحقيقية^(١) وتعتمد تقليص كثافتهم السكانية إلى مستويات يقصد منها التقليل من شأنهم إلى أدنى حد بل وإلى إلغاء أي أهمية لهم، ومثال على ذلك الشيعة في باكستان حيث يدعي مناوؤهم من الفرق الأخرى بأن نسبتهم بين السكان هي ٥, ٢٪ فقط^(٢) أي تقليصهم من أكثر من ٤٣ مليون نسمة إلى أقل من خمسة ملايين فقط، بل وإلى قبل عقدين من الزمن فقط كان وعاظ الوهابية

(١) تويال: الشيعة في العالم

(٢) Ahmed: Shi'i political activism

يشددون على أن الشيعة لا يتواجدون إلا في إيران فقط، أما خارجها فهم جيوب متناثرة هنا وهناك لا تكاد تذكر.

على كل حال يمكن توصيف الوجود العددي للشيعة في المنطقة والعالم، بالتوصيفات التالية:

الشيعة في الحوض الشيعي المركزي:

يشكل الشيعة أكثر من ٢٥٧ مليون نسمة من مجموع ٨٠٥ مليون نسمة هم مسلمي منطقة الحوض، أي ٣٢٪ منهم، (في مقابل ٦٠,٤٪ من الحنفيين، و ٣,٢٪ من الشوافع، و ١,٤٪ من الحنابلة وأقل منهم بقليل للمالكين و ١٪ من الزيدية وأقل من ذلك لبقية المذاهب).

الجدول التالي يبين إحصاء لاتباع المدارس والمذاهب الإسلامية في دول الحوض الشيعي المركزي، ويمكن القول بأن الأرقام التي تشير إلى حجم الأقليات وكذلك إلى حجم الشيعة تتصف بدقة أكثر بسبب وجود إحصاءات محددة عنهم. بينما الغالب على الإحصاءات التي تشير إلى أخوتنا السنة فإنها توصفهم بذلك التوصيف فقط دون ذكر المدرسة الفقهية التي يتبعونها، بمعنى أن بلداً ما قد يوجد فيه اتباع المذاهب السنية الأربعة أو ثلاثة منهم، ولكن بدون توصيفات دقيقة لذا فإننا قمنا باعتبارهم جميعاً من اتباع مذهب واحد من تلك المذاهب الأربعة بحيث نوصفهم بالمذهب الغالب على أهل ذلك البلد، وفي حال انتشار مذهبين منهما كأن يقترب اتباع المذهبين من ناحية الكثرة العددية فإننا نقوم بقسمة العدد على اثنان بحيث نحسب نصفهم لاتباع هذا المذهب والنصف الآخر للمذهب الآخر، وذلك لتقريب الصورة إلى الواقع قدر الإمكان، إذ ليس لدينا إمكانية التدقيق في هذه العملية.

ويلاحظ أننا أغفلنا ذكر الطوائف غير الإسلامية من التعداد في هذا الجدول، فالقصد هنا هو المقارنة بين الفئات الإسلامية فقط.

والملاحظات الواردة هنا في طريقة عرض الإحصاءات واعتمادها، واردة أيضاً بالنسبة للجدول التالية في هذا الفصل.

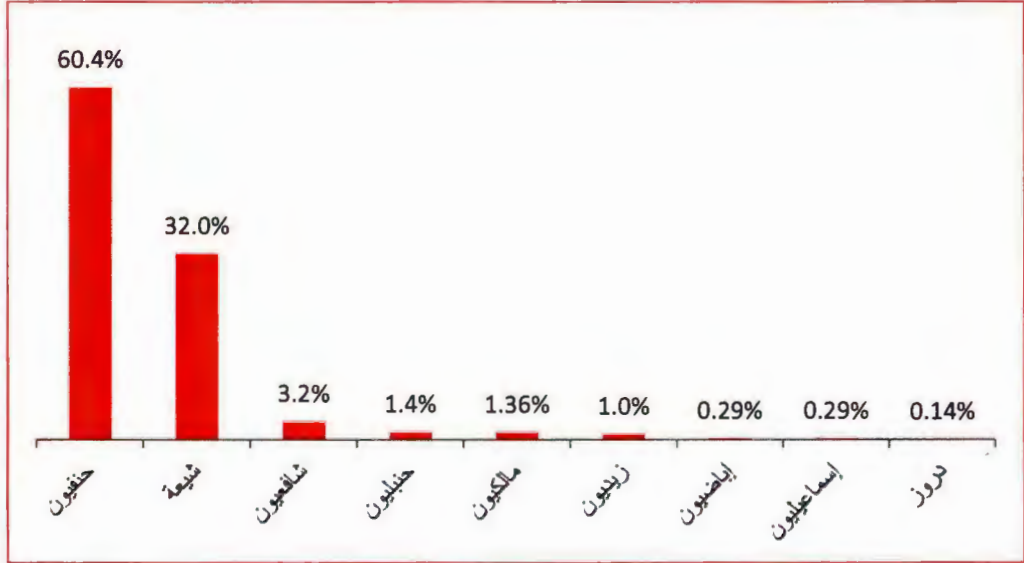
جدول ٨-١

حجم الشيعة ونسبتهم مقارنة باتباع المدارس النافذة الأخرى في دول الحوض الشيعي المركزي

إسماعيليون	دروز	إباضيون	مالكيون	حنبلليون	زيديون	شافعيون	حنفيون	شيعة	
							4,400,000	73,421,668	إيران
							113,000,000	45,804,429	الهند
							142,610,284	43,478,745	باكستان
						50,998,915	29,695,570		تركيا
					5,677,000	3,415,000	21,289,430		العراق
						131,742,162	13,910,663		بنغلاديش
						1,245,000	7,192,619		آذربيجان
						24,236,000	5,910,535		أفغانستان
224,573	898,293					13,923,548	5,165,187		سوريا
808,187			5,104,242	10,208,484	500,000	5,104,242		4,714,427	السعودية
1,270,414					7,622,486	14,228,641		2,032,663	اليمن
	247,895						524,711	1,693,949	لبنان
			261,500					960,999	البحرين
			4,379,178					875,836	الإمارات العربية
			1,212,892					808,595	الكويت
		2,365,000				461,000		207,463	عمان
				1,256,000				204,244	قطر
2,303,175	1,146,188	2,365,000	10,957,812	11,464,484	8,122,486	25,470,883	486,095,620	257,367,024	المجموع
0.29%	0.14%	0.29%	1.36%	1.4%	1.0%	3.2%	60.4%	32.0%	النسبةئوية
805,292,673									

شكل ٨-١

رسم بياني لأحجام اتباع المدارس الفقيية الإسلامية في دول الحوض الشيعي المركزي



الشيعية في المشرق العربي:

من زاوية ثانية يشكل الشيعة الإثنا عشرية ٥, ٢٦٪ أي ٣٨ مليون من مجموع سكان المشرق العربي البالغون ١٤٤ مليون نسمة، في مقابل ٦, ٥٢٪ من السنة عموماً أي ٨, ٧٥ مليون نسمة، و ٩, ٢٠٪ من بقية الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية. أما لو احتسبنا الشيعة بكل فرقهم (بما فيهم الزيدية والإسماعيلية) فستصل نسبة الشيعة إلى ٣, ٣٣٪ أي ٤٨ مليون نسمة، وتنخفض نسبة الفرق الأخرى (بخلاف السنة) إلى ١٤٪.

جدول ٢-٨

عدد الشيعة في بلدان المشرق العربي

السنة	الإثنا عشرية	عدد السكان	المشرق العربي
9,092,000	21,289,430	31,858,481	العراق
13,923,548	5,165,187	22,457,336	سوريا
20,416,968	4,714,427	26,939,583	السعودية
14,228,641	2,032,663	25,408,288	اليمن
524,711	1,693,949	4,131,583	لبنان
261,500	960,999	1,281,332	البحرين
4,379,178	875,836	5,473,972	الإمارات
1,212,892	808,595	2,695,316	الكويت
461,000	207,463	3,154,134	عمان
1,256,000	204,244	2,042,444	قطر
5,853,908	129,642	6,482,081	الأردن
4,200,000	37,800	12,147,169	فلسطين
144,071,719			

جدول ٣-٨

عدد ونسبة الشيعة الإثنا عشرية في المشرق العربي

30,141,138	38,120,235	75,810,346
أخرى	الإثنا عشرية	السنة
20.9%	26.5%	52.6%

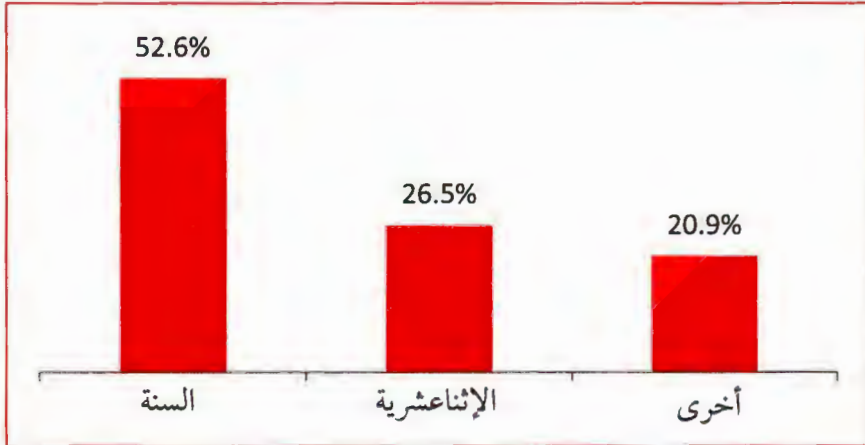
جدول ٤-٨

عدد ونسبة الشيعة بصورة عامة في المشرق العربي

20,215,476	48,045,896	75,810,346
أخرى	الشيعة	السنة
14.0%	33.3%	52.6%

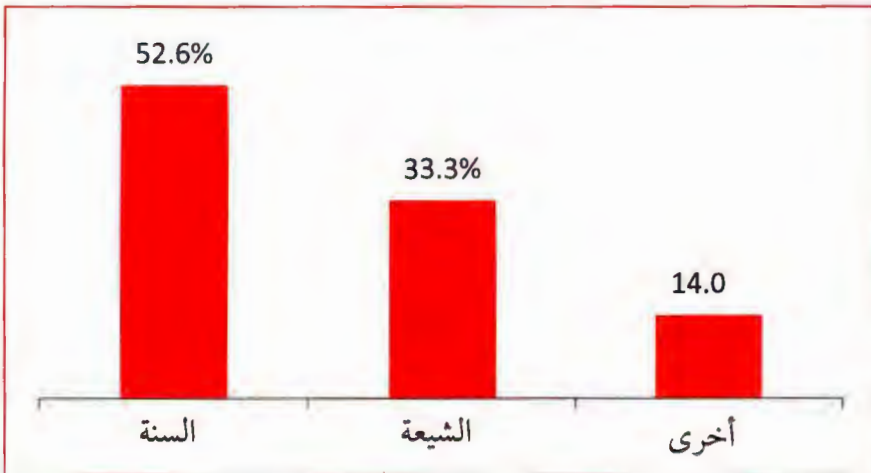
شكل ٨-٢

رسم بياني يبين نسبة الشيعة الإثنا عشرية في المشرق العربي



شكل ٨-٣

رسم بياني يبين نسبة الشيعة بصورة عامة في المشرق العربي



الشيعية في العالم الإسلامي:

أما نسبة الشيعة في العالم الإسلامي (ما بين شرق آسيا وغرب أفريقيا) فإن الشيعة يمثلون رابع المذاهب الإسلامية من حيث الكتلة السكانية، فمن مجموع ١,٥٣ مليار نسمة يبلغ عدد الشيعة أكثر من ٢٧٢ مليون نسمة أي بنسبة ١٧,٨٪ من عدد السكان ويأتي قبلهم اتباع الإمام مالك بن أنس بنسبة ١٩,٢٪، وفي المرتبة الثانية اتباع الإمام محمد بن إدريس الشافعي بنسبة ٢٣٪، وفي المرتبة الأولى اتباع الإمام النعمان بن ثابت أبو حنيفة بنسبة ٣٧,٥٪.

أما بقية المذاهب فهي كالتالي: الإسماعيليون في المرتبة الخامسة بنسبة ١,٠٤٪، والحنابلة في المرتبة السادسة بنسبة ٠,٧٥٪، والزيدية في المرتبة السابعة بنسبة ٠,٥٪، والإباضية في المرتبة الثامنة بنسبة ٠,١٥٪، والدروز في المرتبة التاسعة بنسبة ٠,٠٨٪.

- الشيعة كأكثرية نسبية: يشكل الشيعة أكثرية سكانية في خمس دول هي إيران (٩٢٪) وأذربيجان (٧٥٪) والبحرين (٧٥٪) والعراق (٦٧٪) ولبنان (٤١٪ مقابل جميع الطوائف الأخرى).

- الشيعة ككثافة عددية: يشكل الشيعة الإثنا عشرية كتل سكانية كبيرة في دول عديدة بالرغم من أنهم ليسوا بأكثرية نسبية فيها كالعهد (حوالي ٤٦ مليون نسمة) وباكستان (أكثر من ٤٣ مليون) وتركيا (حوالي ٣٠ مليون) وبنغلاديش (١٣ مليون) وأفغانستان (حوالي ٦ مليون) وسوريا (٥ مليون) والسعودية (حوالي ٥ مليون) ونيجيريا (حوالي ٤ مليون) وغيرها.

- الشيعة كتكتلات جغرافية: كما يشكل الشيعة أكثرية عددية أو كتل كبيرة في بعض المناطق التي يتواجدون فيها بالرغم من أنهم ليسوا كذلك بالنسبة لعموم البلد، كشيعة السعودية الذين يتركز ثقلهم السكاني في المنطقة الشرقية، واليمن في صعدة، والهند في الشمال والوسط، وباكستان في السند والبنجاب وكراتشي، وكشمير في غيلغيت وباليستان، وأفغانستان في الوسط، وكذلك الأمر في العديد من الدول الأخرى.

جدول ٨-٥

عدد ونسبة الشيعة في بلدان العالم الإسلامي

الشيعة في البلدان	17.8%
الحوض المركزي	257,367,024
نيجيريا	3,957,831
اندونيسيا	2,260,441
الجزائر	1,904,391
تنزانيا	1,447,858
مصر	750,000
السنگال	665,021
المغرب	646,453
ألبانيا	602,281
طاجيكستان	395,502
ماليزيا	315,000
السودان	313,631
اوزبكستان	300,000
اثيوبيا	252,000
تونس	208,135
النيجر	135,000
كينيا	125,000
مالي	120,000
بوركينافاسو	84,000
أخرى	375,000
	272,224,567

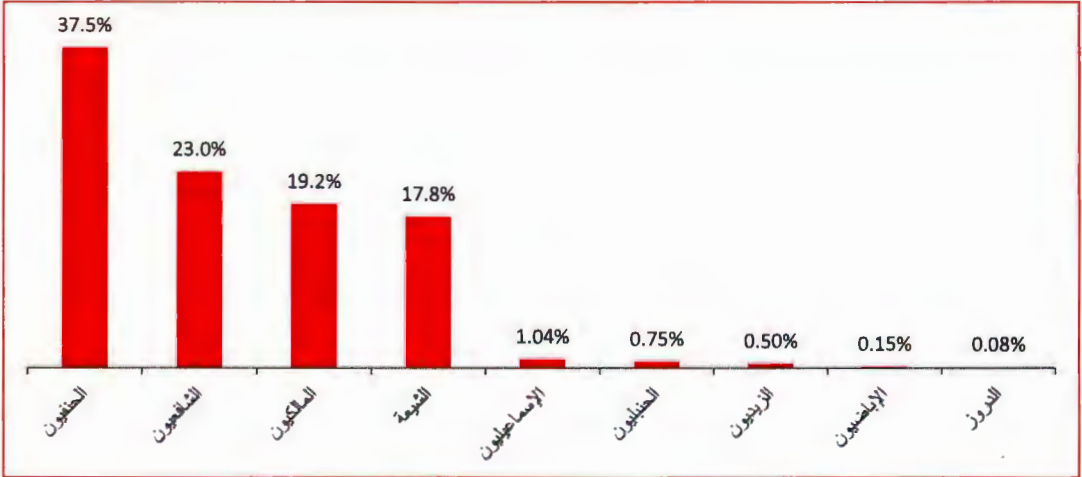
جدول ٦-٨

عدد ونسبة اتباع المدارس الفقهية الرئيسية في بلدان العالم الإسلامي

الحنفيون	37.5%	الشافعيون	23.0%	المالكيون	19.2%
باكستان	142,610,284	أندونيسيا	216,000,000	نيجيريا	83,993,969
بنغلاديش	131,742,162	اثيوبيا	32,000,000	الجزائر	35,421,665
الهند	113,000,000	مصر	25,600,000	المغرب	31,676,186
تركيا	50,998,915	ماليزيا	17,400,000	مصر	25,600,000
مصر	25,600,000	اليمن	14,228,641	مالي	15,000,000
اوزبكستان	25,000,000	تنزانيا	13,127,248	النيجر	13,500,000
أفغانستان	24,236,000	الصومال	10,250,000	السنغال	11,837,365
سوريا	13,923,548	العراق	5,677,000	تونس	11,600,000
كازخستان	8,335,000	الحجاز	5,104,242	بوركينافاسو	10,800,000
طاجيكستان	6,723,000	كينيا	4,700,000	غينيا	9,350,000
الأردن	5,853,908	موريتانيا	4,340,000	ساحل العاج	8,650,000
تركمستان	4,550,000	ارتيريا	1,500,000	ليبيا	5,820,000
إيران	4,400,000	جيبوتي	745,000	تشاد	5,800,000
فلسطين	4,200,000	جزر القمر	737,000	الحجاز	5,104,242
قرغيزستان	4,160,000	عمان	461,000	الإمارات	4,375,000
العراق	3,415,000	بروناي	278,000	الكاميرون	4,109,844
البانيا	1,803,832			موريتانيا	3,400,000
البوسنة	1,550,000			سيراليون	3,400,000
أذربيجان	1,245,000			غامبيا	1,700,000
كوسوفو	610,000			ارتيريا	1,500,000
لبنان	524,711			الكويت	1,212,892
				غينيا بيساو	830,000
				البحرين	261,500
المجموع	574,481,359		352,148,132		294,942,663

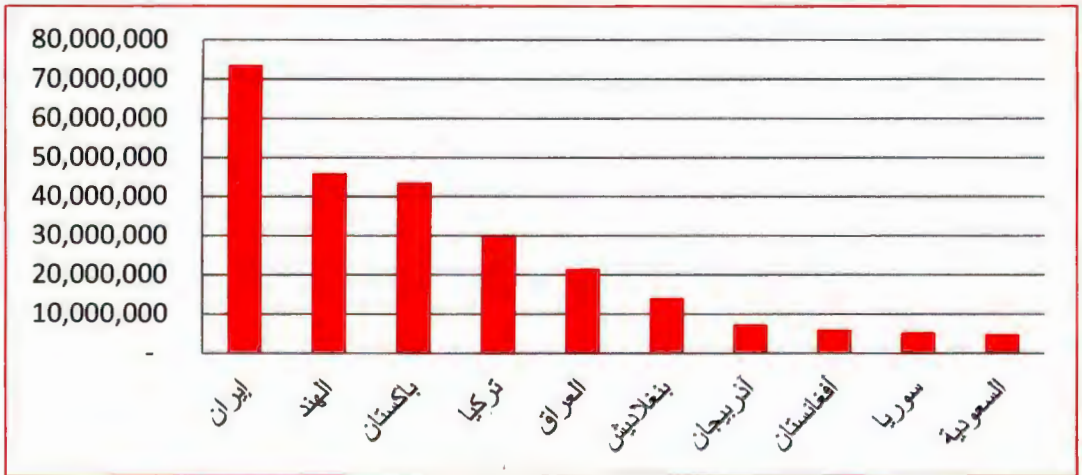
شكل ٨-٤

رسم بياني يوضح نسبة أتباع المذاهب الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي



شكل ٨-٥

رسم بياني لأكثر عشر كتل سكانية شيعية



شكل ٨-٦

رسم بياني للدول العشر التي تضم أكبر نسب الكثافة السكانية الشيعية



التأثيرات العددية:

للعدد والكثافة السكانية تأثيرهما على فئات وطوائف المجتمع في أغلب بلدان العالم، وبالذات في الأماكن التي تحكمها أنظمة غير متوازنة أو غير عادلة، وينعكس الحجم السكاني لكل فئة اجتماعية على الأمور التالية:

- طبيعة العلاقات بين طوائف المجتمع: هناك حالة تنتشر في البلدان العربية تدير العلاقة بين الفئات الاجتماعية المختلفة هي حالة التصنيف التراتبي للجماعات الإثنية والطوائف، ويقوم هذا التقسيم على أساس هرمية العلاقة بين الجماعات القائمة داخل المجتمع، فتجد جماعة إثنية أو مذهبية أو طائفية تتمتع بمركز اجتماعي تستحوذ فيه على القوة والثروة والهيبة بدرجة أعلى من الجماعات الأخرى، على نحو يجعل مسائل مثل الهيمنة السياسية والحراك الاجتماعي رهينة بمعايير إثنية وعرقية كاللغة والدين واللون والانتقاء

- الإقليمي، مما يخلق تراتبية تتشكل من جماعة سائدة وجماعة مسودة^(١).
- **المطالب السياسية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية:** تطرح الجماعات المختلفة خصوصاً المهتمّة والمضطهدة مجموعة من المطالب الخاصة بتحسين وضعها ومعالجة الاستعلاء الظالم في التعامل مع شئونها من قبل الجماعة السائدة، ويمكن تلخيص هذه المطالب في العناوين التالية:
 - **المطالب المتعلقة بالهوية:** كالاقرار بشريعة وقانونية اللغة الأم التي تحدثها الجماعة واعتبارها من ضمن اللغات الرسمية في السياسة والتعليم والتجارة وغيرها، وشريعة الدين أو المذهب الذي يتصل بهوية الجماعة الإثنية واعتباره - أي اعتبارهم - ذو شريعة مجتمعية وليسوا مصنفين بدرجة الكفار أو أسوأ منهم فقط لاختلاف في الآراء الفقهية، وكذلك الاعتراف بالعادات والتقاليد والشعائر والرموز الاجتماعية العامة لتلك الجماعة.
 - **المطالب المتعلقة بشكل الدولة:** فهناك جماعات قد يصل بها اليأس من إصلاح المعاملة التي تجدها من النظام السياسي القائم إلى درجة أنها تبدأ المطالبة بالاستقلال السياسي والانفصال التام عنه، أو في صورة أدنى المطالبة بالاستقلال الإداري وبالحصول على قدر من الحكم الذاتي.
 - **المطالب المتعلقة بسياسات النظام ومؤسساته:** تتعلق هذه المطالب بالأساس بقضية العدالة في توزيع الموارد وإعادة توزيعها بين الجماعات والطوائف التي تشكل المجتمع، فتصبح أجهزة صنع السياسات العامة هدفاً تسعى كل جماعة لإيجاد ممثلين لها بداخله لتضمن متابعة حقوقها عبر ذلك، فتصبح المؤسسات والمناصب العامة ونصيب الجماعة من الإنفاق العام وتوزيع الموارد الاقتصادية والأراضي كلها من العناوين الأساسية في مطالب الجماعات الإثنية^(٢).

(١) مهدي: التعددية الإثنية

(٢) مهدي: التعددية الإثنية

• استراتيجيات التعايش والبقاء: فحالة الاستعلاء والتعامل الفوقي مع الجماعات الإثنية والطوائف المهمشة تدفعها لتبني استراتيجيات محددة للتعايش أو المحافظة على وجودها وبقائها وحفظ حقوقها، كاستراتيجية المطالبة بتطبيق الديمقراطية العددية كنظام سياسي خصوصاً إذا كانت الجماعة تشكل أصلاً أكثرية عددية في البلد الذي تتواجد فيه، وبالتالي فإن تطبيق هذا الخيار يغير بصورة تلقائية وضعها في البلاد، وكذلك استراتيجية الدسرة وتقنين الحقوق العادلة لجميع الطوائف في دستور واحد وواضح ومتفق عليه من جميع مكونات المجتمع، واستراتيجية الانتخابات العادلة من جهة الدوائر والقوانين الانتخابية والصلاحيات الناتجة عنها في حال كانت تلك الجماعات مهيمنة عددياً على مناطق جغرافية يمكنها من خلال تلك الحالة إصلاح أوضاعها وإدارة شئونها بما يناسبها على الأقل في الأماكن التي تشكل موئلاً لها.

• الميول السياسية: فتجد بأن الجماعات المهمشة والمضطهدة تنفر من الأفكار والميول القومية، لأن القومية في واقعهم السياسي لا تعني إلا شيئاً واحداً هو الخضوع أكثر للفئة المستبدة التي تحكمهم باستعلائية وتضطهدهم، فالقومية التي سيتم الترويج لها في تلك البيئة السياسية هي قومية الأكثرية الحاكمة، والتي تستخدمها كسلاح سياسي لإخضاع الفئات والطوائف الأخرى وتخوينها في حال إبداء أية رغبة في إبراز جوانب هويتها الدينية والحضارية كطائفة أو أقلية.

ولذا تجد أن أبناء الطوائف المضطهدة يميلون سياسياً لتأييد الأحزاب والتيارات العلمانية (كالشيوعية والليبرالية والديمقراطية وما شابهها) لأنها يفترض أن تتعامل مع كل الفئات والطوائف والجماعات معاملة متساوية لا تفضل عرق أو دين أو مذهب على آخر، والمساواة هي مطلب كل الناس الباحثون عن العدالة والإنصاف.

ولكن الذي حصل في العقود الماضية هو أنه حتى هذه التيارات العلمانية

فشلت سياسياً في معالجة أية قضية من القضايا الكبرى في المنطقة أو أن تحل المشاكل المصرية التي تعاني منها المكونات الدينية والاجتماعية والثقافية في المنطقة، ولذلك كملاذ أخير عادت تلك الجماعات والطوائف للالتفاف حول التيارات والأحزاب والقوى السياسية التي تنطق باسمها وتمثل هويتها وتعتبر عن شخصيتها، وعاد الناس كل إلى فئته لعله يجد تحت ظلها الأمان والحماية وفرص التنمية والقبول به كما هو وبها هو عليه من دين أو عرق أو لون أو لغة أو ثقافة.

الجدير بالذكر هو أن الشيعة تعرضوا لأغلب هذه المؤثرات، فهم عاشوا في مجتمعات تعاملت معهم بفوقية واستعلائية واضحة، وتعاملوا معهم على أساس أنهم في أدنى السلم الاجتماعي بالرغم من أنهم أبناء البلاد الأصليين، وفي بلد كالسعودية يتم التعامل معهم على أساس أنهم مواطنون من الدرجة السادسة (وهي آخر درجة في التصنيف الاجتماعي هناك)^(١)، ولديهم مطالب تتعلق بالهوية والمذهب والمساواة الاقتصادية والمشاركة السياسية وغير ذلك، وأنهم طالبوا فعلاً في البلاد التي شكلوا فيها أكثرية أو أكثرية جغرافية بالخيار الديمقراطي^(٢) كخيار استراتيجي للنظام السياسي الذي يتعايشون فيه، إلا أنه لم تحصل تحولات حقيقة في ذلك الاتجاه، الشيء الذي دفع ببعضهم إلى الاحتجاج والثورة بصورة مستمرة، وانهم حين سقطت الدولة العثمانية وتشكّلت الدول الحديثة بنوا الخيار القومي كغطاء أممي يحقق لهم التقدم والتنمية فوجدوا أنه لا يعني سوى تكريس تفوق السنة على الشيعة^(٣) فالقومية المعروضة للبيع هي القومية العربية السنيّة فقط، حتى بقية السنة من غير العرب كالاكراد والبربر لم يكونوا شركاء فيها وإنما كانت لكل مجتمع سني غير عربي - باكستان مثلاً - نسخته الخاصة من القومية التي استغلها أيضاً لتهميش بقية الجماعات، ومن ثم

Szayna: Identifying potential ethnic conflict (١)

Fuller: The Arab Shi'a (٢)

(٣) نصر: صحوة الشيعة

توجه الشيعة للتيارات العلمانية ولذلك تجد من الخمسينيات وإلى السبعينيات أن أكثر أعضاء الأحزاب الشيوعية والعلمانية في العراق ولبنان والبحرين هم من الطائفة الشيعية^(١)، وعندما فشلت تلك التيارات أيضاً في تحقيق ما كانت تعد به عاد الشيعة من جديد إلى جماعاتهم وأسسوا تيارات وأحزاب ومنظمات وحركات ذات هوية شيعية وبرامج وأهداف وشعارات تتناغم بصورة كلية مع ثقافتهم وشعاراتهم وتاريخهم وتقاليدهم، وهذا بدأ بوضوح منذ ستينيات القرن الماضي واستمر إلى يومنا هذا في ساحات مثل العراق ولبنان والبحرين والسعودية وأفغانستان وباكستان وغيرها.

استراتيجيات الأنظمة في التعامل مع الوجود الكمي الشيعي:

هناك صنفان أساسيان من الاستراتيجيات السياسية والإدارية التي يتم التعامل بها مع الوجود الشيعي في البلدان التي لا يحكمون فيها، وهما:

١. الاستراتيجيات الإدماجية:

وتهدف هذه الاستراتيجيات إلى خفض نقاط التباين والاختلاف بين الشيعة وغيرهم من فئات المجتمع من خلال اتباع سياسات وطنية جامعة تركز على نقاط الالتقاء والتقارب وتتحاشى أو تتغافل عن نقاط الاختلاف والتباين ما دامت لا تؤثر على أي من مكونات المجتمع ولا تتعدى عليه أو على حقوقه.

ويعتبر هذا الدمج في صورة توافق وتقارب ثقافي بمعنى الابتعاد عن الآثار الثقافية السلبية والتركيز على ما يجمع مكونات البلد لا ما يمزقه، ودمج اقتصادي بمعنى فتح أبواب الفرص والنمو الاقتصادي للشيعة كما لغيرهم باعتبارهم جميعاً من أبناء الوطن، واستيعاب مؤسساتي بمعنى أن للشيعة حق كما لغيرهم في العمل والدخول في جميع المؤسسات الوطنية والمجتمعية والمشاركة السياسية بمعنى أن للشيعي وغيره حقوق وفرص متساوية في المساهمة والمشاركة في القرارات والسياسات والتمثيل الوطني والسياسي للبلد وفي النظام.

(١) نصر: صحوة الشيعة، وغريب: نحو تاريخ فكري سياسي، ونقاش: شيعة العراق

ويمكن القول أن أغلب بلدان العالم تعطي للشيعية هذا الحق بنسبة أو بأخرى، ففي البلدان التي يشكل فيها الشيعة أقلية ضئيلة - وبرغم توفر هذه الحقوق - لا تسمع لهم شأن يذكر في تلك البلدان ولكنهم في الحقيقة مستفيدون من تأثير السياسات الدمجية في إحراز الأمن المجتمعي والسياسي والفرص الاقتصادية والحرية الثقافية والدينية، وفي بلدان أخرى تجد أن مشاركتهم وأثرهم في الحياة العامة يعتمد على حجمهم ونسبتهم السكانية كما هو الأمر في الهند وباكستان وأفغانستان وعمان والكويت وتركيا ولبنان، وفي بعضها الآخر يفتح لهم باب الاندماج والمشاركة بصورة تامة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولكن مع وضع حواجز غير معلنة تمنع ممارستهم لأي دور سياسي كما في الإمارات العربية وقطر.

٢. الاستراتيجيات الإقصائية:

وتهدف هذه الاستراتيجيات إلى إلغاء العامل العددي للشيعة خصوصاً إذا كانوا هم الأكثرية في البلد، كما يفعل النظام القائم حالياً في البحرين حيث اتبع سياسات ممنهجة يستهدف منها تقليص الحجم العددي للشيعة هناك عبر مشروع التجنيس المضاد لهم، وإلى أن يتم ذلك يقوم بتقليص تأثيرهم السياسي من خلال دمجهم في سلطة سياسية وسلطة تشريعية فارغتي المضمون إلا من سلطة ونفوذ قبيلة آل خليفة الحاكمة، وتقييد الأثر الكمي للشيعة عبر قوانين انتخابية وتشكيلات للدوائر تجعلهم أقلية سياسية باستمرار. إلى جانب ذلك تمنع بعض الأنظمة أية مشاركة للشيعة في السلطة السياسية لديها كالسعودية بل وتعتبر الشيعة فيها صنف من البشر المناوئين والكفرة بل وأشد من ذلك.

استراتيجيات شيعية حول كيفية التعامل مع وجودهم الجغرافي وأحجامهم السكانية:

واحدة من أهم النقاط التي يجب أن يلتفت إليها الشيعة في كل مكان هي أن مسألة الأقليات في عالمنا الحاضر أصبحت مسألة جدلية لا يمكن التوافق عليها

بسهولة، فهناك أقليات تحكم أكرثيات (دون أن يثير ذلك اعتراض الكثيرين في العالم) وهناك أقليات تتصرف كالأكرثيات (كغير الشيعة في لبنان مثلاً) وهناك أقليات تصبح أكرثيات اذا غيرنا الزاوية التي ننظر إليها منها (كالأقليات في الأقاليم الجغرافية التي تتمركز فيها) وهناك أقليات كمية هي في الواقع أكرثية نوعية بسبب الموارد والثراء الذي تمتلكه أو النفوذ الذي تبسطه (هل كان هناك من يقول قبل قرن من الزمان بأن الإنجليز هم أقلية فلماذا يسيطرون على مستعمرات ذات مساحات شاسعة من العالم بمن فيها من السكان؟).

ولذلك فإنني أدعوا الشيعة في كل مكان في العالم إلى النظر إلى أنفسهم كأكرثية وليس كأقلية بل وأن يبنذوا مصطلح الأقلية اذا كان المقصود به توصيفهم سياسياً أو عقائدياً أو اجتماعياً أو ما أشبه، وسوف أوضح في النقاط التالية معنى هذه الفكرة وآثارها الاستراتيجية.

الشيعة كأكرثية نسبية (حالة التفوق العددي):

من المناسب للشيعة الذين يعيشون في بلدان يمثلون فيها أكرثية ولكن دون أن يحكموا أنفسهم أو دون أن تكون لهم كلمة حاسمة في تقرير شئونهم بسبب الاضطهاد والتهميش كالبحرين أو بسبب تعقيدات السياسة ومعادلاتها كما هو الأمر في لبنان أن يسعوا كلما سنحت لهم الفرصة لاعتماد استراتيجيات تقوم على التفوق الكمي كالسعي لتفعيل الخيارات الديمقراطية بشكل واقعي - كما حصل في العراق بعد سقوط نظام صدام - وليس كما هي خدعة الديمقراطية في البحرين أو خدعة القيود البالية والمحاصصة القائمة على إحصاءات عمرها قرن من الزمان كما في لبنان.

وهذه الاستراتيجيات الكمية من المفيد اعتمادها ليس في السياسة فقط وإنما في الاقتصاد والإدارة والحقوق الدستورية والإنسانية وغيرها، فالكثرة تغلب الشجاعة كما يقول المثل المعروف، وتنمية الشيعة لمواردهم وكفاءاتهم ومشاريعهم التجارية ومؤسساتهم الثقافية والدينية والمدنية ودخولهم إلى المؤسسات الرسمية اعتماداً على حقهم الدستوري كمواطنين وعلى حقهم في الأولوية ككفاءات

علمية وما أشبه ذلك يجعل من الصعب تجاوزهم وتجاهلهم، وعندما تسنح لهم فرصة سياسية لإصلاح الخلل في أوضاعهم فإنها لن تتعدهم وستعدل الميزان المقلوب حالياً لصالحهم، فالفرص ما هي إلا مزيج من الاستعداد الجيد والتوقيت الملائم، وهي تأتي وتروح باستمرار ولكن لا يلتقطها إلا من هو مؤهل ومتيقظ.

الشيعية ككتلة سكانية كبيرة (حالة الكثافة العددية):

لا يعقل أن نصف الشيعة في بلاد كالهند وباكستان وتركيا بالأقلية، وإن كانوا أقل من غيرهم عددياً في تلك البلاد وغيرها، فإن ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠ مليون لا يمكن أن يستشعروا القلة في حالهم، ونحن لدينا في اللغة أنه بدءاً من ٣ أشخاص يتم تصريفهم لغوياً كجماعة، فكيف بأربعين أو خمسين مليون.

إن كتلة تتشكل من أربعين مليوناً لا بد وأن يتواجد فيها على الأقل عشرات آلاف الأطباء وعشرات الآلاف غيرهم من المهندسين وعشرات الآلاف غيرهم من المعلمين ومثلهم من المؤلفين ومثلهم من العلماء وغيرهم من النخب الثقافية والرياضية والفنية، و... الخ. فهل يعقل أن يطلق على هؤلاء لفظ أقلية وهم قادرون على أن يشيدوا مجتمعات بأكملها على أحسن وجه؟ أوليس هناك دول في عصرنا هذا ولربما تعتبر كيانات إقليمية مؤثرة وهي لا تتعدى في كتلتها السكانية مليون أو اثنان أو ثلاثة ملايين، وكل ما هنالك هو أنها تدير مواردها بصورة أفضل من غيرها؟ بل أن وجود شخص - قائد - فاعل في أمة ما قد يحييها ويستنهضها بأكملها، فكيف اذا تحولت كتلة سكانية كبيرة إلى مجموعة من العناصر الحيوية والنشطة والكفؤة والمنتجة؟

إن حالة الأقلية ما هي إلا حالة نفسية - لطالما استعمرت بلدان ذات كثافة سكانية قليلة بلدان أكبر منها في الحجم والسكان كحالة إنكلترا والهند في القرون الماضية - فالناس هم الذين يقضون على آمالهم ويستسلمون لضعفهم ويستحقرون أنفسهم قبل أن يفعل بهم الآخرون ذلك، وفي الواقع فإن الآخرون يبنون على الأساس الذي يضعه الناس لأنفسهم، لذلك يصعب إخضاع المجموعات الصغيرة أحياناً ويسهل استعباد الكبيرة في كثير من الأحيان، لهذه

العلة وأشباهها.

إن الشيعة الذين يشكلون كتلة سكانية كبيرة في أي بلد يمكنهم أن يستفيدوا من استراتيجيات توزيع الأدوار بينهم في الأداء المجتمعي والاقتصادي والحشد السياسي، وتشكيل تعدد وتنوع في التمثيل السياسي والتوسع في المؤسسة السياسية والاقتصادية والثقافية، ولكن ذلك يعتمد على ترابط تلك الكتلة وتضامنها البيني وتنسيقها الحركي والميداني وشعورها بأنها كتلة ذات مصير ومستقبل مشترك.

الشيعة ككتلة جغرافية (حالة الجغرافيا المركزية):

يتمركز الشيعة في بعض البلدان في أقاليم معينة قد تكون غنية بالموارد كما في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية أو محدودة الموارد كما في صعدة في اليمن أو في وسط البلاد كما في أفغانستان أو في مناطق طرفية أو حدودية كما في سورية. وهذه الحالة المركزية يمكن إذا تم النظر من خلالها إلى أية جماعة أن تعطيهم صبغة الأكثرية في ذلك الإقليم.

إن تركز جماعة ما في إقليم معين يعطيها زخماً أكبر لكي تطالب بالاستفادة من موارد ذلك الإقليم بل وأن تكون الجماعة الحاكمة أو المهيمنة سياسياً فيه^(١)، ولذلك يمكن للشيعة المتواجدين في جغرافيا مركزية أن يستفيدوا من استراتيجيات التراض السياسي والتنمية الموضعية ووحدة المصالح الاقتصادية وانعاش التمثيل الثقافي المحلي وغير ذلك.

إن التمرركز الجغرافي يؤثر حتى على العلاقة بالدولة، فالتوضع في مناطق حدودية في دولة مترامية الأطراف أو ضعيفة مركزياً يعطي للفئات المجتمعية فيها هامش أكبر من الحرية السياسية والاستقلال الثقافي والاجتماعي، ويساعدها حتى على تشكيل وتركيز هويتها الثقافية والعقائدية، ويتيح لها ضمان تمثيل أكبر في المؤسسات النيابية والتنفيذية والإدارية في الإقليم نظراً لقوة تمثيلها العددي

(١) مهدي: التعددية الإثنية

فيه^(١).

الشيعية كقّلة موزّعة (الحالة الأرخيلية):

يتواجد الشيعة في عديد من الحالات في هيئة جزر بشرية متناثرة بعضها قريب من بعض والآخر بعيد، وقد تتراوح كثافتها السكانية بين الآلاف ومئات الآلاف، كما هو حال الشيعة الموزعون على العديد من مدن الدول الأوروبية المختلفة وأمريكا الشمالية واللاتينية.

وبدل أن ينظر هؤلاء الشيعة إلى أنفسهم كأقليات متناثرة تثير الشفقة يمكنهم الاستفادة من استراتيجيات التكامل في الأدوار وتشبيك المصالح وبناء القدرات السياسية والاقتصادية والثقافية على أساس العلاقات الخارجية والقدرات الأكاديمية والكفاءات التخصصية وتوظيف ما لديهم من إمكانيات وفرص مجتمعية، وهذه الحالة بحاجة إلى مؤسسات تشيكية تقوم بدور الصمغ الذي يربط اهتمامات هذه الجزر ببعضها البعض ويعزز تماسكها، بحيث تكون مورداً للعمل السياسي والتضامني والحقوقى الجمعي، وتساعد على تعريف وتوضيح حدود المجتمع الشيعي ومصالحه الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية وغيرها^(٢).

الشيعية ككتلة عالمية (الحالة الكونية):

من المهم أن ينظر الشيعة إلى وجودهم ككتلة كونية متراسة ومتعاضدة ومتضامنة فيما بينها، وأن تكون مصداق للحديث الشريف «المؤمنون كالجسد الواحد»، وعلى كل حال ينظر مناوئوهم لهم بهذه النظرة، فأنت تجد إذا انتصر الشيعة في العراق دفع شيعة الخليج الثمن، وإذا حقق اللبنانيون إنجازاً «أكلها» الشيعة في أفريقيا، وإذا تحرك البحارنة تأمر عليهم من الحكام والفقهاء من الفرق الأخرى ما لا يعلمه إلا الله، وإذا قتل الشيعة في باكستان تبادل الوهابيون في

(١) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

(٢) Naquvi: The responsibility of American Shia

السعودية التهاني، وهكذا.

ويبدو أن هذه طبيعة أكثر الناس فكل يميل إلى شركاؤه في الهوية، ولذلك من المهم أن يكون الرد والتعاقد بنفس المستوى أي كونياً، وسوف نشير في الفصل القادم المتعلق باستراتيجيات التمكين إلى أهمية هذه الحالة من الناحية العملية والتنموية وليس المعنوية فقط.

إن النظرة المحلية المحددة بمنطقة جغرافية أو بجنسية معينة أو بهوية لغوية أو إثنية أو ما أشبه ربما كانت مبررة في الأزمنة الماضية، ولكن في زمن العولمة والانفتاح الكوني وانتشار وسائل التواصل والتشبيك والتعارف والتفاعل الفوري والمباشر بين أطراف قد تبعد عن بعضها آلاف الأميال لم يعد مبرراً على الإطلاق ولا بد لمثل تلك العقلية أن تتطور وتعيش عصرها الحديث بكل ما فيه من تأثيرات إيجابية وفرص وأدوات وأدوار.

ثانياً: المخاطر

الفتنة الطائفية

أكبر المخاطر التي قد يتعرض لها الشيعة باستمرار هي الإثارات الطائفية ضدهم، والتلويع المستمر بالصدام السني - الشيعي، وهذه الإثارات يمكن قراءتها من خلال الأبعاد التالية:

منطلقات الإثارة المذهبية:

هناك أسباب عدة تحث مثيري الفتن الطائفية على إطلاقها وتسعيها، ولو تسألنا بأن الأسباب العقائدية ليست السبب وإنما الإطار الذي يتم من خلاله توجيه الفتنة، فإن أهم المنطلقات السياسية لذلك قد تكون التالية:

- قراءة الصحوة الشيعية كتهديد: لدى العديد من قيادات الفرق الأخرى والتي تجمع نفسها تحت عنوان «أهل السنة والجماعة» - بينما في أحيان أخرى، وخصوصاً في الساحات التي لا يتواجد فيها أحد من اتباع أهل بيت النبي ﷺ، تجدهم يتعاملون بعداء تجاه بعضهم البعض إلى حد القتال، حيث تكرر هذا الأمر كثيراً على مر التاريخ - اعتقاد بأنهم هم - وفقط هم - من له الحق في تمثيل الإسلام والحديث نيابة عنه والحكم باسمه وأنه لا يحق لأحد غيرهم أن يتجرأ وينسب لنفسه هذا الحق أو بعض منه، ولذا فإن قادة العديد من الفرق الإسلامية الأخرى يرون في الصحوة الشيعية في أي وقت أو مكان تهديد لهم ولهيمنتهم التاريخية على الدين والمسلمين، فما يراه اتباع

أهل البيت عليه السلام نشاطاً إحيائياً للدين وشعائره وفكره، يراه الآخرون نشاطاً مؤذياً وخطراً على الهيمنة السنية^(١)، فتجد دعائهم - كبارهم وصغارهم - يضحجون بالصراخ والويل والثبور ويدعون إلى «إنقاذ» أهل السنة من «التشيع» والبدع والضلال وغير ذلك من المعزوفات المشروخة.

• استعمال الفتنة الطائفية كأداة تبريرية للهزائم السياسية: ليس من الغريب أن نسمع أصواتاً مخبولة في هذا الزمن تنسب خسارة فلسطين وسقوطها في يد الصهاينة منذ أكثر من ستة عقود إلى الشيعة و«تدخلاتهم» - وهي أساساً شبه خالية من الشيعة - وأن كيانات شيعية كإيران وحزب الله وغيرهما هم المانع الأساسي لتحرير فلسطين! وأنه لولاهم وتحالفهم مع الصهاينة!! لكان الحكام العرب - الذين لا يفقهون من السكرة ولا يتركون السهرة - قد حرروا فلسطين منذ الدقيقة الأولى، ولذا وجد بعض الدعاة وبصيرة نافذة أن الطريق لتحرير فلسطين يمر عبر التخلص من الشيعة والقضاء عليهم أولاً، بل أنه لا يمانع من التعايش مع الصهاينة إلى الأبد إذا كان ذلك سيمنحه فضيلة القضاء على الشيعة.

وقد استخدم صدام حسين مثلاً هذه الأداة حين استحضر شبح ابن العلقمي زوراً و بهتاناً والإشارة إليه بصورة دائمة في بياناته - وفيما بعد في بيانات التنظيمات التكفيرية - بحيث حمل الشيعة كرة بعد أخرى تبعة الإخفاقات الذريعة في العالم العربي.

فبعد أن اضطهدوا ونكّل بهم طويلاً من جانب الدولة العراقية المهيمن عليها سنيّاً، أصبحوا - أي الشيعة - يلامون على الكارثة التي ألمّت بهم في العراق^(٢).

حاولت الأنظمة (السنية) تفسير الهزائم والخسائر لشعوبها على الصعد السياسية والقومية والوطنية والاقتصادية والأخلاقية في كل مكان، فكان

(١) نصر: صحوة الشيعة

(٢) نصر: صحوة الشيعة

الصعود الشيعي هو السبب والمعيار في آن لانحطاط حالة المسلمين - ويا له من اكتشاف - وقد وظّف الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون هذه النزعة، فأضحى الشيعة الشغل الشاغل للتكفيريين والوهابيين على طول العالم الإسلامي وعرضه، وأصبح فن تحويل كل أزمة كبرى إلى أزمة مذهبية هو مفتاح التخلص من مسئوليتها وتبعاتها أمام الشعوب بالنسبة للأنظمة والحكام العرب.

- الفتنة الطائفية أداة تعبوية: ومع الوقت أصبحت الإثارات المذهبية واحدة من أقوى الآليات لتعبئة العوام من الناس تجاه أية قضية تريد الأنظمة وحلفائها شغل الناس بها عن قضاياهم الحقيقية، لدرجة أنك تجد في بلد كمصر يعيش فيه أكثر من سبعين مليون إنسان يتجاوز في التحذير من سيطرة الشيعة على مصر - وهم لا يتجاوزون واحد في المائة من المصريين - من قبل الدعاة هناك حد الجنون - ولا أقول حد التعقل - لدرجة أن تجد من يقول علناً وعلى شاشات الفضائيات بأولوية السهر في الخمارات وبيوت الملاهي على الدخول على موقع شيعي في الإنترنت أو الدخول في حوار عقائدي مع أي منهم. وقد انتهى الشارع المصري بتلك الهلوسات ثم أفاق على مشاكل مصرية في الكهرباء والماء والاقتصاد والسياسة والحقوق وغيرها، ولم ينفعه كثرة الصراخ والعيول في الشأن الشيعي - إلا إذا اعتبر أن الأثيوبيين اللذين قرروا تحويل مجرى النيل عن مصر هم من أصول إيرانية شيعية صفوية مجوسية سبأية حزب اللاتية، وغير ذلك من الشتائم والأوصاف التي تضر بقائلها قبل غيره وتكشف عن ضعف منطقته وخواء تفكيره.

لماذا يتم اعتماد الفتنة الطائفية كاستراتيجية سياسية؟

لعل أهم أسباب استخدام هذه الاستراتيجية، هو التالي:

الاستقواء:

وهذه إحدى التأثيرات السلبية للحالة العددية، فالفرق الأخرى - حتى

الضئيلة منها عددياً كالوهابية الحنبلية - تنظر لنفسها على أساس أنها الفئة الكبيرة أو التي تمثل كثرة المسلمين، بينما الشيعة ينظر إليهم كأقلية يسهل استضعافها، وهذا من أهم محفزات الفتنة والاستقواء على الآخرين، أي وجود طرف ضعيف - أو تظن أنه ضعيف - أمامك.

بينما لا تجد الفتنة الطائفية قائمة بين الأقوياء لأن كل منهم مضطر إلى احترام الآخر أو تفادي الصدام معه، ولذا قلت ذات مرة بأن السبب الرئيسي لكل هذه الفتن الطائفية تجاه الشيعة هي ضعفهم - أو اعتقادهم هم واعتقاد غيرهم بأنهم ضعفاء - ولذا لا تجد من يجرأ على يهودي واحد لا في العالم العربي ولا في بقية بقاع الأرض بسبب قوتهم الافتراضية والتي توفرها لهم راعيتهم أمريكا، بينما يقتل الشيعة كل يوم بالعشرات في مناطق مختلفة في باكستان وكشمير ولبنان والعراق والهند وإندونيسيا وسوريا وتركيا والبحرين واليمن وغيرها من الأماكن وكل ما يصدر من ردة فعل - أحياناً طبعاً - هو شيء من التنديد لا أكثر - وأحياناً التنديد بجميع الأطراف بما فيهم الضحية لكي يبدو الأمر متوازناً - هكذا!

في بداية شهر يونيو من ٢٠١٣م أطلق يوسف القرضاوي الذي يحتل منصب رئيس تجمع علماء المسلمين، خطاباً طالب فيه كل السنة لحمل السلاح ومحاربة الشيعة خصوصاً على أرض سوريا! واستغرب «كيف أن ١٠٠ مليون شيعي فقط انتصروا على ١,٧ مليار مسلم سني» بحسب قوله، واعتبر أن الشيعة أشد كفراً من اليهود، وتندم على الأوقات التي كان يعتبرهم فيها فرقة من فرق المسلمين! فإذا كان من يتسمى برئيس تجمع علماء المسلمين هكذا فكيف ظنك بعوام الناس الذين لا يعرفون من الدين إلا ما يصلهم عبر هذه الأفواه المأزومة والنفوس العلية.

الصورة النمطية التاريخية:

هناك صورة نمطية سائدة في أذهان الكثيرين حول ضرورة الضعف الشيعي الحتمي مقابل الهيمنة السنية الحتمية، فالله - في الفكر الديني السني - مع المنتصر

حتى لو كان فاسداً وحيازة السلطة هي أعظم شاهد في الحياة على رضا الله المطلق
عمن أصبح سلطاناً بحق كان أو بباطل، ولذلك يصعب على الفرق الأخرى أن
تقبل باختلال هذه الصورة الذهنية والإقرار بأن الشيعة يمكن أن يتحولوا إلى
أصحاب حكم أو نفوذ أو سلطة في قلب الجغرافيا الإسلامية، ولطالما كانت
ردود السنة على التحدي الشيعي عروضا من القوة والسطوة، بدءاً من الخلافة
الأموية والعباسية ومروراً بالعثمانية وانتهاءً بالحكم الصدامي في العراق والخليفي
في البحرين والطالباني في أفغانستان.

إن علاج الاختلاف المذهبي لا يكون في نظر البعض بالفكر والاحتجاج
والمناظرة وإنما بالافتتال والتكفير وإسالة دماء المسلمين عبثاً وهدراً.

كيف يتم اعتماد هذه الاستراتيجية؟

عوامل الإثارة الطائفية: (١)

يتم اعتماد استراتيجية الفتنة الطائفية من خلال الاتكاء على عدة عوامل
تتلخص في التالي:

- **تغيّر موازين القوى:** فعندما يحدث تغيّر في موازين القوى بين الطوائف
والفرق المجتمعية تكون أرضية الخلاف أكثر خصوبةً وبالتالي يمكن إثارة
الفتن بسهولة، كما حصل حين تغيّرت موازين القوى لصالح الشيعة في
العراق بعد ٢٠٠٣م وفي لبنان بعد تموز ٢٠٠٦م، والحجة طبعاً واضحة:
استرجاع أو «تصحيح» ميزان القوى لما كان عليه سابقاً. فالتغير في ميزان
القوة السياسية سيعقبه تغير في ميزان القوة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية
وهذه كلها آثار مرفوضة عند الفريق الذي خسر في هذا التحول - وإن كان
ذلك غير ضرورياً إلا إذا كان الأمر مقلوباً من أصله ثم اعتدل بهذا التغير
- ولذلك يجد البعض بأن الخيار الطائفي هو الخيار الأسهل لهم - وإن لم يكن
بالضرورة لطائفهم.

- الأحداث الانقلابية: الأحداث الانقلابية هي التي تحول وتقلب الأوضاع السياسية (كحصول ثورة) أو الاقتصادية (كاكتشاف النفط) بصورة حادة من حال إلى آخر، كالثورة الإسلامية في إيران فهي لم تغير موازين القوى بين الطوائف ولكنها حولت قوة سياسية كبيرة من حليفة لمنظومة سياسية معينة إلى معادية لها، وصادف أن تلك المنظومة تضم في ثناياها أنظمة تعتبر نفسها ممثلة ووصية على فرق المسلمين الأخرى، فلم تجد خياراً لمواجهة هذا التحول سوى عبر السياسات والفتن الطائفية.
- تجار الهوية: وهم القادة الدينيين أو الطائفيين أو السياسيين أو الاجتماعيين الذين يمتلكون من النفوذ ما يكفي لتعبئة طائفة ما في اتجاه قضية ما سواء كانت على صواب أو خطأ، وهؤلاء غالباً ما يوظفون وضع الطائفة لمصالحهم الخاصة ولكن يغلفون ذلك بغطاء المصلحة العامة - مع إننا لم نجد من يستفيد حقيقة من أية فتنة طائفية - ولذلك فإن مصطلح «تجار الهوية» هو أدق من مصطلح زعيم الطائفة أو قائد الجماعة أو ما أشبه من التسميات الشائعة. وهؤلاء يعبئون طوائفهم باتجاه الفتن المذهبية لأنهم بذلك يحافظون على زعاماتهم الفاسدة من خلال إلهاء العوام في قضايا عصبية وانفعالية.
- الموارد وتنظيمها: بالرغم من أن بعض العوامل يمكن توظيفها بشكل كبير في إثارة الفتن المذهبية والطائفية إلا أن أغلبها تبقى ضعيفة إذا لم يكن هناك موارد كبيرة ومنظمة تساندها، فالنظام الوهابي في السعودية مثلاً لم يكن ليستطع إثارة هذا الكم الهائل من الفتن التكفيرية في شرق العالم الإسلامي وغربه لولا مئات المليارات من الدولارات النفطية التي حرم منها شعبه حتى أوصله إلى البؤس وصبها في مسارات ومخططات الفتن التكفيرية وضرب المسلمين بعضهم ببعض في كل مكان، إلى جانب مئات الآلاف من الدعاة والمدرسين في المدارس الدينية والمقاتلين والانتحاريين الذين زرعه في كل مكان وشوّه بهم صورة الإسلام أيما تشويه.
- الرعاية الخارجية: العامل الأخير في المحفزات الطائفية هو العامل الأجنبي،

فوجود أطراف أجنبية وخارجية مهيمنة كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ترعى وتوظف الظروف والمحفزات الأخرى يمكن أن يدفع بقوة باتجاه الصراعات الطائفية من خلال أدوارهم وارتباطاتهم بالأنظمة السيئة في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

النموذج الوهابي السعودي:

خلق الاصطفافات ومذهبة القضايا بدءاً من ثمانينيات القرن الماضي^(١):

قاوم السعوديون في عهد فيصل القومية العربية بقيادة عبدالناصر وباسم الإسلام، ولذلك حين بدأوا في إشعال مواجهة طائفية ضد الشيعة بسبب خوفهم من صعودهم بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبسبب معارضة الثورة للمنظومة السياسية الأمريكية في المنطقة، لم تكن تنقص السعوديون الخبرة ولا الموارد.

إن رعاية القضايا الإسلامية ابتداءً من عام ١٩٧٤م فصاعداً، أعطت السعودية فرصة كبيرة للتغلغل في العالم الإسلامي قاطبة، والاتصال من ثم بصناع الرأي فيه والنشطاء في المؤسسات الدينية والتعليمية الرئيسية، وفي بعض الأحيان الوصول حتى إلى المساجد الصغيرة في المدن والبلدات والقرى خارج العواصم.

بعد اندلاع الحرب بين إيران والعراق عام ١٩٨٠م ألقت السعودية بثقلها خلف صدام حسين فموّلت مجهوده الحربي بعشرات المليارات من الدولارات، وحولتها مع الوقت إلى حرب عربية سنّية - فارسية شيعية، فركزت الدعاية السعودية وإعلامها المنتشر في كل البلاد العربية وغير العربية على هوية الخميني الشيعية من جهة وعلى الفوارق المذهبية بين السنة والشيعة من جهة أخرى، فقد كان واضحاً للرياض ولغيرها من العواصم العربية والعالمية بأن أنجع وسيلة لاحتواء الخميني وثورته هي اللعب بالورقة الطائفية.

(١) نصر: صحوة الشيعة - فصل: معركة الأصوليات الإسلامية

وهكذا وجدنا الحكومات من المغرب العربي إلى ماليزيا مروراً بمصر ودول الخليج وغيرها تسعى جاهدة لدق أسفين ما بين التسنن والتشيع، واصفة الأول بـ «الإسلام الحق» والثاني بالتطرف الظلامي. أما في الهند وباكستان فقد تصدّى علماء السنة رأساً للتحدي الذي شكّله المرحوم الإمام الخميني واصفين حملته الاستنكارية على بيت آل سعود بـ «الفتنة» الموجهة ضد الأمة الإسلامية. وفي المقابل عكف هؤلاء العلماء على رسم صورة الحكام السعوديين بصفاتهم الحماة العظام للمذهب السني ورموز المقاومة في وجه محاولات الشيعة «اغتصاب» السلطة التي لم تتوقف منذ الثورات الشيعية المبكرة على الخلافتين الأموية والعباسية.

وهكذا أعيد في نهاية القرن العشرين استحضار الصراع السني الشيعي مع قيام الأمراء السعوديين بدور الخلفاء هذه المرة.

واصلت السعودية انتهاج استراتيجية احتواء التشيع بالعمل على نحو وثيق مع العلماء الوهابيين لبناء شبكة من المدارس الدينية والمساجد والمؤسسات التعليمية والدعاة والنشطاء والكتاب والصحفيين والأكاديميين الذين من شأنهم تبين الهوية السنية والتشديد عليها ودفعهم جميعاً في اتجاه تبني الوهابية النضالية (ضد الشيعة بالطبع) ودق أسفين ممكن بين السنة والشيعة والقضاء على تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية الأيديولوجي والثوروي.

وعلى ما لاحظ مراقب فيما يتعلق بالتوزيع الجغرافي للمدارس والمعاهد الدينية الممولة سعودياً والتي فتحت في باكستان خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين فإنها كانت تشكل جداراً صلباً يحول دون أن يكون لإيران موطئ قدم في باكستان. وفي هذه البيئة تحديداً تسنّى لأحد أبناء الملك فيصل - الأمير تركي الفيصل رئيس الاستخبارات السعودية - أن يرسي العلاقة التي ستضمن استيلاء طالبان على أفغانستان وتحويل ذلك البلد إلى حقل تدريب يرسم الإيجار لشتى الجماعات «الجهادية».

كانت حركة طالبان قد رمت الشيعة الأفغان بالكفر وذبحوا منهم ما لا يقل

عن ألفين في مزار شريف وباميان خلال عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨ م، ونفذوا المزيد من المذابح المنظمة ضدهم في كل أرجاء أفغانستان إلى حين وقوع الغزو الأمريكي، وكانوا يخبرون بعضهم بين الذبح أو التحول إلى المذهب السني، مما دفع الكثير من الشيعة للتزوح إلى باكستان وإيران.

أحد الأهداف التي وضعتها السعودية نصب عينيها كان مد ذلك الجدار الصلب من باكستان باتجاه الشمال عبر أفغانستان ومنها إلى داخل آسيا الوسطى. ونمط الإسلام الراديكالي الذي انتشر على نطاق واسع خلال تسعينيات القرن العشرين في آسيا الوسطى والقوقاز لم يأت من إيران بل كان إسلاماً راديكالياً سنياً ولد من رحم السياسة السعودية المدروسة لاحتواء التأثير الإيراني.

الفصل التاسع

العلاقات التفاعلية البيئية للشيعة حول العالم منذ عام ٢٠٠٣م

الفصل التاسع:

العلاقات التفاعلية البينية

للشيعة حول العالم منذ عام ٢٠٠٣م

النموذج القائم منذ عام ٢٠٠٣م:

قبل عقدين من الزمن كانت الأوضاع في العالم الشيعي مخالفة لما هي عليه اليوم، فقد كانت إيران قد أنهت للتو حرباً طاحنة مع العراق الصدامي تواجها فيها لثمان سنوات مع جيش أغلب عناصره من الشيعة، وكان شيعة العراق قد تعرضوا للتو لضربة قاسية وأليمة بعد انكسارهم في انتفاضة ١٩٩١م على يد النظام الصدامي، وكان شيعة البحرين مشتبهون مع النظام القمعي هناك عبر انتفاضة التسعينيات الطويلة، وكان شيعة لبنان لا زالوا في واجهة صراع شرس وبلا أفق مع الاحتلال الإسرائيلي لأرضهم وبدون أي دعم من دولتهم، والآذريون كانوا للتو قد تخلصوا من احتلال سوفياتي دام أكثر من سبعة عقود ولا زال غباره يعلوهم، وشيعة باكستان كانوا في خضم صراع شرس مع التكفيريين الذين تدعمهم حكومة ضياء الحق والاستخبارات الباكستانية، وكان شيعة أفغانستان قد تلقوا للتو ضربة قاسية على الرأس بعد أن استولى نظام طالبان على الحكم هناك وهو الذي يراهم أكفر الناس على وجه الأرض، لذا لم يكن بالإمكان الحديث عن نموذج شيعي عام، فإيران الدولة الشيعية الوحيدة آنذاك كانت مشغولة بإعادة ترميم نفسها وتشكيل ما يمكن أن يسمى بسياسة خارجية

في وسط بيئة إقليمية وعالمية مناوئة لها، ولم يكن لديها علاقات مباشرة وقوية إلا مع مواقع شيعية محدودة جداً في خارجها كشيعية لبنان (عبر حزب الله)، أما شيعية العراق والخليج وأفغانستان وباكستان فلم يكن علاقتها بهم إلا من حيث لجوء قادتهم السياسيين إليها على مدى الثمانينيات، أو هجرة جزء من كتلهم السكانية إليها بسبب الحروب (كوضع الشيعية الأفغان والعراقيين آنذاك) أو من خلال وجود مجاميع طلابية وشخصيات تقوم بالدراسة الحوزوية وطلب العلم في مدينة قم المقدسة.

أما اليوم فالوضع مختلف تماماً، فالجمهورية الإسلامية الإيرانية أصبحت دولة إقليمية كبرى تقود محوراً سياسياً حقق مجموعة من الانتصارات غير المسبوقة والاستراتيجية، ولم تعد هي الدولة الشيعية الوحيدة في الميدان، وأصبحت الوجودات الشيعية التي كانت تشكل عبئاً معنوياً أو مادياً أو سياسياً عليها في الماضي تمثل عوناً وسنداً كبيراً لها خصوصاً بعد أن تخلصت من أبغض أعدائها المباشرين كالنظامين الطالباني في أفغانستان والصدامي في العراق، بل إنها تحولت إلى حليفين، وبعد أن ضعف عدوها الاستراتيجي (الولايات المتحدة والغرب) وأنهك نفسه وحرق موارده في حروب أشعلها بأحلامه وأوقظته نارها بعد أن أحرقه لظاها، وأصبحت إيران والعراق ولبنان وسوريا والشيعية في اليمن والخليج وتركيا وباكستان والهند وأذربيجان مراكز إشعاع ديني وفكري ومواقع انتصار سياسي وعسكري ومحطات قيام واستنهاض وصحوة وساحات وأماكن واعدة بالصحة والتمكين والتغيير.

ومنذ عام ٢٠٠٣م أصبح الوضع الشيعي العالمي عامل أساسي في السياسة الخارجية الإيرانية^(١) بعد سقوط النظام الصدامي وتحول الحكم في العراق إلى يد الشيعية بكل ما في ذلك من مضامين ومفاعيل إقليمية وعالمية، ووصول السياسة الإيرانية إلى مستوى عال من النضج الاستراتيجي المتعلق بإدارة العلاقات الإقليمية والدولية ومواجهة الصراعات الموجهة. هذا التطور «الشيعي»

الخارجي في الفكر والممارسة السياسية الإيرانية أنتج نوعاً من العلاقات البينية في الأوساط الشيعية العالمية يمكن أن تكون نموذجاً تؤسس عليه العملية التفاعلية للعلاقات البينية الاستراتيجية الشيعية في الحقبة القادمة.

وذلك التفاعل البيني يمكن توصيفه كالتالي:

- **دولة محورية (مركز):** في الواقع الشيعي، توجد اليوم دولة محورية هي الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهي دولة قوية وعريقة ومستقرة سياسياً واجتماعياً وأمنياً، ومتقدمة في أدائها السياسي والاقتصادي والثقافي، وبالرغم من تعرضها لضغوط أمنية واقتصادية خارجية إلا أنها تعتبر دولة كبرى على المستوى الإقليمي ومؤثرة على المستوى الدولي، ولها علاقات وروابط سياسية وثقافية ومالية وعامة مع المجتمعات الشيعية في مختلف جهات العالم الأربع.
- **حوض شيعي يتشكل من مجموعة أطراف:** هناك دول ومجتمعات وكتل سكانية شيعية يتشكل منها الحوض الشيعي يمكن أن نعبر عنها بالأطراف، في مقابل تعبير المركز أو المحور، وهذه الأطراف تتصل وترتبط بنسبة أو بأخرى بالمركز من خلال روابط دينية أو سياسية أو ثقافية أو ما أشبه.
- **أطراف مشعة (مؤثرة):** هناك أطراف تعيش حالة من النهوض أو الصحو أو التمكين ناتجة عن تفاعلات سياسية ودينية ومجتمعية حادة فيها أو في البيئة التي تتواجد فيها، وذلك النهوض والتفاعل ينعكس على المجتمعات الشيعية - وغير الشيعية - من حولها بصورة إيجابية عامة، وبالتالي يمكن التعبير عنها بأنها أطراف مشعة، بسبب الإشعاع والتأثير الصادر عنها، وهذه الأطراف هي بالتحديد: العراق ولبنان.
- **ثغور شيعية:** يتواجد الشيعة خارج منطقة الحوض الشيعي في تجمعات وكتل سكانية تكبر وتصغر من مكان لآخر، وبعضها أبعد من الأخرى، وهي في أغلب الأوقات تكون متأثرة أو مرتبطة بنحو أو بآخر بأحد مكونات الحوض الشيعي (كأن تكون أساساً تجمعات مهاجرة من هذه البلاد) ويمكن أن

نختار التعبير عنها بالثغور.

شكل ٩-١

خارطة توضح مجالات التأثير الذي يولده المركز والأطراف المشعة الشيعية



مجالات التأثير للمركز والأطراف المشعة:

١. مجال تأثير المركز الإيراني
٢. مجال تأثير الطرف اللبناني
٣. مجال تأثير الطرف العراقي

أولاً:

الدولة – المركز:

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

يتصف المركز بالتالي:

- تأثير عام: فالجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة ذات تأثير عام على وضع غالبية الشيعة في العالم، فإذا دخلت في صراع مع قوى إقليمية أو عالمية انعكس ذلك سلباً على أوضاع العديد من المجتمعات الشيعية، وإذا حققت مكاسب مقابلة انعكس كذلك ولكن إيجاباً هذه المرة، والانعكاس بطبيعة الحال نسبي، فهو قد يكون حاداً - في الحالتين - في بعض الأماكن، ومتوسطاً أو خفيفاً في أماكن أخرى.
- توسط جغرافي: التوضع الوسطي هو حالة مساندة للوصول إلى الموقع المحوري أو المركزي في أية مجموعة، فمن الصعب أن تكون عنصراً مركزياً وأنت تتموضع في طرف بعيد، وإيران تقع في قلب الحوض الشيعي، وهي تشارك حدود برية مع خمس دول من دوله الستة عشر (وهي السابعة عشر) ولديها حدود بحرية تواجه ست دول منه يفصل بينها وبينهم مسافة مائة تتراوح بين ٥٥ - ٣٧٠ كيلومتر، أي أنها على تماس بري وبحري بإحدى عشر دولة، وتبتعد عن دوله الخمس الأخرى بفواصل دولة أو دولتين.

• شراكة لغوية: الشراكة في اللغة هي من الأمور التي تساند الحالة المركزية في الدولة خصوصاً اذا كانت اللغة حيوية تاريخياً وسياسياً وثقافياً، واللغة الفارسية التي تشكل اللغة الرسمية الأولى في إيران (مع وجود لغات أخرى) تمثل اللغة الرسمية لأكثر من ٢٨٪ من شيعية العالم (في إيران وأفغانستان وطاجيكستان) كما أنها متداولة شعبياً بنسبة ملحوظة لدى قسم من شيعية العراق والبحرين، وبحسب بعض البيانات فإن الناطقين بالفارسية في العالم يصل عددهم إلى ١١٠ ملايين شخص^(١).

كما أن إيران تشارك مع أكثر من ١٣٪ من الشيعة في لغات أخرى منتشرة في مناطق عديدة فيها كالتركية (آذربيجان وتركيا) والكردية (العراق وتركيا)، أي أن إيران تتقاطع وتشارك لغوياً مع أكثر من ٤٠٪ من شيعية العالم. أما الستين بالمائة الأخرى فمنهم حوالي ١٥٪ ينطقون باللغة العربية، و٥,٣١٪ منهم في مناطق تنشر فيها اللغة الأوردية (الهند وباكستان) وحوالي ١٣٪ منهم ينطقون بلغات أخرى عالمية ومحلية.

ولا بأس بالتذكير هنا بأن لغة المركز هي لغة حيوية فكما ذكرنا سالفاً بأنه في عام ٢٠١٠م فقط تم نشر ٦٥ ألف عنوان في إيران في مختلف المجالات والعلوم.

جدول ٩-١

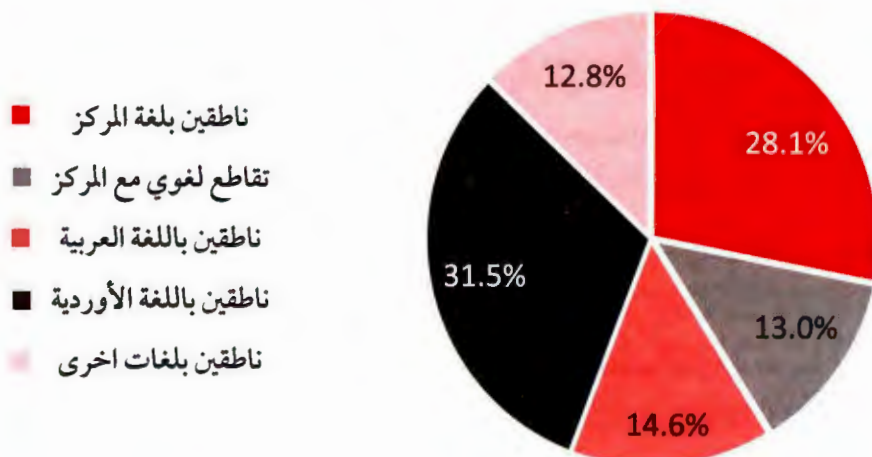
نسب الشيعة الناطقين بلغة المركز وباللغات الأخرى

28.1%	79,727,705	ناطقين بلغة المركز
13.0%	36,888,190	تقاطع لغوي مع المركز
14.6%	41,363,023	ناطقين باللغة العربية
31.5%	89,283,175	ناطقين باللغة الأوردية
12.8%	36,185,116	ناطقين بلغات أخرى

(١) ويكيبيديا Persian language

شكل ٩-٢

رسم بياني يبين نسب الشيعة الناطقين بلغة المركز وباللغات الأخرى



لا بأس هنا من الإشارة إلى مسألة - لكي لا يظهر من ينعت الشيعة بأنهم فرس مجوس صفويون وغير ذلك من الألفاظ التعصبية فقط لأن الناطقين باللغة العربية يشكلون نسبة محدودة من الكتل السكانية الشيعية، وهي أن الناطقين باللغة العربية من الكتل السكانية السنية يشكلون ٢٠٪ فقط من مجموع السنة حول العالم.

• محورية عقائدية: إن أساس العلاقة بين الطوائف والمذاهب تقوم على أساس العقيدة الدينية في أغلب الأحوال، وعليه فلا بد للمركز أن يكون ذا شأن ديني في المجموعة التي يتصدّرها ويقودها، وإيران هي كذلك، فمن ناحية هي موئل للإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليه السلام ولا يتفوق عليها في هذا الشأن إلا العراق والمدينة المنورة، ومن ناحية ثانية هي مركز إنتاج وتصدير

علوم الفقه الإسلامي الشيعي للعالم ومصدر وموطن للعديد من مراجع الشيعة إلى جانب العراق، ومن ناحية ثالثة هي أقدم مركز للسيادة السياسية الشيعية المستمرة منذ أكثر من خمسمائة عام.

- موارد بشرية وتنفوق سكاني: لدى إيران موارد بشرية هائلة يمكن أن تخدم الشيعة والتشيع والإسلام بصورة عامة في مختلف المجالات، وهي أكثر موقع متقدم للشيعة علمياً وسياسياً وعسكرياً وغير ذلك، كما أنها موطن أكبر كتلة شيعية في العالم (ربع شيعة العالم) سواء من حيث الحجم أو من حيث النسبة إلى السكان.

- علائق تاريخية: تشاطر إيران دول الحوض الشيعي - والمنطقة بصورة عامة - تاريخها الإسلامي الممتد منذ فجر الإسلام، وهي إما كانت محكومة - كما في القرون الأولى - من قبل هذه المناطق، أو حكمتهما لفترات طويلة - كما في القرون الأخيرة - وبالتالي فإن العلاقات والوشائج والأعراف والثقافات المشتركة بينهما هي ذات جذور بعيدة وعميقة ويمكن التأسيس عليها في بناء نماذج التعاون والتعاقد فيما بينها وبينهم، دون أن يبدو الأمر نشازاً أو غريباً.
- استقرار سياسي وتاريخي: إيران بلد قائم منذ فجر التاريخ بل يعتبر أقدم بلد في العالم، وكنبلد إسلامي هو كذلك وكنظام شيعي أيضاً، وبالتالي - بالرغم من تعدد الدول التي حكمته - يبقى بلداً قوياً مستقراً مالياً لأهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم وملاذاً ومستقراً وموئلاً لشيعتهم، ولا يتوقع أحد على الأقل فيما نتصور من مستقبل أن تتغير هذه المعادلة بل إننا موعودون على لسان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) بأن العجم هم من سيضرب العرب على الإسلام عوداً كما ضربوهم عليه بدءاً^(١).

- موارد جغرافية واقتصادية: لدى إيران موارد طبيعية وامتداد جغرافي واسع جداً (الدولة ١٨ في العالم من حيث المساحة) وموارد نفطية وغازية ومعدنية وغذائية وزراعية ومائية وغيرها تؤهلها لأن تسد حاجاتها وحاجات غيرها،

(١) راجع نهج البلاغة

وبالتالي تكون مستقلة عن الحاجة والتبعية إلى الآخرين في الأمور الأساسية بل وقادرة على سد حاجات الآخرين من اتباع أهل البيت عليه السلام - وغيرهم - ومساندتهم في مجالات عديدة.

مؤشرات الدور المركزي للجمهورية الإسلامية:

ما الذي يدل على أن للجمهورية الإسلامية الإيرانية دور مركزي في العالم الشيعي؟

إن أهم مؤشر للدور المركزي الإيراني في الواقع الشيعي هو عملية الرعاية التي تقوم بها للحالة الشيعية في العالم وتقديم الدعم والمساندة للشيععة في صور مختلفة كالمساندة المالية والسياسية والثقافية والعسكرية وغيرها، ونشير فيما يلي إلى بعض الأمثلة التوضيحية:

- الرعاية المالية: تقدم إيران الدعم المالي للشيععة في لبنان من خلال دعمها المالي لحزب الله أو للمؤسسات التعليمية والصحية والتربوية والسكنية والمعيشية وغيرها، وهذه المساعدات قد تكون نقدية وقد تكون عبارة عن مشاريع تتكفل بإنشائها في الحقول المشار إليها، وكذلك الأمر بالنسبة للشيععة في أفغانستان والعراق وغيرها من الأماكن.

ففي لبنان تتراوح تقديرات الدعم الإيراني لحزب الله والشيععة هناك ما بين ١٠٠ مليون في العام الواحد إلى ١٠٠ مليون في الشهر الواحد، ولعل هذا الاختلاف ناجم عن الخلط في حساب المساعدات النقدية وتكاليف التغطية المالية للمشاريع.

فمثلاً أنشأت إيران مستشفى الرسول الأعظم عليه السلام في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت بطاقة علاجية تغطي ٢٠٠ ألف مريض سنوياً، إلى جانب مجموعة مشاريع تم تنفيذها بعد حرب ٢٠٠٦م تمثلت في إعادة إنشاء ٥٠٤ شوارع، و١٩ جسر، و١٤٩ مدرسة، و٤٨ مسجد وكنيسة، و٦٤ محطة كهربائية، وكان مجموع ما شيدته إيران في لبنان خلال عقدين وحتى العام

٢٠٠٨ م ٣٣٠ مدرسة توفر التعليم لـ ٧٠٠ ألف طالب، و ٢٠ مستشفى وعيادة طبية، و ٥٥٠ ميل من الطرقات المعبدة.^(١)

وفي أفغانستان تقوم مؤسسة واحدة هي مؤسسة الإمام الخميني للإغاثة بتقديم الدعم المالي لعوائل أفغانية في مناطق مختلفة - بما فيهم بعض مناطق البشتون السنية - منذ عام ١٩٩٣ - ١٩٩٤ م، وفي عام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م قدمت المؤسسة مساعدات مادية دورية إلى ٥٥٥١ عائلة أفغانية و ٢١٩٣١ فرد أفغاني، ومساعدات ظرفية (حسب الحاجة) إلى ١٨٠٣ عائلة و ١٠٠٠٣ أفراد وذلك في أربع مناطق هي كابول وهيرات ومزار شريف وزارانج.^(٢) وبطبيعة الحال فإن هذه ليست رعاية مالية بالمعنى المجرد فهي في النهاية تتحول إلى رعاية صحية وتعليمية ومعيشية وتنموية وغيرها.

• الرعاية العسكرية: كما المال تقدم ايران أيضاً الدعم العسكري لمجموعة من الساحات الشيعية الناهضة والمتحركة في صيغة أسلحة وعتاد وتدريب وتمويل وإعادة تسليح للأجهزة العسكرية، وأبرز هذه الساحات وأقدمها هي الساحة الشيعية اللبنانية عبر واجهة حزب الله، وهذا الأمر لم يعد سراً أبداً بل إن المسؤولين الإيرانيين والشيعية اللبنانيين لطالما تفاخروا بهذه العلاقة الاستراتيجية. وقد قدرت التقارير الإسرائيلية ارتفاع حجم ترسانة صواريخ الحزب بعد حرب ٢٠٠٦ م إلى أكثر من ٤٠ ألف صاروخ^(٣)، جلها من الصناعة الإيرانية أو السورية.

إن هذا الدعم والذي بدأ منذ ١٩٨٠ في صورة التواجد البشري للقوات الوليدة والجديدة آنذاك للحرس الثوري، والذي تحول مع الوقت إلى الصيغة المعروفة حالياً لم يكن هدفه صناعة واجهات لبنانية شيعية تكون أداة طيعة في يد الإيرانيين بقدر ما كان يهدف إلى تعزيز وتقوية وضع الطائفة الشيعية في

Slavin: Mullahs, money, and militias (١)

Majidyar: Iranian influence in Afghanistan (٢)

Slavin: Mullahs, money, and militias (٣)

لبنان لكي تكون قادرة على حماية نفسها في خضم حرب أهلية استمرت لخمس عشرة عاماً وشاركت فيها وتسلّحت من أجلها جميع الطوائف اللبنانية بميليشيات وقوى عسكرية طائفية، تحمي كل منها طائفتها في قبال الطوائف الأخرى.^(١)

وكذلك الشأن في الموضوع العراقي، حيث تدعي قوات الاحتلال الأمريكي في العراق بأنها وحتى عام ٢٠٠٨م كان في قبضتها ٦ آلاف معتقل من جيش المهدي التابع لتيار السيد مقتدى الصدر كلهم قد تلقوا سلاحاً أو تدريباً على السلاح في إيران^(٢). هذا إلى جانب مقاتلي منظمة بدر التابعة للمجلس الأعلى الإسلامي في العراق بقيادة السادة من عائلة الحكيم، حيث ولدت المنظمة بالأساس ونشأت وترعرعت في إيران قبل سقوط النظام الصدامي في العراق بسنوات طويلة، ثم انتقلت في ٢٠٠٣م بعثتها وعتادها - وتحالفها الاستراتيجي مع طهران - إلى الأراضي العراقية. وقد كان الدعم العسكري لمختلف الفصائل الشيعية - والسنية - في العراق يهدف إلى إضعاف الوجود والتأثير الأمريكي فيه وتعزيز وضع الشيعة وتحصينهم أمام آلة الاحتلال العسكرية الضخمة وسياساته الاستعمارية والتفتيتية الخبيثة والتي عنونها هو ومنظريه تحت مصطلح «الفوضى الخلاقة»^(٣).

وهناك ادعاءات بأدوار مشابهة لذلك في اليمن بالنسبة لشيعة صعدة، وفي باكستان وكشمير، ولكن لم يثبت أي شيء منها بالدليل القاطع حتى من قبل من ادعوا ذلك كحكومة علي عبدالله صالح ومن وراءها الإدارة الأمريكية.

- الرعاية السياسية: إلى جانب ذلك هناك الرعاية السياسية بمعنى تقديم الغطاء السياسي (الإرشاد والمساندة والحماية والعلاقات والتبريرات وأدوات العمل السياسي) للمجتمعات الشيعية، وهذا واضح وطبيعي في لبنان،

(١) Fuller: The Hizballah-Iran connection

(٢) المصدر السابق

(٣) شلهوب: هكذا أدارت إيران معركة الخروج الأمريكي من العراق

حيث أن لكل طائفة راعٍ، فالفرنسيون قدموا الرعاية للمارونيون، وسوريا ساندت المسيحيين والسنة والشيعية بحسب المتغيرات الجيوسياسية، ومصر الناصرية والسعودية - فيما بعد - رعتا السنة، وكذلك ليبيا والعراق، والإسرائيليون تحالفوا مع المارونيون في فترات معينة، والاتحاد السوفياتي دعم الحزب الشيوعي، والولايات المتحدة قدمت الدعم المالي والسياسي للعديد من الزعماء اللبنانيين خصوصاً في الستينيات.

كذلك مارست إيران دور الراعي السياسي لأغلب - إن لم يكن كل - التيارات السياسية في العراق، واستطاعت بذلك أن تكون وسيطاً فاعلاً لحل النزاعات بينهم والتي وصلت إلى حد الصدام المسلح، كما حصل بين التيار الصدري وتيار المجلس الإسلامي عام ٢٠٠٧م في كربلاء، وبين الصدرين والحكومة العراقية بقيادة نوري المالكي عام ٢٠٠٨م في البصرة، كما قامت بحماية مقتدى الصدر قبل ذلك من خلال إقامته في إيران حينما أصبح على قائمة المطلوبين والمستهدفين من قبل قوات الاحتلال الأمريكية منذ عام ٢٠٠٧م.^(١)

إلى جانب ذلك فإن وجود إيران على المقلب الآخر من الخليج ساهم بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة على كبح جماح الأنظمة الخليجية في تشدها مع شعوب المنطقة الشيعية، فالنظام في البحرين وبالرغم من كل قساوته وإجرامه في حق الشعب البحراني بأغلبيته الشيعية إلا أنه لم يستطع أن يمضي نحو الإبادة والتطهير العرقي الشامل بسبب خوفه من التدخل الإيراني المباشر في نصرة الثورة الشعبية العارمة في البحرين والتي انطلقت في ١٤ فبراير ٢٠١١م، وكذلك الشأن في السعودية وبقية المناطق.

وبالرغم من القدرة السياسية الإيرانية إلا أنها تقف ضعيفة الحيلة أمام بعض الحالات بسبب الضوابط السياسية في العلاقات الدولية والأوضاع الجيوستراتيجية في المنطقة كما هو الحال في الخليج حيث أن تأثيرها يبقى أقل

Slavin: Mullahs, money, and militias (١)

بكثير مما هو في لبنان أو العراق، وكذلك بالنسبة لأوضاع الشيعة في باكستان وكشمير وماليزيا وغيرها حيث يحتاج الشيعة هناك إلى حماية أكبر أمام الهجمات الدموية والعنف الطائفي والمذابح التي يتعرضون لها على أيدي التكفيريين وبمساندة أجهزة أمنية وعسكرية وسياسية رسمية في أنظمة تلك الدول.

- الرعاية العقائدية: حيث تقوم إيران ببعض النشاطات التي تكاد تكون محصورة بها كالمبادرة إلى تشييد وتجديد المقامات الدينية لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم في العراق وإيران وبلاد الشام^(١) وغيرها وتكاد لا تجد مقاماً حتى لو كان متواضع الشأن وفي أقصى البلاد إلا والكتابات الفارسية جزء من مكونات الشواهد الموجودة في بنائه وعلى جدرانها، كما أن إيران مقر لأكبر حوزة علمية للشيعة في وقتنا الحاضر وهي حوزة مدينة قم المقدسة، حيث يتواجد فيها عشرات الآلاف من طلبة العلوم الدينية القادمين من عشرات الدول الإسلامية وغير الإسلامية والذين في نهاية المطاف يتحولون إلى رجال دين ودعاة وخطباء وكتاب ووعاظ وموجهون وقادة دينيون للشيعة في جهات الكوكب الأربع.

وهذا الكم الكبير من النخب الدينية يصبح أهم جسور الارتباط بين البيئة المحورية الإيرانية وبين الأطراف والثغور الشيعية في مختلف أنحاء العالم، فكل منهم قد يقضي سنوات طويلة في الدراسة في إيران ثم يقوم أكثرهم فيما بعد بالتردد بين حين وآخر على البلد الذي أصبح مألوفاً لديه لغة وثقافة وتاريخاً وسياسةً ونظاماً ويصبح جزءاً رسمياً أو تلقائياً من النسيج التشبيكي والاستراتيجي الإيراني الممتد على مستوى العالم.

- رعاية الثغور: كما تقوم الجمهورية الإسلامية وبنشاط حثيث بمد علاقاتها مع أكبر قدر ممكن من الثغور الشيعية في العالم، فتجد آثار دعمها المالي والثقافي والعقائدي للشيعة واضحة في القارة الأفريقية (نيجيريا والسنغال والسودان

(١) الحسني: دليل العتبات والمرافد في العراق، والحائري: دليل الأماكن المقدسة في سورية

وغيرها)^(١) وفي شرق آسيا (إندونيسيا وهونغ كونغ وميانمار وغيرها)^(٢) وفي وسط آسيا وروسيا^(٣) وغيرها من بقاع العالم.

منطلقات التموضع المحوري للجمهورية الإسلامية:

إن سعي إيران للتموضع كدولة محورية للشيعة في العالم، يركز إلى منطلقين، هما:

- الأمن الدفاعي: فالجمهورية الإسلامية تتعرض لهجوم سياسي وحصار اقتصادي وتشويه عقائدي مستمر على المستويين الإقليمي والدولي منذ السنة الأولى لثورتها قبل ثلاثة عقود ونصف، ولذا فمن البديهي أن تسعى لفك تلك الحصارات بالوسائل والفرص المتاحة لها، ومع التغيرات الإقليمية والجيوستراتيجية التي حصلت من حولها والتي وضعت جيوش أعدائها الأمريكيين والغربيين على حدودها الشرقية والشمالية الغربية، فإن من الطبيعي أن تسعى لتحويل العراق وشیعته إلى حلفاء استراتيجيين وتتخطى حالة العداء المزمّن وغير الطبيعي بين البلدين، وكذلك فإن جهودها التي ساهمت في تمكين الشيعة في لبنان لا بد وأن تسعى لتوظيفها في هذا السياق، ناهيك عن تحالفها الاستراتيجي مع سورية ومع المقاومة الفلسطينية، وسعيها لمد جسور المصالحة مع أنظمة الجوار كالنظام الجديد في أفغانستان وباكستان. إن أحد أخطاء النظام العالمي في تعامله مع هذه الحالة هو النظر إليها كحالة هجومية من إيران تسعى من خلالها إلى بسط السيطرة والهيمنة على المنطقة، فالنظر إليها من هذه الزاوية يستدعي التعامل معها بخيارات رادعة، بينما النظر إليها من الزاوية الدفاعية يفترض أن يؤدي إلى اعتماد خيارات تعاونية.^(٤)

Rubin: Africa (١)

Formichi: Tradition and authenticity (٢)

Lisnyansky: Tashayu (conversion to Shiism) in Central Asia and Russia (٣)

Barzegar: Iran's foreign policy (٤)

- المسؤولية العقائدية: إن كون الجمهورية الإسلامية الإيرانية بلداً ذو صبغة دينية وعقائدية ويتبنى عقيدة - كعقيدة أهل بيت الرسالة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين - تفرض على الإنسان المؤمن مسؤولية الدفاع عن اخوته في الايمان وحمايتهم وسد حوائجهم خصوصاً اذا ما كانوا في حال من الخطر والتعرض للهجوم السياسي وغيره، بل وتفرض عليه المبادرة بأخذ المسؤولية تجاه جميع المسلمين ومساندتهم وحمايتهم من الأخطار - كما في فلسطين والبوسنة والهرسك وميانمار وغيرها.

إن منطلق الأمن الدفاعي حتى لو كان ذا أساس مصلحي وليس أيديولوجي، فإن الأيديولوجيا والعقيدة المشتركة تسهله وتبرره وتحميه وتعززه، ولعل هذا ما يشير إلى قصر نظر الأطراف التكفيرية ومن خلفها القوى الإمبريالية العالمية، فإن هجوم شرس ووقح بالحجم والحداثة الواقعة اليوم على الشيعة في العديد من الأماكن لابد وأن يولّد ردود أفعال كبيرة وجذرية واستراتيجية في هذا السياق من قبل المركز والأطراف والثغور ويدفعها كلها إلى التقارب والتلاحم وشد أزر بعضها البعض، خصوصاً اذا كان المركز الذي يراها يمتلك بصيرة واضحة وأدوات فاعلة في هذا الشأن.

مكاسب الجمهورية الإسلامية الإيرانية من التموضع المحوري وعمليات الرعاية:

- إن لعمليات الرعاية التي يقوم بها المركز الشيعي للأطراف والثغور، مجموعة من التأثيرات الإيجابية، أهمها:
- بناء شبكة حلفاء استراتيجيون وأقوياء تساهم في مقاومة الحصار والخروج منه، وهو ما حصل مع الشيعة في العراق مثلاً والتي أصبحت حليفاً يحقق الأمن للجمهورية الإسلامية بعد أن كان مصدر الخطر الأساسي، وبالإضافة إلى تحوله - حرفياً - إلى جسر يربط إيران بالشرق العربي كله.
- خلق مجالات جيوسياسية تخلق فرص نمو سياسي واقتصادي واستراتيجي، وهذه حالات مشتركة بين المركز والأطراف، فالمركز تصبح لديه منافذ للتأثير

السياسي والاستراتيجي، بينما الأطراف تصبح لديها أدوات لتعزيز أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبالتالي تعزيزها مكانتها الاستراتيجية في مواطنها، ولعل أبرز النماذج هنا هو الشيعة في لبنان وفي نيجيريا وفي اليمن.

- خلق محور مناظر للمحور المعادي لإيران واجتذاب حلفاء وإخراجهم من المحور الأمريكي المعادي، وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من الأداء الاستراتيجي يستدعي توظيف موارد هائلة والعمل بنفس طویل ورؤية بعيدة المدى والإقدام على مخاطر كبيرة، وهو ما يحصل مع ما يسمى حالياً بمحور المقاومة المتشكل هيكله الأساسي من المقاومة اللبنانية والفلسطينية وسورية والعراق وقيادة إيران.

ثانياً:

الأطراف المشعة: العراق و لبنان

وستتعرف على علة تحوّل هذه الأطراف إلى نقاط إشعاع، والمدى الذي يصل إليه إشعاعها، ونمط التأثير الذي تولّده.

التأثير اللبناني :

مصادر التأثير:

يؤثر الوضع الحيوي للشيعة في لبنان على مجموعة من الأطراف والثغور والمجتمعات من خلال العوامل التالية:

- سد فراغ قومي وسياسي هائل يتمثل في مشروع مقاومة إسرائيل: قامت المقاومة اللبنانية والمتمثلة في واجهة شيعية هي مقاومة «حزب الله» بسد فراغ هائل في البيئة العربية ألا وهو مشروع مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وهذا المشروع كاد أن يصبح نسياً منسياً بعد أن تخلّت عنه بصورة مباشرة جميع الأنظمة العربية بما فيها النظام الذي تشكّل داخل فلسطين المحتلة، ولم تبق إلا مجموعة فلسطينية صغيرة محصورة في غزة تنادي بالمقاومة، فكان الشيعة هم عماد العملية الإحيائية للمقاومة وثقافتها وانتصاراتها بحيث انعكس ذلك على طول العالم العربي وعرضه، وحافظ على هذه الحالة من الاندحار

والاندثار بل وأحيائها وعزز وجودها بين شعوب المنطقة، وحول المقاومة من قوة «معيقة»^(١) إلى قوة «مانعة» لمشاريع كبرى تحمل عناوينها التخلي عن فلسطين ومقدسات المسلمين، والفوضى الخلاقة، وإعادة تركيب الشرق الأوسط بصورة كارثية جديدة على يد الولايات المتحدة والغرب الاستعماري.

• نموذج جديد في المقاومة عسكرياً وقيماً: لم تكن المقاومة التي تصدى لتحملها «حزب الله» عادية بأي معنى، بل كانت نموذجية بكل المعاني، وعلى رأس تلك المعاني كانت الصورة العسكرية التي برزت في مظهرين أساسيين هما: الشجاعة والمهارة.

فحزب الله كانت لديه الشجاعة على مواجهة القوة الإسرائيلية الهائلة - التي تضعضع أمامها جميع الأنظمة العربية - في عدة مواجهات كان أبرزها ما حدث في عام ٢٠٠٦م، حتى أنه وصف على لسان تلك الأنظمة بالمغامر، إلا إنه أبطل هذه الصفة وبين كيف أنه ماهر ومناور وليس مغامر، من خلال مهارته الاستراتيجية ومهارة وكفاءة مقاتليه العالية التي قلبت الموازين الاستراتيجية في المنطقة كلها ودفعت إسرائيل لأول مرة في تاريخها إلى إعادة التفكير في عقيدتها القتالية القائمة على الردع الفعال من خلال الهجوم بدل الدفاع، وتفكيك نظرياتها الأمنية والحربية التي كانت قائمة على احتلال الأراضي وتحييد العمق الجغرافي الفلسطيني المحتل.^(٢) لقد تحولت المدرسة القتالية لحزب الله إلى عقيدة جديدة في القتال يتم تدريسها في أهم مراكز التخطيط والدراسات العسكرية العالمية في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية والعالم.

كما برزت الحالة النموذجية في مقاومة «حزب الله» في القيم التي تحلّى بها قادته ومقاتليه، وخصوصاً التضحية والمصادقية، فالتضحية برزت ليس فقط في المقاتلين بل حتى في القيادات والتي تمثلت في استشهاد أحد أبناء قائد الحزب

(١) جريدة السفير: خمس سنوات على حرب تموز ٢٠٠٦م

(٢) المصدر السابق.

السيد حسن نصر الله في الخطوط الأمامية القتالية مع العدو الإسرائيلي، وكذلك في مصداقية الخطاب الحزبي المقاوم المتمثل في خطب وعود وبيانات قيادته السياسية، التي يفي بها ولا ينطق إلا بما يمكنه أن ينفذه أو يسعى عملياً من خلال التخطيط والإعداد المتين لتنفيذه.

- انتصارات متتالية: أحد عوامل الإشعاع اللبناني هو تتالي الانتصارات، فأحدى سنن الحياة هي ميل الناس إلى المنتصرين - كما هو واضح في سورة النصر - وقد تميّزت مسيرة المقاومة اللبنانية بالانتصارات الفريدة والمتتالية، ففي عام ١٩٩٣م استطاعت أن تنتزع اعترافاً بوجودها من خلال إقرار إسرائيل بمحددات المواجهة بينهما، وتؤكد ذلك مرة أخرى عام ١٩٩٦م بما سمي تفاهم نيسان، ثم كان الانتصار الفريد من نوعه عام ٢٠٠٠م المتمثل بانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان في صورة أشبه بالهروب والهزيمة دون أية اتفاقيات سلام أو هدنة أو غير ذلك كما حدث مع أنظمة عربية أخرى، وبعد ذلك كان إنجاز تحرير عموم الأسرى اللبنانيين والعرب من السجون الإسرائيلية عام ٢٠٠٤م (باستثناء الأردنيين لرفض حكومتهم ذلك، والأسير اللبناني سمير القنطار)، وأخيراً وليس آخراً الأداء المذهل للمقاومة والانتصار في حرب ٢٠٠٦م، والتي شكّلت لحظة تأسيس في ذاكرة شعوب المنطقة^(١) لقدرة الإنسان العربي على التغيير والتحرير حتى بالاستقلال عن الأنظمة السياسية القائمة وفي اصعب الظروف المتخيلة.

- السيد حسن نصر الله كنموذج للقيادة السياسية العربية الكفوة: استطاع السيد حسن نصر الله أن يسحر بشخصيته الفذة لب الملايين من العرب والمسلمين وأن يتحول إلى نموذج يضرب به المثل في القيادة السياسية سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي، وهذه مرتبة حازها - حتى بين أعداءه ومناوئيه^(٢) - بأدائه المتميز في قيادة الحزب إلى النصر على أعداءه الإسرائيليين

(١) جريدة السفير: خمس سنوات على حرب تموز ٢٠٠٦م

(٢) Ciezadlo: A profile of Nasrallah

في اصعب المراحل، وفي التعامل مع التوازنات السياسية والاجتماعية الدقيقة في وطنه لبنان، وفي تعزيز وضع الشيعة وتمكينهم في لبنان، وفي توضيحاته حتى بأبنائه، وفي صدقه ودقته وفي إدارته الميدانية لدرجة الإبلاغ عن ضربات المقاومة العسكرية في الحرب لحظة حدوثها وعلى الهواء مباشرة - كما حصل مع البارجة العسكرية الإسرائيلية - وفي تحمله لمسئوليات إنسانية تخلى عنها غيره كتحريك سجناء المقاومة اللبنانية والعربية في السجون الإسرائيلية، وغير ذلك كثير.

- **تغطية إعلامية وثقافية فاعلة لمشروع المقاومة:** مع عصر حزب الله بدأ الناس يرون الفعل المقاوم - وليس يسمعون به فقط - ويتفاعلون معه لحظة حدوثه بالعين والأذن والقلب واللسان، من خلال التسجيلات والتغطيات الحية لعمليات المقاومة وأفعالها، حيث يقوم الحزب بذلك من خلال مجموعة كبيرة وكفوءة من الوسائط الإعلامية على رأسها ومن أهمها قناة المنار، التي تغطي أخبار المقاومة بشكل عام وفي لبنان وفلسطين بشكل خاص، والتي أدخلت بواسطتها صور المقاومة في كل بيت عربي وولدت بذلك دعماً وتعاطفاً عربياً شعبياً للمقاومة وأهدافها على مدى العالم العربي كله، وأحييت بذلك ثقافة المقاومة في النفوس من جديد وأحييت كذلك ثقة الناس والجماهير العربية بها، خصوصاً وأنها تستخدم خطاب جامع يدمج أداء المقاومة بأداء الشعوب والمجتمعات العربية ويقوم بوصف انتصاراتها كانتصارات للمجتمعات العربية والإسلامية وليس فقط كإنجازات لفئة مقاومة متواجدة في جغرافيا محددة^(١).

نطاق التأثير:

- أما نطاق تأثير الطرف اللبناني المشع فقد تميّز بالتالي:
- أنه تأثير عابر للطوائف، فهو لم يقتصر على الطائفة الشيعية فقط، وإنما تأثر به

(١) Ajemian: Resistance beyond time and space; Lyme :Hizb'Allah's communication strategy

سياًياً العديد من أبناء الطوائف الإسلامية والعربية الأخرى من أتباع المذاهب السنية أو الديانة المسيحية في العالم العربي^(١).

• إن هذا التأثير أكثر ما يلمس في النطاق الجغرافي لبلاد الشام وشمال أفريقيا (وهي بلدان ذات هوية عقائدية غير شيعية)، وإن كان ذلك لا ينفي وجود تأثير في مناطق أخرى، وقد أوضح استطلاع للرأي العام قام به مركز ابن خلدون للدراسات الإنشائية عام ٢٠٠٦م^(٢) أن السيد حسن نصر الله هو الأكثر شعبية بين المصريين حيث حاز على تأييد ٧٤٪ منهم (يليه السيد احمدي نجاد رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية بنسبة ٦١٪).

كما أن استطلاعاً للرأي العام العربي نفذ في ست دول هي المغرب ومصر ولبنان والأردن والسعودية والإمارات العربية عام ٢٠٠٨م^(٣) أوضح بأن السيد حسن نصر الله هو الشخصية التي حازت على أكبر نسبة من الإعجاب والتقدير، وحتى عام ٢٠١١م بقي السيد نصر الله في المركز الثاني بحسب قياس الرأي العام العربي (والرئيس الإيراني أحمدي نجاد في المركز الثالث)^(٤).

صور التأثير:

- أما صور التأثير والإشعاع اللبناني، فقد تظهت في بعدين، هما:
- سياسي: حيث تظهر هذا التأثير في صورة التأييد السياسي لفكرة وحالة وعمل المقاومة، وقد بدا ذلك أيضاً من خلال الاستطلاعات الآنفة الذكر والتي احتوت على أسئلة ذات علاقة بالموضوع، كالسؤال عما شغل بال الناس في فترة الاستطلاع.
- ثقافي: كسر هذا النموذج اللبناني حاجز الخوف والعجز عند الشعوب خصوصاً شعوب الربيع العربي، حيث أظهر بوضوح زيف خدعة أن الناس

(١) Fuller: The Hizballah-Iran connection

(٢) مركز ابن خلدون: استطلاع الرأي العام في مصر ٢٠٠٦م

(٣) Telhami: 2008 annual Arab public opinion poll

(٤) Telhami: 2011 annual Arab public opinion poll

لا يمكنها فعل شيء أمام إسرائيل والأنظمة العربية، فقد بيّنت حرب تموز ٢٠٠٦م أن باستطاعة دولة ضعيفة الإمكانيات العسكرية كلبنان أن تردع قوة كبيرة تمتلك أقوى جيش في الشرق الأوسط ويدعمها العالم الإمبريالي الغربي بأكمله عن تحقيق أي انتصار من خلال امتلاك قوة دفاعية ردعية فعالة.

إن أهم إنجاز قد يكون للانتصار الذي حققه حزب الله هو أنه كشف بهذا الانتصار وبهذه المقاومة كل الأنظمة العربية أمام شعوبها ولذلك فإن حرب تموز بها تضمنته من نتائج وتداعيات ساهمت في هذا الدفع الجديد للمجتمعات العربية من أجل التغيير.^(١)

التأثير العراقي:

مصادر التأثير:

يؤثر الطرف العراقي المشع على مجموعة كبيرة من الأطراف الأخرى من خلال العوامل التالية:

- بروز العراق كنموذج للتمكين السياسي الشيعي: أدى سقوط نظام صدام حسين ووصول الشيعة إلى السلطة هناك بسبب أغليبيتهم العددية إلى إثارة طموحات الشيعة في الدول المجاورة - خاصة الخليجية منها - وتشجيعهم على المطالبة بمزيد من الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية^(٢)، فما حدث في العراق من صعود سياسي للشيعة كان عميق الأثر خصوصاً على البلدان التي يمثل فيها الشيعة أكثرية مطلقة كالبحرين أو أكثرية جغرافية كالسعودية أو مجموعة كبيرة نسبياً وتمتلك أدوات التعبير والفعل السياسي كالكويت، ولم يكن هذا التأثير سيحدث لولا أن الشيعة في هذه المناطق يعانون بشكل أو بآخر من حالات تهميش ديني أو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو كلها معاً.

(١) جريدة السفير: خمس سنوات على حرب تموز ٢٠٠٦م.

(٢) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

- **انعتاق الثقل الشيعي العربي على امتداد المشرق العربي كله:** التمكين السياسي الشيعي في العراق بعد ٢٠٠٣م تم في بلد عربي كبير وأساسي في معادلة الأمن والتوازن في منطقة الخليج بوجه خاص والمنطقة العربية بوجه عام، كما جاء في فترة ارتفع فيها الاهتمام الدولي بمشاكل الأقليات العرقية والدينية والمذهبية^(١)، إضافة إلى أن العراقيين الشيعة هم أكبر كتلة بشرية شيعية في البلاد العربية، كل ذلك انعكس حراكاً سياسياً وعقائدياً وتعبوياً على شيعة المشرق العربي في اتجاه تغيير أوضاعهم وتحسينها وسعيهم لتمكين أنفسهم.
- **انعتاق الكيانات المقدسة وعودة حركة الزيارات الشعائرية بصورة هائلة:** يضاف إلى ذلك «انعتاق» الأماكن المقدسة للشيعة في العراق من حكم الأنظمة المناوئة لها وعودة حركة الزيارات الشعائرية لتلك الأماكن بصورة هائلة تتواصل على مدار السنة وتتجاوز في ذروتها الملايين، وتأثير تلك الزيارات في التواصل المباشر مع المرجعيات الشيعية الموجودة في العراق وكبار علماء الدين، شكّل جاذبية إضافية كبرى للارتباط والتأثر بالوضع العراقي المستجد.^(٢)
- **القنوات الفضائية الشيعية:** خلقت القنوات الفضائية الشيعية جسراً هوائياً مباشراً ومستمراً بين الشيعة في كل مكان وبين الفضاء الديني العراقي، فهذه الفضائيات إما أنها عراقية وبالتالي تبث ما يجري في العراق إلى مشاهديها في الخارج واغلبهم من الشيعة، أو أنها غير عراقية ولكنها تظل مرتبطة بالعراق من خلال عاملين يظهران على شاشاتها باستمرار هما، الأماكن المقدسة التي لا يمر يوم من دون أن يكون هناك حدث ديني ما يعيدها إلى ذاكرة الناس ومشاعرهم - ولو كان نقل شعائر الصلاة اليومية منها - فهي عامل إحياء مستمر، وخطب ومحاضرات ومقابلات رجال دين عراقيين والذين يتميزون بكثرتهم العددية وارتباطهم كوكلاء أو كممثلين بالمرجعيات الدينية هناك.

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

- الوفاق الإيراني العراقي: واحدة من أهم الحالات التي تريح الشيعة في العالم فيما يتعلق بالوضع العراقي هو الوفاق والتقارب والتعاون الذي نشأ بين الشيعة في إيران وإخوتهم في العراق سواء على المستويين الرسمي والشعبي أو على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيرها^(١).

نطاق التأثير:

- يتميز نطاق التأثير العراقي بالتالي:
- أنه تأثير محصور بوجه عام في الطائفة فقط، بعكس تأثير الطرف اللبناني العابر للطوائف، وذلك لأسباب عديدة على رأسها أن بقية الطوائف الأخرى قرأت ما حصل في العراق من منظور طائفي بحت واعتبرته خسارة لها وليس ربحاً للشعب العراقي وأكثرية التي كانت مسحوقة ومهمشة.
- أكثر الأطراف التي تأثرت بالإشعاع العراقي بصورة عميقة هي بلدان شبه الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية، وقد أشار كثيرون إلى أن أصداء تمكين الشيعة في العراق امتدت لتشمل أكثر مناطق الحوض الشيعي المركزي، وأن العراق أصبح بعد ٢٠٠٣ م ذا إمكانية أن يكون «دومينو شيعي» بدل أن يكون «دومينو ديموقراطي» في الشرق الأوسط، وأن تأثير وصول الشيعة إلى الحكم في العراق لم يقتصر على توازن القوى الطائفي هناك، وإنما شمل أرجاء المنطقة كلها.^(٢)

صور التأثير:

- برزت صور التأثير العراقي في بعدين، هما:
- سياسي: حفّزت التغيرات في العراق الشيعة في كل مكان على العمل من أجل التغيير السياسي فالشيعة في لبنان والبحرين والسعودية اعتنقوا بسرعة دعوة

(١) Eisebstadt: Iran's influence in Iraq

(٢) ناصر: سياسات النظم الحاكمة

السيد السيستاني القائلة «صوت واحد للناخب الواحد» والكل جعل يتطلع إلى جني مكاسب له من السير على خطى شيعة العراق في تبني الديمقراطية. كما أن شيعة السعودية شرعوا في الحال بعد سقوط الطاغية العراقي يطالبون النظام الملكي ببعض الحقوق كالاقرار الكامل بمواظنتهم وكونهم مسلمين وليسوا «أصحاب بدعة» و«روافض» وطالبوا الحكومة بأن تعلن رسمياً أن التشيع جزء لا يتجزأ من الإسلام، وقدموا عريضة موقعة من ٤٥٠ شيعياً من الجنسين يلتمسون فيها منحهم حقوقاً متساوية، وأسموها «شركاء في الوطن»، وكانت مطالبهم ذات مضمون بشقين هما الديمقراطية والإصلاح السياسي. وقد شاركوا بقوة وحاسة في الانتخابات البلدية في منطقته الشرقية التي جرت في عام ٢٠٠٥م وفازوا بأغلب المقاعد، مما جعلها الانتخابات الأولى والأخيرة، فرجال الدين الوهابيون خافوا من أن الانتخابات ستمكّن الشيعة من الإمساك بزمام الأمور، فاختاروا إيقافها لكي لا تقوى شوكة الشيعة^(١).

- ديني: أعطى التغيير لصالح الشيعة في العراق دفعة داخلية قوية لصحوة الطائفة، خصوصاً وأن العراق هو مركز أساسي للمقدسات الدينية وقاعدة للعلم والمعرفة العقائدية، وحاضنة تاريخية للتشيع منذ بداياته، ولم ينافس في هذه الأمور سوى إيران في القرون الخمسة الأخيرة.

الفرق بين نمط تأثير المحور والأطراف المشبعة:

- وقبل أن نختم هذا الباب لا بأس بأن نشير وبصورة سريعة إلى بعض الفروق بين تأثير الدولة المحور وتأثير الأطراف المشبعة.
- تؤثر الدولة المحور فيما حولها من خلال مبادرتها بفعل ما تجاه الأطراف كالرعاية بصورها المختلفة خصوصاً وأنها تمتلك الموارد والإمكانات لفعل ذلك ويمكن أن نسمي ذلك بالتأثير المتعمد، أو من خلال التطورات الإيجابية

(١) نصر: صحوة الشيعة

أو السلبية الحاصلة فيها وانعكاسها على الساحات الأخرى ويمكن أن نسمي ذلك بالتأثير العفوي، أما الأطراف المشعة فغالباً ما تؤثر فيمن حولها من خلال التأثير العفوي أي انعكاس التطورات الحاصلة فيها على الساحات الأخرى.

- تأثير الدولة المحور الجغرافي أوسع وأكثر شمولية للساحات سواء كانت أطرافاً أم ثغوراً، بينما تأثير الأطراف المشعة يكون محدوداً في نطاقات جغرافية أو ثقافية محددة.
- تأثير الدولة المحور يكون ذو مضامين متنوعة وفي حقول متعددة (سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية ودينية وغير ذلك)، بينما تأثير الأطراف المشعة يكون ذو تنوع محدود.

ثالثاً:

أطراف الحوض الشيعي

في الفقرة التالية سنلقي الضوء على بقية أطراف الحوض الشيعي، وطبيعة أوضاعهم بصورة عامة، والسياق الاستراتيجي الذي يمكن أن يتواءم مع أوضاعهم الداخلية وتموضعاتهم البيئية.

وبصورة عامة يمكن تقسيم الأطراف من هذه الزاوية إلى خمسة أصناف، هي التالية:

١. أطراف مستقرة:

وهي المجتمعات الشيعية التي تعيش في أوطانها استقراراً عقائدياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً بصورة عامة كشعبة الهند وبنغلاديش وعمان والإمارات العربية وقطر والكويت وسوريا وتركيا، بمعنى أنها تعيش في وضع يغلب عليه الاطمئنان والأمان، ولكن لا يعني ذلك خلو أوضاعهم من التحديات بين الفينة والأخرى، فمثلاً الشيعة في الهند لا يتعرضون للمضايقات أساساً لأنهم شيعة - وإن كان ذلك يحصل أحياناً - وإنما غالباً لأنهم بصورة عامة مسلمون وذلك على يد بعض المتطرفين الهندوس الذين يعادون المسلمين بصورة عامة^(١).

وفي دول الخليج الأربع يعيش الشيعة في أمان وسلام ولكنهم في الكويت

مثلاً يتعرضون للعديد من المضايقات وخطابات الكراهية علناً من قبل التيارات السلفية الوهابية التكفيرية، وهي مدعومة في الكويت من قبل النظام الوهابي في السعودية.

وفي سوريا يتعايش الشيعة وبقية الطوائف والأعراق تحت ظل علمانية سياسية تغطي بمظلتها الرسمية حقوق الجميع من الناحية العقائدية، مع الاعتراف بالتنوع العرقي والمذهبي والديني والطائفي للجميع.

أما في تركيا فالأمر في الظاهر قريب من الوضع في سوريا إلا أن الأنظمة التركية بصورة عامة ترفض الإقرار علناً بإبراز ما يميز وجود قومية كردية أو مذهب شيعي أو طائفة علوية بصورة رسمية وقانونية، بل تفرض على الجميع التظاهر قسراً بأنهم أتراك الأصل والهوية والعرق واللغة والمذهب، بل أن مخالفة ذلك قد تؤدي قانونياً إلى التجريم، كما لو تم استخدام اللغة الكردية بصورة بارزة أو رسمية.

وعلى الرغم من أن الشيعة هناك استفادوا من الحالة العلمانية للنظام التركي بحيث تحولت إلى حاجز ضد اضطهادات الماضي^(١)، إلا أن صعود التيارات الإسلامية في السنوات الأخيرة إلى سدة الحكم هناك وسعيها لتجديد الأصولية السنّة أثار من جديد النعرات الطائفية والمذهبية في أوساط المجتمع وأحيا لدى الشيعة بصورة عامة خوفاً قديماً ولكن لا زالت آثاره مخفورة في الذاكرة من ممارسات طائفية وعنصرية تتجدد ضدهم فقط لأنهم شيعة.

التموضع الاستراتيجي:

- بالنسبة للأطراف المستقرة يمكن أن تعزز تموضعها الاستراتيجي من خلال:
- تعزيز اندماجها الوطني: بمعنى المحافظة على الحالة الإيجابية لأوضاعها الوطنية بصورة عامة، والسعي لتعزيزها أكثر من خلال زيادة منسوب الاندماج في مختلف الأبعاد والمحافظة على كل ما يعزز وضعها من الالتزام

بالقانون العام والمحافظة على الأمن والسلام الاجتماعي والمساهمة في عمليات التنمية السياسية والاقتصادية، والابتعاد عن استراتيجيات الاستنزاف العقائدي أو الاستعلاء الاقتصادي أو الانعزال الاجتماعي أو غير ذلك مما يشوّش على الاستقرار المنشود ويخل بالاندماج القائم، وإن كان هذا الكلام لا يعني بأي حال من الأحوال التنازل عن المطالبة بأي حق مسلوب منهم ولكن تبقى المطالبات والنشاطات كلها ضمن السياقات القانونية والسياسية والدستورية المتوافق عليها مجتمعياً ورسمياً.

- تعزيز هويتها العقائدية: فالاستقرار السياسي والاندماج الوطني يشكل فرصة جيدة لتعزيز الهوية والحقوق والممارسات العقائدية الخاصة بالشريعة في مواطنهم، ويجب أن يعالجوا أية مشكلة أو سوء فهم من قبل الآخرين في هذا الشأن من خلال الأدوات الرسمية والمجتمعية والدستورية والسياسية والثقافية والإعلامية التي يبيحها القانون ويعززها الحق العام في العبادة وحرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية لكل فئة من فئات المجتمع بصورة سلمية وقانونية لا تتجاوز على أديان الآخرين ولا حقوقهم ولا عقائدهم.

٢. أطراف مُستفزة:

هناك مجتمعات شيعية مستفزة بمعنى أنها غير مستقرة بالمعنى المشار إليه أعلاه وغير راضية عن أوضاعها في ظل الأنظمة التي تحكمها كشيعة البحرين والسعودية واليمن، وذلك بسبب السياسات والممارسات الطائفية والإقصائية والتهميشية التي تقع عليها من قبل الأنظمة الرسمية الحاكمة، وليس بالضرورة من قبل المجتمعات والفئات والطوائف التي تعيش معها في نفس الوطن، بل قد تكون تلك الطوائف تفضل العيش بسلام في كل الأحوال مع الشيعة وغيرهم، إلا أن الأنظمة السياسية الحاكمة هي التي تتبنى خيارات التهميش والإقصاء والطائفية.

وهذه الأطراف تكون عادة متحفزة لتغيير أوضاعها السيئة ومستعدة لمواجهة الصعوبات والتحديات وتقديم التضحيات من أجل الحصول على حقوقها

السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها والتخلص من المظالم التي تقع عليها.

التموضع الاستراتيجي:

يمكن للأطراف المستفزة أن تعزز تموضعها الاستراتيجي من خلال:

- مقاومة التهميش: إن التهميش الذي تتعرض له الأطراف الشيعية المستفزة يصعب تغييره بدون عملية مقاومة قوية وجادة، والمقاومة لا تعني هنا العمل العسكري وإنما السعي الدؤوب والمتواصل بمختلف الوسائل والأدوات السياسية والحقوقية والقانونية والإعلامية على المستوى الوطني والدولي، فالاعتماد على القدر أو على حسن نوايا الأنظمة أو يقظة شعورها وعدالتها يوماً ما إنما هو سراب لا يتعلق به إلا الجبناء والحمقى، فلو أن هذه الأنظمة كانت ترغب في إصلاح ممارساتها لفعلت ذلك منذ أمد بعيد وهي التي تجاوز عمر بعضها في السلطة قرنين من الزمان.
- إطلاق عملية تمكينية: وهذه هي الخطوة الاستراتيجية التي تكمل الخطوة الأولى، فالتمكين عملية تبدأ من الوضع الداخلي وتنطلق نحو تغيير الخارج، وهي عملية تبدأ برؤية عامة تتحملها المجتمعات الشيعية في هذه الأوطان وتتحول إلى برامج عملية في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية - وستتطرق إلى استراتيجيات التمكين في الفصل القادم إنشاء الله.

٣. أطراف مُستهدفة:

هناك مجتمعات شيعية تعيش احتقانا كبيرا بسبب ما تتعرض له من إرهاب وذبح على الهوية وتهميش عقائدي وسياسي وهذه المجتمعات تنحصر بصورة واضحة في باكستان وكشمير الباكستانية، ويقصد بالاحتقان هنا وصولها إلى حالة من الضغط الأمني قد تهدد بانفجارها في وقت ما بسبب حدة الهجمات التي تتعرض لها وكثرتها وعشيتها (القتل على الهوية من أجل القتل فقط ودون أي مبرر آخر).

تجدر الإشارة هنا إلى أن عمليات الهجوم على الشيعة في باكستان والقتل

والذبح على الهوية يصدر من جهات مجتمعية (فئات متعصبة ذات عقائد سياسية وهابية) وليس من الدولة، وإن كانت الدولة وأجهزتها الأمنية والاستخبارية قد شاركت في تغذية ورعاية هذه التوجهات خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، وبصورة أخف خلال العقد الأخير حيث أخذت الرعاية صيغت التغافل وعدم ملاحقة الجهات المتطرفة التي يصدر عنها العنف الدموي.

التموضع الاستراتيجي:

- يمكن للمجتمع الشيعي في باكستان أن يعزز تموضعه من خلال التالي:
- تعزيز الاندماج الوطني: وقد أشرنا إلى هذا المفهوم أعلاه حين تطرقنا إلى الأطراف المستقرة.
- مواجهة الاستهداف: وذلك من خلال سعي الشيعة لمعالجة الأوضاع المعادية لهم والمتسببة في الاحتقان، عبر السياسات المقترحة التالية^(١):
 - i. القيام بحملات ضغط سياسي وإعلامي وقانوني على المستويين المحلي والدولي على الحكومة الباكستانية وأجهزتها الأمنية والقضائية ومطالبتهم بملاحقة القائمين على الاعتداءات وتطبيق القوانين الجزائية وقوانين مكافحة الإرهاب عليهم.
 - ii. إطلاق حملات التعايش الوطني والمؤاخاة بين المواطنين الباكستانيين بمختلف فئاتهم وطوائفهم ومذاهبهم، لكي يحاصروا البيئة التي تختزن الفئة التكفيرية - وهي قليلة بطبيعتها - سياسياً وثقافياً واجتماعياً، حيث أن غالبية الباكستانيين من أتباع المذهب السني يرفضون هذه التصرفات ويعارضونها، فيكون هذا الدفع الاجتماعي والثقافي على جبهة المجتمع مكمل للدفع القانوني والسياسي على جبهة النظام.
 - iii. مطالبة الحكومة المركزية والحكومات المحلية للأقاليم باتخاذ إجراءات وقائية أمنية وعسكرية لحماية المناطق الشيعية ودور عبادتهم واحتفالاتهم

وأسواقهم ومشاريعهم وشخصياتهم السياسية والدينية والاجتماعية، فهذه الإجراءات مفقودة حالياً مما يسهل للتكفيريين عملياتهم الغادرة وممارساتهم الهمجية المخالفة لشرع الله ولدين رسول الرحمة الإلهية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله.

iv. أن يقوم الشيعة بالتعاون والتداخل والتمازج مع الفئات الأخرى من المجتمع الباكستاني بمختلف طوائفه ومذاهبه وأعراقه والقيام بأكبر قدر ممكن من الأنشطة والفعاليات والبرامج المشتركة في الحقول الرياضية والسياسية والثقافية والاجتماعية والتراثية وغيرها، لتعزيز المشتركات الوطنية والإنسانية والحضارية في البيئة المجتمعية التي يعيشون فيها، ويقلصوا من التصورات الخاطئة عن الشيعة وعقائدهم وسلوكياتهم التي لا ينفك التكفيريون عن تشويهها واختلاق الأكاذيب بشأنها بغية عزل الشيعة عن الفئات الأخرى وخلق الحواجز النفسية والذهنية والاجتماعية بينهم وبين عملية الاندماج المجتمعي والوطني.

ع. أطراف متوجّسة:

يمكن القول بأن أغلب المجتمعات الشيعية سواء المستقرة أو المستفزة أو المستهدفة هي في وضع لا يشي بالتراجع إلى الخلف - حتى مع القمع والتهميش - وذلك بسبب الحراك القائم فيها وإنما يشير إلى تحولات قادمة في سياق مستقبلي أفضل مما هو عليه الآن، إلا في أفغانستان، فالصراع الدائر هناك قد تؤثر نتيجته على الشيعة الأفغان - خصوصاً إذا رجعت إلى الإمساك بالنظام قوى سياسية ذات منهج طالباني في التفكير والممارسات السياسية والعقيدة - بحيث يسلب منهم العديد من المكتسبات التي تحققت بعد سقوط طالبان عام ٢٠٠١م، وبالتالي فهم في حالة توجّس مما هو قادم. وهذا التوجّس لا يعيشه الطرف الأفغاني فقط وإنما أيضاً المركز الإيراني باعتباره الجار اللصيق لذلك البلد الذي يتبادل معه التأثير السياسي خصوصاً، ولا ينسى الإيرانيون المجزرة التي قامت بها قوات طالبان حينما سيطرت على مزار شريف عام ١٩٩٨م والتي شملت الشيعة

الأفغان بالإضافة إلى فريق الدبلوماسيون الإيرانيون هناك، والتي وضعت البلدين على حافة حرب شاملة^(١).

التموضع الاستراتيجي:

يمكن اقتراح التموضعات التالية للشيعية في أفغانستان:

- مساندة النظام الوطني القائم حالياً بعد سقوط طالبان على يد القوات الأمريكية، خصوصاً وأنه أقر دستوراً يعترف بالحقوق الدينية والسياسية لجميع الطوائف والفئات المجتمعية في أفغانستان، ويجعلها شريكة في الحكم السياسي للبلد، وهذه المساندة يمكن أن تأخذ وجه المشاركة السياسية في الحكم والدفاع عن النظام ومؤازرته اجتماعياً، كما لا ننسى ضرورة أن يكون للمركز الإيراني دور شبيه بذلك ولكن على مستوى العلاقة الدبلوماسية والسياسية بالحكومة الأفغانية.
- كسب التأييد والحماية الداخلية من خلال مد جسور التعاون والتحالف والتنسيق وتشبيك المصالح مع الجهات السياسية والأمنية والعسكرية في النظام القائم وكذلك مع القوى التشريعية والبرلمانية والأحزاب السياسية والمنظمات المجتمعية لكي تساهم في إقرار ومساندة النظم والتشريعات والقوانين والمؤسسات التي تقر بحق الشيعة في الوطن وبضرورة الانسجام والاندماج معهم في لحمة وطنية واحدة.
- وكذلك كسب التأييد والرعاية الخارجية من خلال التنسيق في هذه المجالات مع المركز في إيران، بل وضرورة عقد الاتفاقيات التي تعزز وضع النظام من جهة وفي المحصلة تعزز استمرار التموضع الإيجابي للشيعية هناك من جهة أخرى، كما حصل في عام ٢٠١١ حينما وقع النظامين مذكرة تفاهم للتعاون العسكري المشترك حيث أوضح وزير الدفاع الإيراني السيد أحمد واحدي استعداد إيران لتقديم مساندة أكثر تطوراً للقوات الأفغانية في مجال الإمداد

Nader: Iran's balancing act (١)

والتقنيات والهندسة العسكرية.^(١)

٥. أطراف مشوشة:

هناك أطراف شيعية مشوشة (أو بحسب تعبير هنتنغتون^(٢)) ممزقة في رؤيتها وتموضعها بين واقع سياسي وثقافي متعارض مع هويتها المذهبية وعقيدتها الدينية، والمثال الأساسي لهذه الحالة هو آذربيجان.

فالآذريون يتكلمون اللغة التركية ولديهم أصول تركمانية قديمة ويستعملون الحروف اللاتينية في الكتابة، إلا أن مذهبهم الشيعي يقف عائقاً أمام التماهي مع تركيا العلمانية من جهة والسنية من جهة أخرى والتي تظن بأن عليها أن تقود جمل العالم التركي (أغلب جمهوريات آسيا الوسطى).

كما أن لآذربيجان علاقات سياسية واقتصادية قديمة ووطيدة مع روسيا الاتحادية والتي كانت تشكل معها جزء من الاتحاد السوفياتي القديم، وروسيا ليست على علاقة حميمة مع الأتراك لكي تنهون مع مد نفوذهم إلى مناطق تعتبرها مجالاً استراتيجياً حيوياً لها.

من ناحية ثالثة هناك إيران التي تشترك مع آذربيجان في التاريخ والأثنية والمذهب ولكنها تصطدم معها في طبيعة الاتجاهات الثقافية في إيران دولة تتخذ من الدين شعاراً رسمياً لها في الوقت الذي يعيش فيه المجتمع الآذري حالة شديدة من العلمنة الثقافية والسياسية كافية بجعل العلاقة بين الكيانين معقدة وملتبسة. فالآذربيجان شيعية بالمستوى الذي يجعلها لا تتعاطف كلياً مع تركيا، وعلمانية بالمستوى الذي يجعلها لا تتعاطف كلياً مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومستقلة ولكن بدرجة لا تجعلها تتخذ سياسات مخالفة للتوجهات الروسية^(٣).

التموضع الاستراتيجي:

(١) Kagan: Iranian influence

(٢) راجع كتاب صراع الحضارات لصامويل هنتنغتون

(٣) توبال: الشيعة في العالم

يمكن للشيعية في آذربيجان أن يستفيدوا من السياسات التالية:

- إحياء الهوية العقائدية: منذ اعتناق الكيان الآذري من سلطة الاتحاد السوفياتي بعد انهياره، بدأت حركة العودة إلى الدين في بدايات التسعينيات من القرن الماضي، إلا أنها كانت حركة بطيئة وينظر إليها بريبة من قبل السلطة وقسم كبير من المجتمع، ولكن مع الوقت بدأ النشاط من الجانبين: الشيعة برعاية إيرانية والسنة برعاية تركية وسعودية في تثبيت مواطئ أقدام لهم في مختلف المناطق وخصوصاً في العاصمة باكو، وبحسب تعبير بعض الباحثين، أصبحت آذربيجان «تستورد» الإسلام^(١).

إن الإحياء الشيعي العقائدي الحالي في آذربيجان يعود إلى عدة عوامل منها الرغبة الفطرية الطبيعية لدى البشر بالعودة إلى الله سبحانه وتعالى والالتجاء إلى الدين، والثاني هو بروز التحدي السلفي في البيئة الآذرية خصوصاً النسخة التكفيرية منه ذات الطبعة الوهابية، وثالثاً دخول مجموعة من علماء الدين الشيعة إلى الساحة بعد رجوعهم من إيران وتعلمهم في المعاهد والحوزات العلمية هناك، ورابعاً خوض النشاط الشيعة وشخصياتهم الدينية غمار السياسة ودخولهم في ميدان العمل السياسي^(٢) بدءاً من انتخابات عام ٢٠٠٣م للتأثير في أحوال الناس والتصدي لقضاياهم.

- الانفتاح على الحوض الشيعي: إن انفتاح الطرف الآذري على المركز الإيراني مفهوم بسبب الجوار الجغرافي واختلاط النسب والعرق الآذري بين البلدين، ولا عجب أن أول من انتشر تقليده بصورة واسعة جداً في آذربيجان من مراجع الشيعة هو المرجع فاضل اللنكراني والذي هو من أصول آذرية (توفي عام ٢٠٠٧م)، ولكن من الجيد أيضاً أن يقوم الآذريون بالانفتاح على الشيعة في الحوض الجغرافي المركزي وخصوصاً على العراق حيث المقدسات الإسلامية ومشاهد أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وكذلك المدينة

Goyushov: Islamic revival in Azerbaijan (١)

Goyushov: Islamic revival in Azerbaijan (٢)

المنورة حيث مقامات رسول الله والأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، من خلال مواسم الحج (حتى عام ٢٠٠٧م وصل عدد الحجاج الآذريين إلى ٥٧٠٠ حاج^(١)، بعد أن كان العدد هو صفر في حقبة الاتحاد السوفياتي). وهذا الانفتاح والاختلاط بالشيعية القادمون من مختلف بقاع العالم إلى هذه المزارات المقدسة لا شك وأن يساهم بصورة كبيرة في عودة اللحمة والامتزاج بين الشيعة الآذريون وإخوانهم في مختلف جهات الأرض وإلى إحياء العقيدة الدينية الصحيحة القائمة على أساس التشيع لرسول الله وأهل بيته الأطهار الميامين صلوات الله عليهم أجمعين.

رابعاً: الثغور الشيعية الوجود الشيعي خارج الحوض المركزي

الثغور الشيعية كما أسلفنا هي الوجودات الشيعية خارج الحوض الجغرافي الشيعي وقد تكون من أهل البلاد الأصليين أو تكون فئات مهاجرة ومستوطنة، وغالباً ما تكون كثافتها السكانية ضئيلة نسبة إلى سكان البلد المتواجدة فيه (أغلب النسب تتراوح ما بين ١-٥٪) ويمكن تصنيفها بحسب البيئة المجتمعية إلى ثلاثة أصناف، هي:

١. إسلامية: الثغور المتواجدة في دول ومجتمعات إسلامية، كالشيعية في شمال ووسط أفريقيا، وفي وسط وشرق آسيا، وهؤلاء قد يتواجدون في بيئة مسالمة لهم لا تتدخل في شئونهم ولا تفرض عليهم قيود تعسفية كالشيعية في تنزانيا والسنغال وموريتانيا، أو في بيئة غير مريحة أي يتعرضون فيها لمقدار من الضغط السياسي والعقائدي والإعلامي ولكن الذي يمكن التعايش معه والتعامل معه قانونياً أو حقوقياً كما هو وضع الشيعية في نيجيريا والمغرب والأردن وإندونيسيا، أو في بيئة مناوئة ومشحونة ضدهم على المستوى الرسمي والشعبي قد تهدد حياتهم في بعض الحالات كالشيعية في مصر وليبيا.

٢. معولة: الثغور المتواجدة في الساحات المعولة كالولايات المتحدة الأمريكية والدول الكبرى في القارة الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وألمانيا، وهؤلاء

يتواجدون في بيئة مسالمة لهم غالباً من الناحية العقائدية والسياسية، ولا يتعرضون لضغوط خاصة إلا من حيث كونهم مسلمون بصورة عامة كحين يمنع عليهم القانون الفرنسي ارتداء الحجاب في المؤسسات التعليمية مثلاً.

٣. حاضنة: الثغور المتواجدة في باقي مناطق العالم والتي يمكن اعتبارها مناطق وجغرافيا حاضنة، وهذه غالباً ما تكون بيئات مسالمة لا تتعرض للشيعية لكونهم شيعة بل ربما يحصل الشيعة فيها على الامتيازات - إن وجدت - التي يحق للأقليات في تلك البلاد الوصول إليها، كبقية الدول الأوروبية، وروسيا والصين ودول شرق آسيا غير المسلمة، ودول أمريكا اللاتينية، وأغلب دول القارة الأفريقية غير المسلمة.

التموضع الاستراتيجي:

يمكن للثغور الشيعية أن تعزز تموضعها الاستراتيجي من خلال السياسات التالية^(١):

- تعزيز الهوية الثقافية والعقائدية والالتزام بإحياء كل ما يتعلق بالعقيدة خصوصاً الشعائر الدينية وذلك ضمن المحددات والضوابط القانونية والدستورية والحقوقية لكل بلد، وهذه من الأمور التي لا يجب التهاون فيها، وتجربة الشيعة في ترينيداد (أمريكا اللاتينية) خير دليل، فحين استقدمهم الاستعمار البريطاني إلى هناك قبل أكثر من ١٦٠ سنة للعمل في حقول تابعة للتاج البريطاني لم يكن معهم أي شيء يحافظون به على هويتهم الشيعية (لا كتاب ديني ولا عالم من علماء الدين ولا شخصيات نخوية ولا أي شيء من هذا القبيل إطلاقاً، وكانوا بعيدين عن وطنهم الأم - الهند - آلاف الأميال) ولم يكن في استطاعتهم إلا المبادرة والقيام بشيء واحد بصورة سنوية ألا وهو إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء اعتماداً على ذاكرتهم الجماعية، وهو الشيء الوحيد الذي استخدموه ليعلموا

عن هويتهم الدينية والإنسانية، فأنشأوا هذا التقليد ودفعوا في مقابله دماهم وأرواحهم التي أزهدت على يدج المستعمر البريطاني، وحافظوا عليه إلى يومنا هذا حتى تحول إلى يوماً وطنياً في ترينيداد تحت اسم Hosay (هوسي) - وهو تحريف لفظي لكلمة حسين) يرمز إلى النضال من أجل الحرية^(١).

ويشاء القدر أن تتكرر هذه الواقعة في نفس الفترة الزمنية على المقلب الآخر من الكرة الرضية، حيث نقل المستعمر البريطاني الآلاف من العمال الهنود إلى سومطرة في إندونيسيا حيث قاموا بممارسة الشعائر الحسينية للحفاظ على هويتهم، والتي استمرت إلى يومنا هذا تحت اسم Tabot (تابوت)^(٢).

- تعزيز الاندماج الوطني وتعزيز العلاقات العامة مع سائر المؤسسات والتيارات الوطنية الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية في تلك الثغور سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية فهي في النهاية مجتمعات إنسانية، وقد قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «الناس: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق». وواحدة من أهم علامات الاندماج الوطني هو المشاركة السياسية في النظام القائم في البلاد من خلال القوانين والتشريعات الدستورية التي تنظم تلك المشاركة وعدم الانزواء والانعزال أو ممارسة عملية تهميش ذاتي غير مبرر.
- مناصرة قضايا الشيعة ومظلوميتهم في مختلف أنحاء العالم، خصوصاً بالنسبة لشيعة الثغور المعولة، فالمناصرة الإعلامية والسياسية والاجتماعية تعتمد في تلك الدول على أموال المؤسسات الكبيرة، ومجموعات الضغط السياسي، وحراك المنظمات الأهلية، والشيعة في تلك المناطق يمكنهم في الحد الأدنى توظيف العامل الأخير من هذه العوامل الثلاثة.

ومناصرة القضايا الشيعية لا يعني تحيزاً طائفيّاً، فمن الطبيعي أن الشيعة لا يمكنهم أن يناصروا جميع قضايا الحقوق المتناثرة في كل أرجاء هذا العالم

(١) Thaiss: Muharram rituals

(٢) Formichi: Traditions and authenticity

الواسع، كما أن لكل تلك القضايا أصناف من الطوائف والمذاهب والإثنيات والأحزاب والثقافات والجنسيات التي تناصرها وترتبط بها، ومن جهة أخرى تقول القاعدة الإنسانية والدينية «الأقربون أولى بالمعروف» وليس من المعقول أن تقوم بنصرة البعيد وتتجاهل القريب الذي هو أيضاً على حق وبحاجة إلى نصرتك التي لن يجد من يعوضه عنها إن فقدها.

- مساندة الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تدعوا إلى المساواة الإنسانية وتناهض التمييز، حتى لو لم تكن تلك الحركات إسلامية، فهذه القيم هي مسئولية إنسانية عامة ومساندتها وتعزيزها في المجتمع سينعكس إيجاباً على جميع المواطنين بغض النظر عن مذاهبهم ومشاربهم الدينية والثقافية والاجتماعية.

- رعاية المجتمع الشيعي من جميع نواحيه، فمن الخطأ الانغلاق ضمن دوائر ضيقة تشي بالسلوك التمييزي أو الإقصائي، كأن ينغلق الشيعة الذين هم من أصل باكستاني أو عراقي أو لبناني أو غير ذلك على أنفسهم ويكونوا لهم تجمعات خاصة بهم فقط بالرغم من وجود شيعة في نفس المنطقة من أصول أخرى، وإنما أن يسعوا لدعوة ومشاركة كل الفئات المتنوعة من الشيعة المتواجدين في مناطقهم.

وتكون المسألة أكثر تأكيداً بالنسبة للشيعة الذين يشكلون أقلية مزدوجة - أقلية ضمن أقلية - كالشيعة السود في الولايات المتحدة والذين قد يعانون في بعض الحالات من التهميش مرتين، مرة بسبب لونهم ومرة بسبب عقيدتهم^(١).

- وأخيراً نوصي بضرورة التواصل مع المركز أو الأطراف الشيعية لكي تبقى حالة التأثير الإيجابي المتبادل بين الجهتين قائمة وتتعزيز بذلك أوضاع الشيعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في كل مكان يتواجدون فيه.

الفصل العاشر

استراتيجيات التمكين الشيعي

الفصل العاشر:

استراتيجيات التمكين الشيعي

هناك مجموعة من السياسات الاستراتيجية التي يمكن للشيعية أن يعتمدوها لكي يبدئوا - لمن لم يبدأ بعد - أو يعززوا - لمن بدأ - عملية تمكين عامة على مختلف الصعد وال مراتب، وهذه الاستراتيجيات يمكن تقسيمها إلى أصناف ثلاثة: الأولى هي استراتيجيات عامة بمعنى أنها مطروحة لكل الشيعة في كل مكان سواء في المركز أو الأطراف أو الثغور فهي تناسب جميع الأوضاع والحالات، والثانية هي للأطراف المهمشة والمتأزمة لأنها تعيش حالة تحدي كبير قد - اذا استفحل - يهدد وجودها يوماً ما، والثالثة هي للمركز باعتباره ذو حالة متقدمة ومؤثرة على الجميع.

الاستراتيجيات التمكينية العامة

الاستراتيجية الأولى: التعبئة

أولى الخطوات التي يحتاجها الشيعة في أي مكان ليطلقوا أو يعززوا أو يتفاعلوا مع فكرة التمكين هي التعبئة الذاتية، فبدون التعبئة المجتمعية التي قد تأخذ شكلاً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو غير ذلك - بحسب تباين المجتمعات في هذه الأحوال - لا يمكن ضخ روح العافية في جسد أنهكه المرض.

رؤية وخطاب ومأسسة:

التعبئة بحاجة إلى قيادة تستطيع أن تولّد رؤية عامة بضرورة التغيير والإصلاح، وإلى خطاب تعبوي يعبر عنها، وإلى مؤسسات تكون قادرة على تحويلها إلى واقع ملموس.

ولعل أبرز مثال يمكن الاحتفاء به في هذه الحالة هو السيد موسى الصدر وعملية تعبئة شيعة لبنان في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، فما قام به شكّل الأساس الصالح لكل البناء الذي شيّده خلفائه من القيادات والفعاليات الشيعية بحكمة وصبر شديدين بما أوصل الشيعة إلى المكانة التي هم عليها هنالك في الوقت الحاضر.

السيد موسى الصدر وتعبئة شيعة لبنان:

استطاع السيد رحمه الله وهو القادم الجديد إلى لبنان من بلد بعيد لا يتكلم اللغة العربية (إيران) أن ينظر إلى الطائفة - الضحية المستتة ورؤيتها ككل^(١) وأن يمنحها هوية مجتمعية شاملة، وقام بتذكير أبنائها باستمرار بأن عليهم ألا يتقبلوا حرمانهم كقدر لا مفر منه، وأن بإمكانهم تغيير ذلك الواقع إلى أفضل منه، وتوسل بالدين وبرموزه التعبوية ببراعة هائلة في سبيل تغيير الحالة الذهنية والنفسية كمقدمة لتغيير الواقع العملي.

وكانت خطابه تعبوية وتحفل بالإحالات إلى رموز التشيع المركزية، ففي خطاب ألقاه في ذكرى عاشوراء في الكلية العاملة عام ١٩٧٤ قابل السيد بين حركته وبين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، حيث قال:

«وفي الحقيقة كان هناك حاجة إلى تضحية عظيمة تهز الضمائر وتحرك المشاعر فكانت كربلاء تلك التضحية ... وضع الإمام الحسين عليه السلام وعائلته وقوته وحتى حياته في الميزان ضد الطغيان والفساد، ثم تفجّر العالم الإسلامي بهذا الحدث الذي لم يسبقه إليه أحد...»

إن هذه الثورة لم تمت في رمال كربلاء بل دخلت في مجرى حياة العالم الإسلامي وانتقلت من جيل إلى جيل ووصلت إلى يومنا هذا، إنها وديعة في أيدينا وعلينا أن نستفيد منها وأن نستخلص منها مصدراً لإصلاح جديد، لحركة جديدة، لثورة جديدة تقهر الظلم وتوقف الطغيان.

أيها الأخوة عليكم أن تختاروا بين صف الطغيان وصف الحسين عليه السلام، وإنني على ثقة أنكم لن تختاروا سوى صف الثورة والاستشهاد، حتى تتحقق العدالة ويُقضى على الطغيان.»

لقد حول السيد مجالس الذكر والإحياء إلى مجالس تعبوية ضمن إطار ثقافي حضاري نابع من صلب الثقافة التي يدينون بها، وقام بنشر مجالس الذكر والإحياء

(١) سنعمد في عرض هذه الحالة على ما ورد في كتاب نورثون: أمل والشيعية.

في مناطق وقرى لم يكن يوجد فيها إحياء أصلاً.

بعث الصدر في الطائفة الشيعية شعوراً بتفوقها العددي وتراثها التاريخي وانتمائها اللبناني، وكثيراً ما كان يردد: «لبنان بالنسبة إلينا هو وطن نهائي»^(١)، كما أنه انكب على دراسة مسألتين: القوانين المدنية والتشريعات اللبنانية النازمة للمؤسسات العامة، والأخرى هي استقصاء واقع الحرمان اللاحق بالمناطق الشيعية.

ثم قام السيد الصدر بجهود حثيثة ليدفع باتجاه إنشاء المجلس الشيعي الأعلى، فقبل تأسيسه كانت المناصب الشيعية التي تمس الطائفة بصورة عامة محدودة ولا تمارس أي دور تعبوي، برئاسة المجلس النيابي كانت بيد الإقطاع المالي والسياسي الشيعي التقليدي والذي لم يكن تغيير أوضاع الطائفة يصب في مصلحته، وكانت المحكمة الجعفرية التي تعالج الأحوال الشخصية للشيعية ذات صبغة دينية وبالتالي هامشية سياسياً.

وفي عام ١٩٦٧ أصدر المجلس النيابي قانون يوفر للمرة الأولى هيئة لتمثيل الشيعة بشكل منفصل عن السنة، وفي ١٨ مايو ١٩٦٩ خرج المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى إلى حيز الوجود، وانتخب السيد الصدر رئيساً له لست سنوات على رأس هيئة إدارية مكونة من ٤٣ عضواً (١٩ نائب و ١٢ مجتهد و ١٢ من جمهور الطائفة)، مما أكد وضعه كواحد من أهم الشخصيات السياسية الشيعية، فوظف هذا التطور دون تردد على مختلف الأصعدة القانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية من أجل إخراج الشيعة من البؤس الذي كانوا فيه.

وما لبث أن تقدم بمطالب شملت كل تلك الأصعدة بما في ذلك الإجراءات الكفيلة بتحسين الدفاع عن الجنوب - في وجه العدوانية الإسرائيلية - وتوفير اعتمادات الإنماء والبناء وتحسين المدارس والمستشفيات وزيادة عدد الشيعة المعينين في الفئات الوظيفية الحكومية العليا.

وفي ربيع ١٩٧٠ وبعد غارة إسرائيلية وحشية على جنوب لبنان نظم السيد

(١) غريب: نحو تاريخ فكري سياسي لشيعة لبنان

رحمه الله إضراباً عاماً للاحتجاج على الإهمال وعدم الاكتراث بالمشاكل التي يتعرض لها الجنوب، وندد بموقف الحكومة التي تكتفي بلعب دور الجمعية الخيرية ووكالة الغوث دون أي فعل حقيقي لإيقاف الاعتداءات الإسرائيلية، فكان أن سارعت الحكومة بعد أسبوع من الإضراب بإنشاء «مجلس الجنوب» برأس مال قدره ٣٠ مليون ليرة.

ونظراً لعدم قدرة الدولة على حماية مواطنيها أدخل السيد الصدر شعار الكفاح المسلح في حملته لتمثيل وتعبئة الشيعة، فصرح أثر حرب أكتوبر ١٩٧٣ بأنه لا يوجد «خيار آخر أمامنا سوى الثورة والسلاح»، ثم أعلن في خطاب له في فبراير ١٩٧٤ في البقاع:

«لا نريد أن نصطدم مع النظام، مع أولئك الذين يهملونا، فنحن اليوم نرفع صوتنا في وجه الأخطاء المرتكبة بحقنا وسحابة الظلم التي لحقت بنا منذ بداية تاريخنا. وبدءاً من اليوم لن نحتج ولن نصرخ، يقولون إننا متاوله، اسمنا الرافضون المخالفون الثائرون الخارجون على كل طغيان من أي جهة أتى ولو كلفنا روحنا ودمنا. والحسين عليه السلام وقف ضد أعدائه ومعه سبعون واليوم عددنا أكثر من سبعين وعدونا ليس ربع العالم كله ... لا نريد عواطف بل أفعال. لقد تعبنا من الخطابات والمشاعر والكلمات.

ولقد كنت أكثر من ألقى الخطابات وأكثر من دعاكم إلى الهدوء ... ومن اليوم فصاعداً لن أبقى صامتاً وإن التزمتم الصمت فأنا لن أفعل ... نطالب بحقوقنا كاملة ليس فقط في الوظائف بل المطالب العشرين التي تضمنتها العريضة ولن نقبل عنها بديلاً».

وفي مارس ١٩٧٤ ألقى السيد خطاباً أمام خمسة وسبعين ألفاً من مناصريه، وانتقد الحكومة بشدة لفشلها في الاستجابة للحاجات الأساسية لشعبها وبعد أن بين مظالم الناس وإهمال الحكومة بالأرقام وبالأمثلة، طالب كل الحاضرين أن يدلوا بقسم يتعهدون فيه بالسعي إلى تحصيل حقوقهم أو الاستشهاد دون ذلك. وفي ذلك الخطاب - المهرجان أطلق السيد الصدر حركته الشعبية «حركة

المحرومين» التي تعهد أن يناضل عبرها حتى تتحقق مطالب المحرومين - أي الشيعة عملياً - حتى ترتفع كافة أنواع الظلم الاجتماعي عنهم^(١).

كان السيد الصدر يؤمن بأن تخلف الشيعة في لبنان لم يكن نتيجة للمخططات المارونية والسنيّة، وإذا كان عدم اهتمام الموارنة والسنة بالمشاريع التي تصب في مجاري تأمين حقوق الطائفة الشيعية يشكل الوجه الأول من الحقيقة، فإن وجهها الآخر والحقيقي يتمثل في التقصير الذاتي عند أولي الأمر في الطائفة الشيعية، مع عدم سكوته عن دور الدولة في إهمالها تنمية المناطق الشيعية المحرومة، وقد وجد خطابه وتحركه أرضاً خصبة بين الجنوبيين الشباب القادرين على مقارنة التبذير في بيروت مع التخلف والفقر الموجودين في الجنوب^(٢).

الاستراتيجية الثانية: بناء الموارد

من الخطوات الأولى التي يتعين على اتباع أهل البيت عليه السلام في كل مكان أن يبادروا إليها من أجل تمكين أنفسهم وتعزيز أوضاعهم هي بناء وتوظيف الموارد الرسمية والأهلية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والقانونية والثقافية وغيرها، ويقصد بالموارد المؤسسات والقدرات والمهارات والكفاءات الفردية والمجتمعية.

ولعل من أبرز النماذج في هذا المجال هو ما قام به حزب الله كمؤسسة شيعية كبرى وأساسية تمارس دورها في قيادة وتمكين وتعزيز أوضاع المجتمع الشيعي في لبنان. وفي العرض التالي لن نتطرق إلى الموارد السياسية والعسكرية التي يعمل الحزب على تنميتها، وسنكتفي بإشارات سريعة وموجزة - ولكن توضح الفكرة - إلى الموارد الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والصحية^(٣).

وهنا لا بأس بأن نؤكد على ملاحظة مهمة وهي أن الدعوة لتنمية الموارد الشيعية لا تعني الدعوة إلى الانعزال والتباين ومقاطعة أبناء بقية الطوائف وعدم

(١) نورثون: أمل والشيعة

(٢) غريب: نحو تاريخ فكري سياسي لشيعة لبنان

(٣) سنعمد في طرحنا لهذه الحالة على ما ورد في قصير: حزب الله من ١٩٨٢ إلى ٢٠١١

تقديم الخدمات لهم، بل بالعكس فحتى في المثال التالي لحزب الله لا يوجد ما يدعو إلى تبني هذا السلوك فالخدمات والموارد يمكن أن تكون في خدمة جميع المواطنين أو القاطنين في المناطق الجغرافية المستهدفة مهما كان دينهم أو طائفتهم، ولكن المغزى هو أن بعض الموارد العامة لن تكون كافية أبداً لسد طموحات الشيعة وإصلاح أوضاعهم (كالبعثات الأكاديمية في بعض البلدان والتي غالباً ما تكون محدودة وتقتصر عن سد حاجات أبناء المجتمع، فينبري بعض أصحاب الفضل أو بعض المؤسسات المجتمعية المتخصصة بتغطية النقص في هذا المجال دون أن يكون في نيتهم مخالفة القانون أو إثارة الطائفية أو التعدي على حقوق الآخرين).

حزب الله وبناء الموارد المجتمعية:

- على الصعيد الإعلامي: أطلق حزب الله مجموعة من المؤسسات الإعلامية لنشر أهدافه وللتعبير عن مواقفه السياسية ومن أجل التعبئة الشعبية والتواصل مع مختلف الجهات محلياً وخارجياً، وهي كالتالي:
- جريدة العهد: كانت الجريدة السياسية الأسبوعية الناطقة باسم الحزب منذ تأسيسه، ثم تحولت إلى مجلة ثقافية وهي لا تصدر حالياً.
 - مجلة الانتقاد: سياسية صدرت لفترة طويلة ولكن تحولت مؤخراً إلى جريدة إلكترونية بالكامل.
 - إذاعة النور: تأسست عام ١٩٨٧م وتطورت كثيراً ونالت ترخيصاً رسمياً بعد إعادة تنظيم الإعلام في لبنان وأصبحت اليوم من الإذاعات السياسية والثقافية الأولى وتبث في لبنان والخارج.
 - تلفزيون المنار: أنشئ في أوائل التسعينيات بمبادرة من عدد من رجال الأعمال ثم تولى الحزب الإشراف عليه ونال ترخيصاً رسمياً ويتميز ببث أخبار المقاومة وهو الآن من المؤسسات الإعلامية الناجحة.
 - الإعلام الإلكتروني: تم إنشاء عدة مواقع إلكترونية لإعلام المقاومة والحزب.

- مجلة بقية الله: وهي مجلة ثقافية شهرية توزع حوالى ١٥٠٠٠ نسخة على كوادر وعناصر الحزب.

ولدى الحزب قسم إعلامي باسم «وحدة العلاقات الإعلامية» وهي تتولى إدارة العمل الإعلامي والتواصل مع الإعلاميين وتغطية نشاطات الحزب وقياداته، إضافة لوحدة «الأنشطة الفنية» وتتولى الجوانب الفنية والاحتفالات، وهناك أقسام إعلامية في كل المناطق. واهتم الحزب مؤخراً بالفنون التشكيلية والمسرحيات والأناشيد ولديه فرق خاصة ومتخصصة وهناك جمعية معنية بالفنون هي «الجمعية اللبنانية للفنون»، وعمد الحزب إلى تأسيس «متحف مليتا» في منطقة إقليم التفاح ويضم معرضاً ضخماً عن المقاومة الإسلامية.

على الصعيد الاجتماعي والتنموي: اهتم الحزب كثيراً بالقضايا الاجتماعية والتنموية وذلك لدعم المجتمع المقاوم ولإيجاد بيئة شعبية داعمة له ومن أبرز المؤسسات التي تهتم بالجوانب الاجتماعية والتنموية:

- مؤسسة الشهيد: تأسست بدعم إيراني مباشر وكانت فرعاً لمؤسسة الشهيد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإن كانت نالت ترخيصاً من الدولة اللبنانية باسم «جمعية مؤسسة الشهيد» وهي تتولى الاهتمام بعوائل الشهداء وبأحياء ذكرى الشهداء وحفظ آثارهم ولديها مدارس ومؤسسات صحية واجتماعية ومنها مستشفى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومركز القلب، كما تمتلك محطات بنزين ومؤسسات إنتاجية.

- جمعية الإمداد: وهي فرع لمؤسسة «إمداد الإمام الخميني» في إيران وإن كانت نالت ترخيصاً لبنانياً باسم «جمعية الإمداد الخيرية» وهي تتولى الاهتمام بالعائلات الفقيرة والأيتام ولديها مؤسسات تربوية واجتماعية.

- مؤسسة الجرحى: وهي تعنى بجرحى المقاومة وتشرف على مؤسسة لنزع الألغام ولديها مؤسسات إنتاجية وتصدر مجلة باسم «صدى الجراح» وتقيم معارض لمنتجات الجرحى.

- جهاد البناء: تتولى إعادة بناء وترميم المنازل التي تهدمت بفعل الاعتداءات

الإسرائيلية بالإضافة للقضايا الزراعية والتنمية ورفع مستوى المعيشة ولديها فروع ومراكز في مختلف المناطق اللبنانية.

- مؤسسة وعد: نشأت بعد العدوان الإسرائيلي في العام ٢٠٠٦ ومهمتها إعادة بناء الضاحية الجنوبية، وقد تولت بناء وإعادة ترميم عشرات الأبنية.
- الهيئة الصحية الإسلامية: وتولى الاهتمام بالجوانب الصحية وهي تشرف على عدد من المستشفيات والمراكز الصحية المتخصصة والعيادات، وتعنى بتقديم الخدمات الصحية سواء لكوادر وعناصر الحزب أو للعوائل الفقيرة.
- هيئة العمل البلدي: وتولى الإشراف على عمل البلديات التي لدى الحزب ممثلون فيها.
- مؤسسة القرض الحسن: تتولى تقديم القروض الصغيرة للمواطنين لتسهيل إعالتهم.
- كشافة الإمام المهدي (عج): تضم حوالي ٥٠ ألف عنصر كشفي ولديها نشاطات متنوعة تربوية وثقافية.
- على صعيد العمل النقابي والمهن الحرة والأنشطة التربوية: اهتم «حزب الله» باستيعاب أصحاب المهن الحرة وبالعمل النقابي والعمال وعمد إلى تأسيس وحدات خاصة تعنى بالعمل النقابي والمهن الحرة وبالطلاب والمعلمين، ومن ابرز المؤسسات والهيئات التي تتابع هذا القطاع:
- التعبئة التربوية: وتعنى بالقطاعات الطلابية على مختلف المستويات.
- هيئة التعليم العالي: وتعنى بأوضاع الجامعات والعلاقة مع أساتذة الجامعات.
- تجمع المهندسين المسلمين: ويشرف على عمل المهندسين وكل ما يتعلق بنقابة المهندسين.
- تجمع الأطباء المسلمين.
- التجمع الإسلامي لأطباء الأسنان.
- تجمع المحامين.

- الهيئات النسائية الإسلامية: وتعنى بالقطاع النسائي والعلاقة مع المجلس النسائي اللبناني.
- اتحاد الوفاء لنقابات العمال: ويهتم بقضايا العمال.
- المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم: وتعنى بإقامة المدارس والمؤسسات التربوية في مختلف المناطق.
- تجمع المعلمين المسلمين: ويعنى بقضايا المعلمين.
- مؤسسات متخصصة: ولدى الحزب أيضاً عدة مؤسسات لها مهام متخصصة ومنها على سبيل المثال:
- جمعية المعارف الثقافية: وتعنى بالعمل الثقافي وتشرف على المراكز الثقافية.
- المركز الاستشاري للدراسات والبحوث: ويهتم بالأبحاث والدراسات المتخصصة.
- هيئة دعم المقاومة الإسلامية: ومهمتها جمع التبرعات المالية وإقامة الأنشطة الداعمة للمقاومة.
- جمعية «مودة» وجمعية «قيم»: وهما جمعيتان متخصصتان تهتمان بالقضايا الأسرية والاجتماعية.
- التجمعات العلمائية: وهي تضم عدداً كبيراً من علماء الدين الذين يعملون لدعم مواقف الحزب السياسية والاهتمام بأمور التبليغ الديني ومنها «تجمع علماء جبل عامل» و«اللقاء العلمائي» و«تجمع علماء البقاع».
- الخوزات والمدارس الدينية: وتتولى إعداد علماء الدين وهي منتشرة في معظم الأراضي اللبنانية.
- كما عمد الحزب إلى إنشاء مؤسسة خاصة تعنى ببناء المساجد والحسينيات وهو يشرف على العديد من الجمعيات والمراكز الدينية وتضم مراكز متخصصة ومتنوعة ثقافية واجتماعية وطبية.

مصادر تمويل حزب الله:

إن الخدمات المتنوعة التي يقدمها الحزب إلى الشعب اللبناني تركز على مصادر مالية متنوعة هي على الشكل الآتي:

- المساعدات المالية الإيرانية: يتلقى حزب الله مساعدات مالية من الجمهورية الإسلامية سنوياً، وهي قد تزيد أو تنقص بحسب ظروف الحزب وإمكانياته.
- جمع مساعدات نقدية وعينية من داخل لبنان: عمد الحزب عبر «هيئة دعم المقاومة الإسلامية» وجمعية «الإمداد» إلى جمع إعانات ومساعدات نقدية وعينية، في مختلف المناطق اللبنانية، عبر صناديق التبرعات، وفي مناسبات مختلفة، وبخاصة في شهر رمضان حيث تقيم مراسم متنوعة ومآدب إفطار، تدعو إليها الناس والتمولين والشخصيات العامة، وتبادر فيها إلى جمع الأموال.
- مساعدات التجار اللبنانيين في المهجر: إن عدد المهاجرين اللبنانيين في الخارج كبير جداً، ويعمل معظمهم في التجارة وهم منتشرون في أميركا الشمالية وأميركا اللاتينية وأوروبا وأفريقيا وآسيا وأستراليا، وتشكل مساعدات هؤلاء المهاجرين مصدراً أساسياً من مصادر تمويل الحزب.
- الحقوق الشرعية: وهي الحقوق الشرعية كالأخماس والزكوات التي تجمع من شيعة لبنان وتصرف على مصالح الطائفة بناء على إجازة من مراجع التقليد.
- الاستثمارات الاقتصادية: في السنوات الأخيرة شكل الحزب قسماً اقتصادياً نفذ مشاريع تجارية ومالية في المناطق الشيعية. (في الستين الأخيرتين ركّز الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في بعض خطابه على أنه لا يوجد للحزب أية استثمارات ومشاريع تجارية ومالية، ولعل في ذلك إشارة إلى إنهاء الحزب لاستثماراته وعمله التجاري والاحتفاظ بوجهه المدني والأهلي في التمويل القائم على بقية الوسائل المذكورة، ولعل ذلك يعود إلى بعض القضايا المالية التي تورط فيها بعض الأشخاص ونسب الإعلام انتباههم إلى الحزب في السنوات الأخيرة).

الاستراتيجية الثالثة: إعادة إنتاج النجاحات

من الاستراتيجيات المهمة التي يجب على اتباع مذهب أهل البيت عليه السلام الاهتمام بها هي إعادة الإنتاج المحلي لنجاحاتهم التي حققوها في ساحات أخرى، فغالباً ما تكون التحديات والموارد والاستجابات متشابهة، وإن كان من الصعب بل شبه المستحيل استنساخ التجارب الإنسانية بصورة طبق الأصل، ولكن تبقى قوانين الأداء ومفاهيم العمل وبصائر الحياة والسنن الكونية الحاكمة واحدة لا تتغير، وإنما ما يتغير هو درجة الإتقان في الأخذ بها ودرجة التكيف والتحويل التي تتعرض لها من أجل أن تتوافق مع الظروف الخاصة بكل فرد أو مجتمع أو زمان أو مكان.

وإعادة الإنتاج قد تأتي في صيغة مادية كإعادة إطلاق قناة فضائية أو حزب سياسي أو مؤسسة تجارية على غرار قناة أو حزب أو مؤسسات ناجحة في مكان آخر (استنساخ المؤسسة وقوانينها وأنظمة عملها بما يتلائم مع البيئة الجديدة) أو قد تحدث في صيغة مفاهيم وسياسات كاستنساخ استراتيجية عمل أو برنامج تنموي مثلاً أو عملية تثقيفية أو ما أشبهه.

تجربة قناة المنار:

منذ بداية القرن الجديد أطلقت عشرات وربما مئات القنوات الفضائية الشيعية في مختلف البلدان وبمختلف اللغات المحلية والعالمية، ولكن نسبة القنوات المتميزة فيها والتي لها تأثير ملموس سواء على الصعيد الثقافي أو السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو غيره محدود جداً، فهناك حفنة من القنوات الفاعلة والمؤثرة، والباقي هو عروض مكررة لأداء ضعيف وقاصر وأقل ما يقال عنه انه غير احترافي وتنقصه الهوية الإعلامية الحقيقية.

ومن الأمثلة الجيدة على القنوات ذات التأثير الواضح والملموس هي قناة المنار اللبنانية التابعة لحزب الله، فهذه القناة تتمتع بكادر إعلامي عامل على مستوى عال جداً من الاحترافية بالإضافة إلى أدوات بث ذات تقنية حديثة،

وبرامج متقنة ومؤثرة، مستندة إلى رؤية سياسية واضحة، ومهمة إعلامية دقيقة. فالمنار لديها مهمة واضحة يؤطرها عنوان «قناة المقاومة» فهي تهدف إلى تعريف حزب الله وأدائه العسكري والسياسي والثقافي كحالة مقاومة وطنية مشروعة (وليس شيء آخر يلصقه به مناوؤه) وإلى كسب تأييد أكبر عدد ممكن من الجمهور المحلي لهذه المقاومة الوطنية المشروعة والتفاعل معها.

ومع ذلك فإنك لا تجد على القناة برامج تعلم الناس كيفية القتال أو التفجير أو صنع الأسلحة، وإنما هي منصة لتشكيلة من البرامج السياسية والاجتماعية والثقافية التي تؤدي إلى النتيجة المستهدفة أي تصحيح الرؤية تجاه المقاومة وكسب المزيد من الجماهير المؤيدة لها، وقد حازت برامج القناة على جوائز محلية وإقليمية ودولية، واستطاعت في مهرجان القاهرة الثامن للإذاعة والتلفزيون أن تحصد اغلب جوائز المهرجان.

تركز المنار على البرامج التي تهم المرأة وربة البيت المتعلقة بإدارة الحياة اليومية والصحة والبيئة خصوصاً في الفترات الصباحية للبث، كما تستعرض تقاريرها البيئية والاجتماعية المتعلقة بالخدمات الرسمية والأهلية في نشراتها الإخبارية إلى جانب الأخبار والتقارير السياسية، ولديها برامج دورية حول الفكر والثقافة الدينية الإسلامية العامة، كما تبث برامج حوارية مباشرة لجمهور القناة (مع المشاهدين) وتستضيف محاورين من مختلف الطوائف والفئات العمرية في برامجها غير السياسية وكذلك السياسية مع التركيز في الثانية على المحاورين من ذوي التوجهات السياسية المساندة لخط المقاومة، وبهذه الطريقة استطاعت أن تكتسب جمهوراً متنوعاً يتشكل من اللبنانيين وغيرهم في خارج لبنان، ومن المتدينين والعلمانيين وكبار السن والشباب ومن الذكور والإناث ومن النخب الثقافية والسياسية ومن عوام الناس.

ومع ذلك فإن ما قيل أعلاه ينطبق على الفترات الزمنية التي تكون فيها وتيرة الحياة والأحداث تسير بصورة طبيعية أو شبه طبيعية، ولكن بمجرد أن تنطلق شرارة لحدث ما كحرب تموز ٢٠٠٦ أو الانتفاضة الفلسطينية أو الانسحاب

الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية عام ٢٠٠٠م أو إنجاز عملية عسكرية أو سياسية كتبادل الأسرى وما شابه ذلك فإن أغلب تلك البرامج أو كلها تتوقف ويبدأ بث القناة بالتركيز على البث الحي والمباشر للأحداث وتطوراتها ويبدأ بث الأناشيد الحماسية والثورية ويغلب على البث المصور الطابع العسكري وتكون الأخبار والحوارات كلها مركزة على الحدث، وتشعر فجأة بأنك أمام قناة للمقاومة الثورية والعسكرية والسياسية بكل ما للكلمة من معنى، ويستمر الوضع هكذا إلى أن تنتهي تلك الأحداث أو تبدأ في الانحسار تدريجياً.

وخلال هذه الفترات عادةً ما ترتفع نسبة المشاهدين من مختلف أنحاء العالم العربي بصورة حادة، وتصبح المنار من ضمن القنوات الأربع الأولى التي تحوز على نسبة ٧٠-٨٠٪ من المشاهدين العرب، وأظهر استطلاع عام ٢٠٠٣ بأن ٢٨٪ من فلسطيني الداخل يتابعون الأخبار على قناة المنار أولاً، وفي عام ٢٠٠٨م أوضح استبيان لمؤسسة الزغبى بأن ٢٪ من المشاهدين العرب مواظبون على متابعة القناة أي ما يعادل ١٠ ملايين مشاهد.

وبالتالي اعتبر البعض بأن للمنار هوية مزدوجة: الأولى تبرز في الأوقات الطبيعية التي يغلب عليها الاستقرار السياسي حيث تكون برامجها ذات طابع مجتمعي غالباً، والثانية تبرز في أوقات المواجهات السياسية والعسكرية ويغلب عليها طابع المقاومة الجهادية والتعبئة النضالية، ولكن يبدو لي بأنها هوية واحدة واستراتيجية واحدة يتم خلالها توزيع الأدوار ووسائل التأثير بذكاء عالي ونظرة إعلامية ثاقبة.

تجدر الإشارة إلى أن الميزانية السنوية للقناة هي ١٥ مليون دولار، وتعتمد القناة بصورة محدودة جداً على دخل الإعلانات فهي ترفض بث ٩٠٪ من العروض الإعلانية المقدمة لها بسبب تضارب محتوياتها مع الحدود الشرعية والفقهية التي تلتزم بها القناة^(١).

القنوات الشيعية:

يمكن للعديد من القنوات الشيعية أن تستنسخ هذه التجربة، خصوصاً وأن أغلب هذه القنوات لديها تغطيات دينية موسمية خلال موسم عاشوراء وشهر رمضان وموسم الحج وما شابه، إلا أنها غالباً ما تكون في أزمة برامية خارج هذه المواسم، فتظل تسترجع البرامج الموسمية طوال بقية العام مما يفقدها بريقها وتركيز جمهورها معها.

الاستراتيجية الإعلامية لحزب الله:

من الاستراتيجيات الناجحة والتي يمكن استنساخها بصيغ مكيفة تتناسب مع كل ساحة من الساحات الشيعية هي الاستراتيجية الإعلامية لحزب الله. فالذي يراقب الخطاب الإعلامي للحزب قد يؤخذ في البداية بتنوعه الشديد الصادر عن مجموعة كبيرة ومتنوعة من الوسائط الإعلامية الموجهة للجمهور المحلي والعالمي. فتجد الخطاب في المسائل الدينية مثلاً يتأرجح بين تداول القضايا العقائدية الشيعية من جهة وعقائد الديانات العالمية من جهة أخرى، والخطاب السياسي بين تداول المسائل المحلية والمناطقية وبين مفاهيم واسعة كالوحدة العربية، وما شابه ذلك بحيث تظن بأن للحزب مجموعة من الألسنة التي يخاطب بها جمهور واسع من المستقبلين.

ولكن بنظرة أعمق للموضوع يتبين لنا بأن هذه ليست سوى استراتيجية إعلامية موحدة ومعقدة يستخدم فيها الحزب أكثر من خطاب لأكثر من جمهور لتحقيق أكثر من غاية وباستخدام أكثر من وسيلة، بمعنى آخر استخدام الخطاب المناسب عبر الوسيلة الإعلامية المناسبة لاستهداف الجمهور المناسب وخلق التأثير الإعلامي المستهدف.

ويمكن تعريف خمس فئات مستهدفة من قبل الاستراتيجية الإعلامية لحزب الله، وهي: ١- المجتمع الشيعي (اللبناني) ٢- بقية سكان لبنان ٣- العرب والمسلمون حول العالم ٤- الجمهور العالمي غير العربي وغير المسلم ٥- الجمهور

الإسرائيلي.

ويمكن تقسيم هذه الفئات الخمس من منظور آخر إلى فئتين، هما: حلفاء محتملون، وأعداء أبديون. والأهداف الإعلامية تجاه هاتين الفئتين تتباين بشكل جوهري، فالإرسال الإعلامي للفئة الأولى يهدف إلى نشر أفكار الحزب العميقة ورؤاه ونظراته للشئون العالمية وعقائده وقيمه ومعايير الأخلاقية، بينما الإرسال الموجه للأعداء يشكل إحدى ركائز الحرب النفسية.

ويستخدم الحزب مجموعة متنوعة من الوسائط الإعلامية لتنفيذ تلك الأهداف هي عبارة عن قناة تلفزيونية فضائية موجهة للفئات الخمس (المنار)، وإذاعة إقليمية (النور) موجهة لأربع فئات (باستثناء الجمهور الإسرائيلي) وثلاث إذاعات محلية (الإمام، والإسلام، وصوت المستضعفين) موجهة للمجتمع الشيعي المحلي، إلى جانب مجموعة من المجلات والنشرات الدورية (كالانتقاد) أغلبها موجه لجمهور الفئة الأولى، إضافة إلى إنتاجات إعلامية من صنف ألعاب الحاسوب والكتب والأشرطة واللافتات والرسومات وأشرطة وأقراص التسجيلات الصوتية والأناشيد والمواقع الإلكترونية على الإنترنت، وأغلبها موجه لجمهور الفئة الأولى والثانية وأحياناً الثالثة.

أما بشأن مواقع الإنترنت فللحزب ما يقارب من ٢٠ موقع تتكلم بعضها بأربع لغات عالمية (العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية) تعبر عنه مباشرة أو عن مؤسسات تابعة له، جزء منها يخاطب جمهور الفئات الخمس كموقع المنار وموقع دراسات وموقع الشيخ نعيم قاسم وغيرها، وبعضها موجه لجمهور محلي محدد كموقع مستشفى الرسول الأعظم وموقع مدارس المهدي وغيره، وبعضها إلى قسم من هذه الفئات كموقع النور وجهاد البناء والشاهد وحياة وغيرها.^(١)

الاستراتيجية الرابعة: توظيف النجاحات

يحقق اتباع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله العديد من النجاحات في

(١) Lyme: Hizb'Allah's communication strategy

مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية والعلمية والأخلاقية وغيرها، وإلى جانب الدعوة إلى إعادة إنتاج ما أمكن من تلك النجاحات، هناك دعوة أخرى إلى توظيف واستثمار واستغلال هذه النجاحات بصورة ترفع من مستوى فاعليتها وتوسع مدى تأثيرها.

والتوظيف يعني عملياً توليد مشاريع لم تكن موجودة أو ممكنة بسبب ظروف معينة بينما هي ممكنة الآن بفعل النجاح في مشاريع أخرى قامت بتغيير الظروف المانعة، وكذلك توليد سياسات لم تكن موجودة أو تصحيح أوضاع لم تكن محبذة أو بث أفكار كانت منبوذة أو اختراق مساحات كانت مغلقة أو غلق أبواب كانت مفتوحة.

والتوظيف أو الاستثمار قد يكون محلي في ذات الموقع الجغرافي أو البيئة الاجتماعية وقد يكون خارجي أي ينعكس في ساحات أخرى، وقد يكون عمودي أي في ذات الحقل بحيث يكرس الإنجازات أو يوسعها في ذات الحقل السياسي أو الاقتصادي أو غيره وقد يكون أفقياً أي كأن يكون النجاح عسكرياً ولكن يتم توظيفه سياسياً أو يكون مالياً فيتم توظيفه اجتماعياً، وهكذا دواليك، وكلما كان النجاح أكبر حجماً وتأثيراً واستطاع أن يحدث تغييرات أكبر كلما أمكن توظيفه في مساحات عمودية وأفقية وجغرافية وبيئية أكبر وأوسع.

وفيما يلي نموذج لنجاح اجتماعي تم توظيفه سياسياً وثقافياً وعسكرياً، وهو ما عبر عنه بالجهاد الاجتماعي لحزب الله^(١).

حزب الله والمقاومة الاجتماعية:

استطاع الحزب وعلى مدى سنين أن ينشئ منظومة خدمات صحية واجتماعية وثقافية كبيرة وفاعلة تبلورت في صيغة شبكة ضخمة من الخدمات التي استفاد منها بصورة مباشرة ومصرية ما يقارب ٢٥٪ من شيعة لبنان أو ١٠٪ من سكان لبنان.

(١) Flanigan: Hizbollah's social jihad

فعلى سبيل المثال استطاع حزب الله بواسطة مؤسسة جهاد البناء تأمين ماء الشفة لـ ٤٥٪ من سكان الضاحية الجنوبية لبيروت مع بدايات الألفية الثالثة، ودور هذه المؤسسة وأخواتها معروف في عمليات إعادة البناء والترميم والتعويض التي نفذها الحزب لسكان الضاحية والبقاع والجنوب ممن تضررت مساكنهم وتدمرت بعد حرب ٢٠٠٦.

تشير بعض التقارير إلى انه مع حلول سبتمبر ٢٠٠٦ كان الحزب قد انفق ٢٨١ مليون دولار على إعادة البناء وتعويضات حرب تموز.

وهذه ليست المرة الأولى، ففي عام ١٩٩٦م وبعد الاعتداءات الإسرائيلية على قرى الجنوب قام الحزب وخلال شهرين من الزمن بإعادة بناء ٥٠٠٠ منزل في ٨٢ قرية وإعادة تأهيل الطرق والبنية التحتية ودفع تعويضات لـ ٢٣٠٠ مزارع.

على الصعيد الصحي يدير الحزب ٣ مستشفيات و ١٢ مركز صحي و ٢٠ دار عجزة ومشفى، و ٢٠ عيادة أسنان، وقد أثبتت خدمات الحزب فعاليتها لدرجة أن طلب منها إدارة مجموعة مستشفيات حكومية في البقاع والجنوب.

على المستوى الثقافي تشتهر المدارس الرسمية في لبنان بضعف مستواها، وأكثر اللبنانيين المقتدرين يدرجون أبنائهم في مدارس خاصة ذات كلفة مرتفعة، فقام الحزب بإنشاء مجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية منخفضة التكلفة التي تخدم حوالي ١٤ ألف طالب، وإلى جانب ذلك يقدم الحزب للطلبة من ذوي الدخل المنخفض المنح الجامعية والمساندة المالية والكتب المخفضة.

وعلى الصعيد الاقتصادي وتحسين دخل الشيعة في لبنان توفر مؤسسات الحزب القروض الصغيرة والمنح المالية لعوائل الشهداء، وكذلك القروض التمويلية للمشاريع الصغيرة، والخدمات الزراعية للمزارعين.

وكل تلك الخدمات وغيرها يتم تقديمها بصورة فاعلة ومؤثرة ومجدية تدل على إخلاص القائمين عليها ولا أدل على اهتمام الحزب بها إلا وضع هذه المنظومة من العمليات والمؤسسات تحت الإشراف المباشر للمجلس التنفيذي للحزب.

هذه الفعالية وذلك التاريخ من العطاء المجتمعي بمختلف أصنافه ومستوياته أدى إلى مجموعة من النتائج أبرزها توليد قاعدة جماهيرية صلبة مساندة للحزب تقوم بتوليد قدر هائل من الأصوات الانتخابية له من جهة وتوليد أعداد كبيرة من المجندين المتطوعين في صفوف الحزب سواء على الصعيد التنظيمي السياسي أو العسكري أو غيره، كما أنه يولد صورة أكثر دقة وجمالاً لمفهوم المقاومة الذي لا ينحصر في القتال العسكري فقط المعزول عن البيئة المجتمعية لجمهور الناس وإنما مفهوم أوسع يشمل المقاومة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعيشية. وهذه النتائج تستند إلى قواعد طبيعية في فطرة البشر وسنن الحياة، فأمر المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام يقول: «أحسن إلى من شئت تكن أميره»، وفي حديث آخر يقول عليه السلام: «الإنسان أسير الإحسان».

تجربتنا التاريخية:

ولعل أكبر عملية توظيف للنجاحات قامت في التاريخ هي عملية فتح مكة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، فرسول الله ﷺ استطاع نشر الدين على مساحة جزيرة العرب كلها وبأقل جهد ممكن بعد فتح مكة، وجاءت الوفود من كل مكان لتعلن طوعاً وتحاقها به وبالعقيدة السماوية الجديدة وكانت النتائج على المستوى الجغرافي في الثلاث سنوات الأخيرة من عمره الشريف أكبر من نتائج الدعوة والكفاح على مدى العشرون سنة التي سبقتها من الدعوة.

فرسول الله ﷺ وظّف هذا الفتح العسكري توظيفاً دينياً وسياسياً بحيث نشر سلطته السياسية ورسالته الدينية على أوسع نطاق ممكن آنذاك، وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى هذه الاستراتيجية في سورة النصر حيث يقول تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) فالدخول إلى الدين أصبح طوعاً وبالأفواج البشرية بعد أن كان الناس يسلمون كل فرد على حدة أو كل قبيلة على حدة.

الاستراتيجية الخامسة: التشبيك البيني

التشبيك البيني يعني إنشاء شبكات عمل بين المجتمعات الشيعية للتعاون وتعزيز أوضاعهم في مختلف البلاد والساحات سواءً على المستوى الرسمي أو الأهلي والمدني وإطلاق شبكات من المؤسسات التعليمية والاقتصادية والثقافية والسياسية والحقوقية تتعاون وتنسق فيما بينها لخدمة الساحات والمناطق والتجمعات الشيعية.

والتشبيك البيني له عدة آثار أهمها:

١. انه ينسج علاقة متينة بين المجتمعات الشيعية التي تشارك في الأهداف والموارد وتعالج التحديات بصورة مشتركة لكي تعزز أوضاعها العامة أو الخاصة بحقل معين وتتعاقد وتتآزر في ذلك.
 ٢. أنها تتمكن من معالجة تحديات أكثر وأكبر من خلال النظر إليها من زوايا متعددة والاستفادة من خبرات متنوعة في تصميم الحلول.
 ٣. إنها وسيلة لتبادل التجارب والمعارف وقواعد النجاح بين المجتمعات الشيعية.
 ٤. إنها تعبئ أبناء الطائفة وتشعرهم بوحدتهم ووحدتهم مصيرهم.
 ٥. إنها تقلل من التكرار في استخدام الموارد وهدرها.^(١)
- وقد يستشكل البعض على هذا النوع من العمل بأنه قد يثير ردود أفعال أمنية أو سياسية أو دينية من قبل بعض الجهات الرسمية أو الأهلية، ولكن إذا كان التشبيك والتعاون هو من أجل القيام بأعمال علنية وضمن المسارات القانونية وتهدف إلى خدمة المجتمعات التي يتواجدون فيها ولا تستهدف الإضرار لا بطائفة ولا بنظام في أي مكان، فلماذا حمل هذه الهواجس في داخلنا باستمرار ووضعها كمعوقات أمام تحركاتنا حتى قبل أن يثيرها ويضعها الآخرون؟

تجربة منظمة بلال الإسلامية في أفريقيا: (١)

تأسست منظمة بلال الإسلامية The Bilal Muslim Mission في عام ١٩٦٤م على يد السيد سعيد اختر الرضوي وهو عالم دين من الهند كان قد ابتعثه المجلس الأعلى للشيعة الخوجة الإثنا عشرية في الهند ليكون الداعية والمرشد للجالية الهندية الباكستانية الإثنا عشرية في تنزانيا بشرق أفريقيا.

كان الهدف الرئيسي من المنظمة هو التبليغ والإرشاد الثقافي والعمل الخيري، فبدأت في دار السلام بإنشاء حوزة علمية وروضة أطفال ومدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ومدرسة لتأهيل المعلمين ومدرسة لتعليم القرآن الكريم، إلى جانب ابتعاث طلبة لدراسة العلوم الدينية في لبنان والنجف الأشرف وقم المقدسة.

كذلك أصدرت المنظمة صحيفة منذ عام ١٩٦٤ باللغة السواحيلية تدعى «صوت بلال» وصحيفة أخرى فيما بعد في الثمانينات باللغة الإنجليزية تدعى «النور».

اليوم تنشط المنظمة في تنزانيا وكينيا وموزمبيق ومدغشقر وبوروندي ورواندا والكونغو، أما خارج أفريقيا فالمنظمة نشطة في جزر البحر الكاريبي وتايلند وإندونيسيا واليابان وأوروبا والولايات المتحدة، وبسبب نشاطها وفعاليتها أنشأت جماعات شيعية أخرى منظمات مشابهة لها ومستلهمه من أسلوبها في العمل في بلدان كنيجيريا والسنغال وغانا والسويد وأمريكا الشمالية.

في عام ١٩٩٦م أسس العلامة الرضوي صندوق بلال الخيري في الهند، حيث تقوم حالياً المؤسسات والفروع التي أنشأت بتنسيق الأنشطة والعمل بالتوازي في أفريقيا والهند وأوروبا وأمريكا الشمالية، وتعمل كمؤسسات محلية وعابرة للحدود في ذات الوقت مستفيدة من شبكة الارتباطات البينية التي شكّلتها كلها.

الجدير بالذكر أن العلامة السيد سعيد الرضوي توفي عام ٢٠٠٢ عن عمر ناهز ٧٥ عام ودفن في دار السلام بتنزانيا بعد أن ألف ١٢٥ كتاب باللغات السواحيلية والعربية والإنجليزية.

الاستراتيجية السادسة: المناصرة

المناصرة تعني نصرته الشيعة لبعضهم البعض ودعم قضاياهم المشتركة والقيام بفعاليات في بلدانهم وأماكن تواجدهم تساند وتدعوا إلى معالجة قضايا الشيعة في أماكن وبلدان أخرى.

مبادرة الشيعة في الولايات المتحدة:

في منتصف عام ٢٠١١م قام المجلس الأمريكي للحرية في البحرين^(١) وهو عبارة عن تجمع لمنظمات شيعية أمريكية عديدة، بتنظيم اجتماع حاشد مناهض لتجاوزات حقوق الإنسان التي يمارسها النظام الخليفي ضد الشعب البحراني، وقد شارك في الاجتماع الآلاف من الشيعة الأمريكيين ونشطاء حقوق الإنسان حيث انطلقت مسيرة التجمع الحاشدة من عند السفارة السعودية في واشنطن وانتهت عند البيت الأبيض، وشارك بإلقاء الكلمات السفير الأمريكي السابق في البحرين الذي حث إدارة أوباما على إنهاء صمتها بشأن ما يجري هناك.

في اليوم التالي نشرت صحيفة الواشنطن بوست خبر التجمع والمسيره على صفحتها الأولى، وتمت مواصلة برنامج المناصرة من خلال حملة مراسلات إلى أعضاء الكونغرس والقيام بمجموعة مقابلات إذاعية وتلفزيونية إضافة إلى نشر الوعي بالقضية عبر وسائل الاتصال الاجتماعي، كل ذلك أدى إلى أن الرئيس أوباما يشير في خطابه بشأن الشرق الأوسط في التاسع عشر من مايو إلى «وجوب عدم هدم مساجد الشيعة في البحرين».

قد ينبّه البعض إلى أن كلمات الرئيس الأمريكي لم تكن نابعة من ضمير صادق، حيث أنه بقي مؤيداً باستمرار إلى النظام الاستبدادي في البحرين، إلا أن

Naquvi: The responsibility of the American Shia (١)

المسألة المهمة هنا هي أن من يراقب السياسة الدولية للحكومة الأمريكية يجد بأنها تتأثر بالضغط السياسي التي تشكل من مزيج من أموال الشركات وجماعات الضغط وضغوط الرأي العام، والعامل الأخير هو الذي يمكن لمنظمات المناصرة أن تستخدم نفوذها ومواردها فيه.

إن واحدة من المسؤوليات على الشيعة - والتي لحسن الحظ بادر المجلس الأمريكي لحرية البحرين باتخاذ الخطوات فيها - هي إقامة التدريبات حول كيفية إطلاق فعاليات المناصرة في أي مكان يتواجدون فيه.

المنظمة الدولية لمكافحة الإرهاب والتطرف الديني:

قام أحد النشطاء الشيعة في ألمانيا وهو من أصل عراقي ويدعى علي السراي بإنشاء منظمة أهلية لمناصرة قضايا الشيعة في مواجهة الإرهاب التكفيري الوهابي تحت مسمى «المنظمة الدولية لمكافحة الإرهاب والتطرف الديني» لديها أعضاء في كل من ألمانيا وبريطانيا وسويسرا وهولندا والدنمارك وفرنسا إضافة إلى العراق والولايات المتحدة الأمريكية، وهم من جميع الاختصاصات فمنهم برلمانيون وأطباء ومحامون وخبراء في القانون الدولي ونشطاء على المستوى الدولي وخاصة في الأمم المتحدة وكذلك إعلاميون وسياسيون .

في بداية عام ٢٠١٠م قام علي السراي برفع دعوى قضائية عاجلة أمام المحاكم الألمانية طالب فيها بالقبض على إمام الحرم المكي السابق الشيخ عادل الكلباني الذي كان متواجداً آنئذ في ألمانيا للعلاج، وذلك بتهمة إثارة الكراهية الدينية، وسلم القضاء الألماني الوثائق والمستندات والتسجيلات التي تدين الكلباني، وقام فريق من المحامين برفع الدعوى القضائية إلى الجهات الألمانية المختصة لدراسة الأدلة المقدمة لاتخاذ الإجراء القانوني اللازم.

وكان الكلباني كُفر المسلمين الشيعة في تصريحات عبر تلفزيون بي بي سي في شهر مايو الماضي ٢٠٠٩م الأمر الذي أثار موجة سخط واسعة في الأوساط الشيعية داخل وخارج السعودية.

وقد أعلن علي السراي أن منظمته بصدد ملاحقة ٤٠ مفتياً سعودياً أمام المحاكم الدولية في أوروبا والولايات المتحدة بتهمة التحريض على الإرهاب. وتعيد الشكوى للأذهان شكوى مشابهة كانت رفعها أمام القضاء الألماني في السنة التي سبقتها ضد رجل الدين المتشدد الشيخ عبدالله بن جبرين الذي غادر ألمانيا على عجل بعد توسط وزير الخارجية السعودي، والذي وافته المنية بعد أسبوع من عودته للرياض.

يشار إلى أن عشرات من رجال الدين السعوديين تورطوا في إصدار فتاوى وتوقيع العديد من البيانات التحريضية التي دفعت المئات بل والآلاف من الشبان السعوديين وغير السعوديين للقيام بعمليات انتحارية وارتكاب أعمال إرهابية ضد الشيعة في العراق وسوريا وباكستان وكشمير وغيرها من بلاد العالم. وسبق للمنظمة أن حذرت مراجع التكفير السعوديين بالتفكير مرتين قبل سفرهم خارج المملكة «لأنهم سيكونون ملاحقين قانونياً في كل مكان يذهبون إليه في أوروبا».^(١)

الاستراتيجية السابعة: كسب التأييد

كسب التأييد يعني السعي لكسب تأييد الآخرين السياسي والديني والإعلامي والحقوقى لقضايا الشيعة ومواقفهم وأفكارهم وعقائدهم في كل مكان يتواجدون فيه. وهذه الاستراتيجية تنفع في التعامل مع الأطراف الصديقة والمحايدة بل وحتى المناوئة.

كسب التأييد يقوم أساساً على توظيف المشتركات والقيم الإنسانية العالمية أي المبادئ والقيم الإنسانية المشتركة بين عموم البشر كمبادئ حقوق الإنسان الواردة في الشريعة الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م والذي ينص على أن الناس كلهم يولدون أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق وبحظر التعذيب وعدم جواز اعتقال الناس تعسفياً ومساواة

(١) شبكة راصد الإخبارية ٢٠١٠م

الناس بمختلف أعراقهم وأجناسهم وأديانهم أمام القانون وحرية الرأي والتعبير واختيار العقيدة، وغير ذلك من المبادئ التي لا يستطيع أن يتنكر لها - على الأقل نظرياً - أحد من البشر، وكذلك المبادئ والقيم الواردة في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر عام ١٩٦٦م والذي ينص على حق الناس سواسية في العمل وكسب لقمة العيش بدون تمييز وفتح باب فرص العمل أمام جميع المواطنين على أساس الكفاءة لا المحسوبية والعنصرية والطائفية وتأمين الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية والتعليم كحق لجميع المواطنين، إلى جانب العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر عام ١٩٦٦م والذي يرى بأن لجميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها وبمساواة جميع أفراد الوطن أمام القانون والقضاء وأن الحياة الحرة الآمنة حق لكل مواطن وأن للناس حق التجمع السلمي وحق إنشاء الجمعيات السياسية وغيرها وحق الاعتراض على الظلم، وغير ذلك من المبادئ والعهود والإعلانات والمواثيق والقيم.^(١)

إن للشيعية - ولغيرهم من الناس - في أي مكان في العالم حق المطالبة بهذه الحقوق والمطالبة بتطبيقها عليهم وتفعيلها في شؤونهم وعدم استثناءهم منها بأي وجه كان، وهذا ما نسميه بالمشاركات الإنسانية والقيم العالمية بين جميع البشر.

استراتيجيات كسب التأييد:

هناك أدوات عديدة لكسب التأييد لقضايانا الإنسانية ولمعالجة التحديات الاستبدادية والطائفية والتمييزية التي يتعرض لها الشيعة في أماكن عديدة، وأهم هذه الأدوات هي:

- **مجموعات الضغط:** وقد أشرنا إليها عند الحديث عن الاستراتيجية السابقة (المناصرة) ونزيد هنا بعض التوضيحات المفيدة أيضاً، فمهمة مجموعات الضغط الحقيقية ليس الصراخ وإعلاء الصوت بالاحتجاج وإن كان هذا

(١) ويسبرودت: مختارات من أدوات حقوق الإنسان

مفيداً في بعض الأحيان ولكن مهمتها الحقيقية هي تثقيف وتوعية الأطراف المستهدفة بحقيقة ما يجري وتوضيح المعلومات والبيانات والدلالات والشواهد، والصراخ والاحتجاج الذي يتم إنما هو لجذب الانتباه ولكن بعد جذب الانتباه تأتي خطوة تثقيف الساسة والبرلمانيون والمشرعون والإعلاميون وغيرهم بباهية القضية التي نرفع الصوت من أجلها، وبعد التثقيف تأتي الخطوة الحاسمة والتي هي مطالبة أولئك الساسة أو المشرعون أو ذوي النفوذ والسلطة باتخاذ خطوات عملية في الشأن المرفوع، فالتثقيف بدون المطالبة بنتيجة عملية ما ليست له جدوى كبيرة^(١).

• **الإعلام:** تحول الإعلام في وقتنا هذا إلى أداة دبلوماسية جماهيرية ضخمة فمع انتشار وسائل الإعلام الاجتماعي أصبح لكل فرد صوت يستطيع أن يجر به وإن يناقش القضايا الكبرى التي تمس طائفته أو شعبه أو قومه أو أية مجموعة بشرية يتعاطف معها في أي مكان في العالم وأصبح بالإمكان الآن إطلاق ما يمكن الاصطلاح عليه بالمناقشة الواسعة^(٢) أي إدراج آلاف بل وحتى ملايين البشر العاديين في مناقشة قضية ما وتشكيل رأي عام ضاغط على مستوى الفرد المؤثر من جهة والأنظمة المتأثرة من جهة أخرى، وأصبح العمل «الدبلوماسي» ليس حكراً على نخبة من الموظفين السياسيين في الغرف المغلقة وإنما مفتوحاً أمام الأفراد العاديين في الفضاء الحر بقدر ما هو متاح من معلومات وبيانات أمام الناس والعالم.

• **القوة الناعمة:** وهي أدوات التأثير التي لا يستخدم فيها ما هو قهري كالسلاح والرشاوى المالية والابتزاز، فالمعلومات المؤثرة والإعلام والتوعية والعلاقات الحسنة واستبيانات الرأي العام وغيرها هي من الأدوات الفعالة في هذا السياق، وهي تؤدي إلى نتائج متنوعة كأن تدفع جهة ما إلى تبني قضية

(١) Nelson: Learn to love lobbying

(٢) Himelfarb: Media as global diplomat

ما، أو إلى التخلي عنها، أو إلى التعامل معها بشكل مختلف،^(١) وكل ذلك يعتمد على الزاوية التي يتم توجيه التحرك عبرها.

- التوافق الطارئ للمصالح السياسية: من الأمور التي يجب التنبيه لها وتوظيفها بصورة عقلانية في استراتيجية كسب التأيد هو التوافق الطارئ للمصالح السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها مع جهات قد تكون هي مناوئة أو لا تحسب في صف الحلفاء بالنسبة للشيعية.

فالشيعية في لبنان إنما أطلقت شرارة تمكينهم في ذلك البلد بسبب التوافق الطارئ الذي حصل بين رغبتهم من جهة في إحراز حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي كانت مسحوقة إبان حكم الأتراك العثمانيين، وبين قرار الفرنسيين من جهة أخرى في خلق لبنان «الكبير» الذي تتأطر فيه الحقوق والامتيازات والسلطات ضمن الطوائف التي تمثل كتلتها البشرية، وبالرغم من أن الشيعة - وغيرهم - كانوا ضد هذا المشروع الفرنسي وكانوا فيمن حاربه، إلا أن عبور القرار في النهاية كان تحولاً نوعياً في تاريخ الشيعة السياسي^(٢) وولّد انعكاسات وتفاعلات نفسية واجتماعية وسياسية طبعته وضع الشيعة الجديد بسمات جديدة تدرجت مع مرور الأيام وتطور الأحداث إلى أن وصلوا إلى ما هم عليه الآن من قوة وتمكين واحترام وهيبة بين الأمم وليس فقط بين الطوائف اللبنانية.

وكما كان الشأن في لبنان فإن توافق المصالح الذي طرأ بين الشيعة في العراق وبين الأمريكيين في حربهم على نظام صدام حسين أحدث تحولاً تاريخياً وجذرياً في وضعهم السياسي والاستراتيجي بشكل عام، وكما أوضحنا سابقاً فالشيعة في العراق - وفي أماكن أخرى - إنما كانوا ضحايا للسياسات الأمريكية الإمبريالية وللأنظمة الاستبدادية المتحالفة معها في المنطقة، ولكنهم استطاعوا بسبب توافق مجموعة من الظروف والمتغيرات

(١) راجع كتابات جوزيف ناي عن القوة الناعمة

(٢) غريب: نحو تاريخ فكري - سياسي لشيعة لبنان

الاستراتيجية أن يوظفوا ذلك الصدام بين طرفين مناوئين لهم وأن ينتزعوا
وبالقانون وبالقيم والمشاركات الإنسانية العالمية مجموعة من المكاسب
الاستراتيجية لم يكونوا ليحوزوا عليها بالوسائل التقليدية إلا بجهد جهيد.
ومثال آخر يمكن الاستشهاد به هنا أيضاً هو الشيعة في أفغانستان، فبالرغم
من أنهم الطائفة الثانية في أفغانستان من حيث العدد، فقد عانوا ما عانوه من
الذبح والقتل والتهجير والتشريد في عهد طالبان التي شارك في تأسيسها
وتمكينها الأمريكيون وحلفائهم الباكستانيون والسعوديون والمصريون،
ولكن حين اختلف الطرفان وتصادما وتم إسقاط طالبان بدعوى الحرية
والديمقراطية ونشر قيم الحضارة الإنسانية، أصبح للشيعة في العهد الجديد
حق التعبد بمذهبهم الذي اعتبر شرعياً من الناحية الدستورية بل أصبح لهم
الحق الدستوري في الترشح حتى لرئاسة الدولة الأفغانية.

استراتيجيات خاصة بالأطراف المهمشة

هناك استراتيجيات تلائم بصورة خاصة المجتمعات الشيعية المهمشة التي تعيش حالة حادة من التمييز والإقصاء والعنصرية والطائفية في مواطنها، وهذه الاستراتيجية هي الاحتماء السياسي.

استراتيجية الاحتماء السياسي:

الاحتماء السياسي يعني البحث عن جهة أو وسيلة أو استراتيجية عمل توفر الحماية للفتات الشيعية المهمشة من التمييز والقمع والاستبداد وتكون رادعاً أمنياً في الدرجة الأولى عن الهجمات العدائية والسياسات العدوانية التي تمارسها سلطات أو مجتمعات معينة ضدها.

مصادر الاحتماء السياسي:

١. المصدر الأول: هو النفوذ السياسي للمركز، فالعلاقة السياسية القوية مع الدولة المركز أو القرب الجغرافي منها أو كلاهما معاً تشكّل بنسبة أو بأخرى مصدراً من مصادر الحماية السياسية، ومدى قوة وفاعلية هذه الحماية لا تعتمد فقط على المركز وإنما تعتمد بالدرجة الأولى على مدى فاعلية وحيوية واستراتيجية الطرف المهمش، ولذا نجد بأن أثر هذه الاستراتيجية في أطراف قد تكون بعيدة نوعاً ما جغرافياً عن المركز كالشيعية في لبنان أو اليمن أكبر من أثرها في أطراف قريبة جداً منه كالشيعية في البحرين وفي المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية خصوصاً في السنوات الماضية التي سبقت الربيع

العربي، فالمركز لا يستطيع مد يد العون إلى ساحات لم تندفع هي بما فيه الكفاية لنجدة نفسها والدفاع عن قضاياها.

٢. المصدر الثاني: هو العلمانية السياسية الحاكمة، فمجتمعات كان الشيعة فيها على مر القرون مضطهدون ومقموعون تحت أنظمة حكم استبدادية ومعادية كالشيعة في تركيا وسوريا أصبحوا فيما بعد في حال أفضل بكثير بعد أن هيمن على هذه البلدان أنظمة حكم علمانية لا تتحسس من الالتئام الديني والمذهبي لمواطنيها.

الحالة التركية:

ففي تركيا كان إعلان الجمهورية التركية بنظامها العلماني تحت حكم أتاتورك عام ١٩٢٣م موضع ترحيب وسرور وتأيد مطلق من جانب العلويين الأتراك الذين وجدوا في هذه الخطوات فرصة مهمة وذهبية للخروج إلى النور لأول مرة بعد أربعة قرون من الاضطهاد الديني العثماني.

وهكذا أضحى العلويون الدعامة الأساسية للنظام الجمهوري العلماني في تركيا، ولا عجب أن يرفع العلويون في جميع مناسباتهم إلى جانب صورتي حاجي بكتاش والإمام علي بن أبي طالب ^(١) صورة مصطفى كمال أتاتورك أيضاً. ومع كل ذلك، ورغم التحسن الكبير الذي طرأ على وضع المجتمع العلوي في تركيا، استمر العلويون في حذرهم من السلطة، واستمروا بعيدين عن الوظائف العليا وعاطلين عن العمل، خاصة أن معظمهم كان يقطن بعيداً عن الغرب التركي والمدن الكبرى مثل إسطنبول وأنقرة، وكان مدى انفتاح الدولة على الإسلاميين أو عدم انفتاحها مقياساً لتقدم العلاقة أو تراجعها بينها وبين العلويين.

وعادت مخاوف العلويين إلى الظهور في الفترات التي كانت تشهد ميلاً

(١) المعلوم أن هذه الصورة ليست للإمام عليه السلام وإنما اتخذها العوام تعبيراً رمزياً عنه عليه السلام ولا أرضية واقعية لها.

إسلامياً لدى الحكومات التركية مع «السياسة الإسلامية» التي اتبعتها رئيس حكومات الخمسينيات عدنان مندريس وحكومات الائتلاف التي شارك فيها حزب السلامة الوطني الإسلامي بزعامة نجم الدين أربكان في السبعينيات وكذلك مع سياسات الرئيس طورغوت اوزال في الثمانينات ومطلع التسعينات. وقد مارس النظام التركي عموماً، من جهة تشدداً علمانياً حيال الحركات الإسلامية، فيما كان النظام نفسه يتحرك من جهة ثانية بـ «ذهنية إسلامية سنية» حيال العلويين، بحيث كان يشعر هؤلاء بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية، لا بل مورست أعمال عنف ضد العلويين في أواخر السبعينيات وفي النصف الأول من التسعينيات، ذهب ضحيتها عدد كبير من القتلى العلويين، فيما كانت أصابع الاتهام تشير إلى تواطؤ القوى الأمنية في هذه المجازر.

ويُعتبر انقلاب ١٢ أيلول ١٩٨٠ محطة سوداء في تاريخ العلويين، إذ أقرّ النظام العسكري الجديد، في سياق تعزيز الاتجاهات الإسلامية السنية، إدخال تدريس الدين، مادة إلزامية في جميع المدارس، مع تضمينها في دستور العام ١٩٨٢ الذي ما زال معمولاً به حتى الآن، كما شجع هذا النظام تشييد الجوامع في القرى والمناطق العلوية، وقد أصابت ممارسات إنقلابي ١٩٨٠، بأذى بالغ أحزاب اليسار العلماني وانعكس ذلك على العلويين الذين يشكلون القاعدة الأساسية والعريضة لتلك الأحزاب^(١).

(١) نور الدين: الأقليات الدينية والعرقية في تركيا

استراتيجيات خاصة بالمركز

هناك استراتيجيات خاصة بالمركز وتلائمه أكثر من أية ساحة أخرى بسبب طبيعة وضعه وموارده والقدرات الاقتصادية والثقافية والبشرية والاستقلالية السياسية التي يمتلكها، وهي استراتيجية منح التأيد واستراتيجية التشييك الخارجي.

استراتيجية منح التأيد:

هذه الاستراتيجية تعني تمكين الشيعة من خلال قيام المركز بتوفير المساندة الاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها للمجتمعات الشيعية في الأطراف أو الثغور بصورة مباشرة أو توفيرها للبيئة المجتمعية التي يتواجدون فيها بحيث تنعكس بصورة إيجابية على أوضاعهم وتؤدي إلى تحسن أوضاعهم في تلك المجالات، وتوظيف علاقات المركز ونفوذه في عملية الحماية والرعاية والحقن بالموارد التمكينية.

الحالة الأفغانية:

في أفغانستان قامت إيران بالمساهمة بصورة كبيرة في تحسين أوضاع الطائفة الشيعية هناك سواء من خلال مساندة البيئة العامة التي يتواجدون فيها أي الدولة والمجتمع الأفغاني بصورة عامة أو من خلال المساعدات المباشرة لهم.

فعلى المستوى الاقتصادي زادت النشاطات الاقتصادية الإيرانية في أفغانستان حتى وصلت صادراتها عام ٢٠١١ إلى أكثر من ملياري دولار حيث تعمل أكثر من ٢٠٠٠ شركة إيرانية من مختلف الأصناف والتخصصات على الأراضي الأفغانية.

النفوذ الاقتصادي الإيراني يبدو أكثر وضوحاً في غرب أفغانستان وبالأخص في هيرات ذات الكثافة السكانية الشيعية والتي تعتبر أكثر المناطق ازدهاراً بعد العاصمة كابول، فالجمهورية الإسلامية مولّت وأنشأت شبكة الكهرباء في تلك المنطقة، ورفعت من مستوى استثماراتها في صناعة المناجم هناك ووقّعت مع غرفة التجارة والصناعة فيها عقداً لتوفير تكنولوجيا العمل في المناجم، ومن خلال استثمار بحجم ١٥٠ مليون دولار لاستكشاف وتشغيل منجم جديد تعهدت ايران بإنشاء مدرسة ومسجد ومجمع سكني وطريق معبد ومتنزه ترفيهي لعمال المنجم وعوائلهم، كما أجاز الرئيس الأفغاني اتفاقاً مع الإيرانيين يسمح بإنشاء مصنع للإسمنت في هيرات.

على المستوى العقائدي والاجتماعي والثقافي تقوم ايران بتوفير المساعدات لجامعة خاتم النبيين التي تعتبر أرقى الجامعات في أفغانستان وهي التي أغلب طلبتها من الشيعة الهزارية وأغلب أساتذتها هم من خريجي الجامعات والحوزات الإيرانية، وتحتوي مكتبتها على ١٠٠ ألف كتاب تبرعت ايران بـ ٨٠٪ منهم، ويدير الجامعة آية الله آصف محسنى، والذي يدير إلى جانب الجامعة قناة فضائية ومحطة إذاعية تحمل كل منهما اسم (تمدن).

على المستوى السياسي تقوم إيران بدعم السياسيين والبرلمانيين الذين يعارضون التدخل الأمريكي في أفغانستان، وتساند حملات المرشحين الشيعة للفوز في الانتخابات المحلية بغرض الدفاع عن حقوق الشيعة هناك وترويج الثقافة الفارسية (الثقافة التاريخية للأفغان) والحد من النفوذ الغربي في ذلك البلد.^(١)

الاستراتيجية التشبيك الخارجية:

إلى جانب كون إيران الدولة - المركز بالنسبة للشيعة، فقد أصبحت بنجاح دولة إقليمية عظمى بإطلالة كونية بحسب تعبير بعض المحللين السياسيين، وكل ذلك إنما هو نتاج لاستراتيجية تشبيكية دقيقة ودؤوبة أثبتت ولا زالت تثبت نجاحها مع مرور الأيام وتوالي الأحداث والتطورات على الساحة العالمية.

على مستوى العلاقات مع دول العالم وفيما يخص الجانب الاقتصادي والطاقة تقوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالمساهمة في بناء شبكات الطاقة الكهربائية والسدود في لبنان مما يجعلها مطلة بنفوذها على البحر الأبيض المتوسط، كما تقوم بالتعاون مع جارتها سوريا في مجال النفط ومجال الصناعات الثقيلة، وفي السودان تؤسس إيران معها علاقات اقتصادية متينة تقوم على استخدام الأسطول البحري الإيراني للموانئ السودانية على البحر الأحمر، ومع تركيا تعزز إيران من علاقاتها التجارية التي وصلت بينهما إلى ٣٠ مليار دولار إلى جانب السماح بحرية الحركة للمسافرين وللشركات بين البلدين، وإنشاء خط غاز تبريز - أرض روم والذي يمكن أن يكون يوماً ما مصدراً لتوصيل الغاز إلى الحدود الشرقية للاتحاد الأوروبي.

كما تمد إيران علاقاتها الاقتصادية إلى الجمهوريات السوفياتية السابقة عبر التعاون الزراعي مع روسيا البيضاء وأذربيجان من خلال استثمارات تتجاوز ١,٥ مليار دولار في مشاريع لها علاقة بالطاقة وغيرها، إلى جانب سعيها الحثيث لمد جسور العلاقات الاقتصادية مع طاجيكستان وأفغانستان.

الجمهورية الإسلامية أيضاً أكملت تفاوضها مع الهند وباكستان لمد خط الغاز الإيراني إلى الهند عبر الأراضي الباكستانية ومنها إلى شرق آسيا، كما تقوم إيران - إلى جانب تدريب ضباط الأمن والجيش السريلانكيين - ببناء مصافي للنفط في سيريلانكا لخدمة السوق المحلية وللتصدير للخارج، كما جعلت من سريلانكا نقطة ترانزيت للنفط والبضائع التجارية المتبادلة مع الصين.

وقد بدأ التعاون الصيني الإيراني لتشييد موانئ في كولومبو العاصمة وعلى

السواحل الجنوبية والشرقية للبلاد، وهذه الموانئ في حال تشغيلها ستساعد الإيرانيين على إيصال صادراتهم إلى عموم دول شرق آسيا، بالإضافة إلى تمتين علاقاتها مع كوريا الجنوبية وإندونيسيا التي ساندت في الأمم المتحدة حق إيران في الحصول على الطاقة النووية السلمية.

ومن خلال هذه العلاقات تتواصل إيران مع المجتمعات الدينية والشيعية في تلك المناطق وتمدها بالمساعدات المالية والثقافية.

في أمريكا اللاتينية قامت إيران بإحداث اختراق كبير على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والثقافية في المنطقة التي كانت تعتبرها الولايات المتحدة الحديقة الخلفية لها لعقود طويلة، واستطاعت أن تمد من شعاع نفوذها الدولي عبر العلاقات الوثيقة مع فينيزويلا ونيكاراغوا والبرازيل وبوليفيا وكوبا، بل وأن تؤثر على مواقفهم من القضية الفلسطينية ومن الحرب الكونية على سوريا، وقد تبادل الرئيس الإيراني أحمدني نجاد مع الرئيس الفينيزويلي الراحل هوغو شافيز الزيارات بين البلدين وكذلك الرئيس البوليفي ايفو موراليس الذي يزور إيران سنوياً لتعزيز علاقات بلاده معها على شتى المستويات. كما تقوم إيران بتوفير تسهيلات تفضيلية وخدمات أساسية لدول شبه الصحراء الأفريقية بحيث تعتبر هذه الدول إيران كـ «شريك معتمد».

أما على مستوى المنظمات والكيانات الدولية فإن حركة عدم الانحياز والتي تضم ١١٨ دولة عضو و١٦ دولة مراقبة و٩ منظمات مراقبة فقد أعلنت تأييدها لحق إيران في استخدام الطاقة النووية عام ٢٠٠٨ في اجتماعها الوزاري الذي عقد في طهران، وحذرت من قيام الولايات المتحدة من الاعتداء على إيران، وأعادت تأييدها لموقف إيران في المفاوضات عام ٢٠١٠، وسلّمت إيران الأمانة العامة للمنظمة عام ٢٠١٢م حيث عقد مؤتمرها العام السادس عشر على الأراضي الإيرانية.

ولإيران في مجموعة الخمسة عشر والتي أصبحت حالياً سبعة عشر للدول النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نفوذ سياسي كبير حيث عقد مؤتمرها

الرابع عشر للرؤساء في طهران عام ٢٠١٠، وكذلك الأمر بالنسبة لمجموعة السبعة وسبعين والتي تضم حالياً ١٣٠ دولة حيث انتخب لرئاستها وزير الخارجية الإيراني عام ٢٠١١.

كما استضافت إيران لقاءات «الحوار التعاوني الآسيوي» الذي يضم ٣١ دولة من شرق آسيا والخليج وغيرها من الدول، وتوظف إيران هذه اللقاءات والعلاقات في تعزيز الدور والنفوذ الإيراني على المستويات الإقليمية والدولية في مختلف القضايا والحقوق.

وفي الأمم المتحدة تتقدم الدبلوماسية الإيرانية بثبات في الحصول على موطأ قدم في إدارات اللجان والمجالس التنفيذية للمنظمة الدولية كلجنة العلوم والتكنولوجيا للتنمية، ومكتب الأدوية والجريمة، كما حازت إيران منصب نائب الرئيس في المجلس التنفيذي للأمم المتحدة لحظر الأسلحة الكيميائية، ورئاسة لجنة الاستخدام السلمي للفضاء الخارجي.

وتستفيد إيران من هذه الأدوار ليس فقط لتعزيز دورها العالمي وإنما لفتح نوافذ على بعض الحقوق كتكنولوجيا الفضاء التي تعزز بها صناعاتها الفضائية.

إن الاستراتيجية التشبيكية للجمهورية الإسلامية الإيرانية تعزز الانجازات والاستقلالية الإيرانية والقدرة على مواجهة التحديات الصادرة حتى من القوى الدولية الكبرى، وهذا الأداء ينعكس على المستويين الإيراني كمجتمع وكنظام وعلى المستوى الشيعي كقوة ومجتمعات، ويقود إيران إلى صدارة القيادة على كلتا المساحتين.^(١)

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب وبحوث ودراسات:

١. إبراهيم، سعد الدين. الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، الطبعة الثانية، (١٩٩٤م)، مركز ابن خلدون، القاهرة.
٢. الحائري، أيوب. دليل الماكن المقدسة في سورية، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، مؤسسة البلاغ، بيروت.
٣. الحسيني، عادل. دليل العتبات والمراقد في العراق، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، رابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية، لندن.
٤. الخوري، فؤاد إسحاق. القبيلة والدولة في البحرين: تطور نظام السلطة وممارستها، الطبعة الأولى، (١٩٨٣م)، معهد الإنماء العربي، بيروت.
٥. الخير، الشيخ عبدالرحمن، عقيدتنا وواقعنا: نحن المسلمين الجعفرين العلويين، الطبعة الثالثة، (١٩٩٢)، دمشق.
٦. الدخيل، تركي؛ بن بجاد، عبدالله (محرون). الطائفية: صحوه الفتنة النائمة، (الطبعة الثالثة)، (٢٠١١)، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي.
٧. الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى. نهج البلاغة: المختار من كلام

- أمير المؤمنين عليه السلام، الطبعة الخامسة، (٢٠١٠)، (تحقيق: السيد هاشم الميلاني)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.
٨. الشريف، منير. المسلمون العلويون: من هم وأين هم؟، (الطبعة الأولى)، (١٩٩٤م)، مؤسسة البلاغ، بيروت.
٩. الشوبكي، عمرو (محرر). الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي (مصر - المغرب - لبنان - البحرين)، الطبعة الأولى، (٢٠١١م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
١٠. الفاضلي، الشيخ حسين. الشيعة في أفغانستان، الطبعة الأولى، (٢٠٠٦م)، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١١. الكاظمي، د. الشيخ فيصل. الحوزات الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم: لبنان نموذجاً، الطبعة الأولى، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، دار المحجة البيضاء، بيروت.
١٢. المؤمن، علي. من المذهبية إلى الطائفية: المسألة الطائفية في الواقع الإسلامي، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧م)، دار الكوكب، بيروت.
١٣. الوردی، علي. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (١٤١٧هـ)، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم.
١٤. أوهمي، كينيثي. الاقتصاد العالمي: المرحلة التالية؟ تحديات وفرص في عالم بلا حدود، الطبعة الأولى، (٢٠٠٦م)، (ترجمة: مركز التعريب والبرمجة)، الدار العربية للعلوم، بيروت.
١٥. تويال، فرانسوا. الشيعة في العالم: صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧م)، (ترجمة: عون، نسيب)، دار الفارابي، بيروت.
١٦. حمادة، أمل. الخبرة الإيرانية: الانتقال من الثورة إلى الدولة، الطبعة الأولى، (٢٠٠٨م)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
١٧. حمزة، أحمد نزار. على طريق حزب الله، الطبعة الأولى، (٢٠١٠م)، دار

- المحجة البيضاء، بيروت.
١٨. دار المشرق. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الثانية، (٢٠٠١م)، المكتبة الشرقية، بيروت.
١٩. درويش، زكريا بركات. شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام في أحداث أهل السنة، الطبعة الثانية، (٢٠٠٦م)، (ن أ).
٢٠. عبدالرزاق، جعفر. الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥ - ١٩٢٠، مؤسسة الأعراف للنشر، إيران.
٢١. عترسي، طلال. جيواستراتيجيا الهضبة الإيرانية: إشكاليات وبدائل، الطبعة الأولى، (٢٠٠٩م)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت.
٢٢. عثمان، هاشم. هل العلويون شيعة؟ بحث تاريخي من واقع وثائقهم وأدبياتهم المنشورة وغير المنشورة، الطبعة الأولى، (١٩٩٤م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٢٣. غريب، حسن خ. نحو تاريخ فكري - سياسي لشيعه لبنان، الطبعة الأولى، (٢٠٠١م)، دار الكنوز الأدبية، بيروت.
٢٤. كلير، مايكل. الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، (٢٠٠٢م)، (ترجمة: حسن، عدنان)، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٥. كوك، مايكل. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، (٢٠٠٩)، (ترجمة: السيد، رضوان وآخرون)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
٢٦. كييل، جيل. الفتنة: حروب في ديار المسلمين، الطبعة الأولى، (٢٠٠٤)، (ترجمة: أورفلي، نزار)، دار الساقى، لندن.
٢٧. كيوهان، روبرت. مبني للمجهول: مآلات القيادة الأمريكية للنظام الدولي، مجلة المستقبل العربي، (أكتوبر ٢٠١٢)، عدد ٤٠٤، بيروت.
٢٨. مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية: استطلاع الرأي في مصر حول أهم

- القضايا في العالم العربي: أغسطس ٢٠٠٦ م، (٢٠٠٦)، القاهرة.
٢٩. مركز البحرين لحقوق الإنسان: التمييز والامتيازات في البحرين: القانون غير المكتوب، (أكتوبر ٢٠٠٣)، تقرير مرفوع إلى لجنة القضاء على التمييز العنصري التابعة للأمم المتحدة.
٣٠. مركز الخليج لتنمية الديمقراطية (مواطن): البحرين: الخيار الديمقراطي وآليات الإقصاء، (٢٠٠٦ م)، المنامة.
٣١. مهدي، محمد عاشور. التعددية الأثنية: إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، الطبعة الأولى، (٢٠٠٢ م)، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمان.
٣٢. ناصر، شحاتة محمد. سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعة (٢٠٠٣-٢٠٠٨): دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، (٢٠١١ م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٣٣. نصر، ولي. صحوة الشيعة: الصراعات داخل الإسلام وكيف سترسم مستقبل الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧ م)، (ترجمة: الكعكي، سامي)، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٤. نقاش، إسحاق. شيعة العراق، (١٩٩٥ م)، إيران.
٣٥. نور الدين، محمد. الأقليات الدينية والعرقية في تركيا: المجتمع والكيان والتحديات، مجلة الدفاع الوطني، (١/٤/١٩٩٨)،
- . <http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?4413#UaTweUA3Bic>
٣٦. نور الدين، مهدي. الحصار المتبادل: العلاقات الإيرانية - الأمريكية بعد احتلال العراق ٢٠٠٣، الطبعة الأولى، (٢٠١٢ م)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت.
٣٧. نورثون، أ. ر. أمل والشيعة: نضال من أجل كيان لبنان، الطبعة الأولى، (١٩٨٨ م)، (ترجمة: عبدالله، غسان الحاج)، دار بلال، بيروت.

٣٨. واكيم، جمال. صراع القوى الكبرى على سوريا: الأبعاد الجيوسياسية لأزمة ٢٠١١، الطبعة الثانية، (٢٠١٢م)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

٣٩. ويسبرودت، ديفيد. وآخرون. مختارات من أدوات حقوق الإنسان الدولية، وبيلوغرافيا للبحث في القانون الدولي لحقوق الإنسان، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧م)، (ترجمة: سروجي، فؤاد)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

٤٠. Human Rights Watch: الحرمان من الكرامة: التمييز المنهجي والمعاملة المتسمة بالعدوانية بحق المواطنين السعوديين الشيعة، (سبتمبر ٢٠٠٩).

تقارير:

١. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - الموقع الإلكتروني. أحوال شيعة العالم

<http://www.ahl-ul-bayt.org/ar.php>

٢. جريدة السفير: خمس سنوات على حرب تموز ٢٠٠٦: قراءة في التدايعات، جريدة السفير اللبنانية، ندوة بتاريخ (٢٥/٨/٢٠٠١)، نقلاً عن موقع المقاومة الإسلامية - لبنان

<http://www.moqawama.org/essaydetails.php?eid=21579&cid=326#>

UaT3UEA3Bic

٣. شبكة راصد الإخبارية: دعوى عاجلة تطالب بإلقاء القبض على الشيخ الكلباني المتواجد في ألمانيا، تقرير خبري بتاريخ ١٥/١/٢٠١٠م.

<http://www.rasid.com/index.php?act=artc&id=34976&hl=%D8%B9%D9%84%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D9%8A>

٤. شلهوب، إيلي. إيران: حماية أسوار دمشق دفاعاً عن بيروت وطهران، جريدة

- «الأخبار» اللبنانية، (٢٤/٦/٢٠١١)، عدد ١٤٤٥ .
٥. شلهوب، إيلي. هكذا أدارت إيران معركة الخروج الأمريكي من العراق، جريدة «الأخبار» اللبنانية، (١٠/١/٢٠١٢)، عدد ١٦٠٥ .
٦. عبدالفتاح، حارث. الديون تنذر بانهايا الاقتصاد الأمريكي، جريدة السبيل الأردنية، (٢/١/٢٠١٢).
٧. فرحات، جهانة. شيعة السعودية بعيون أمريكا: شكوى من التمييز.. ومخاوف من تداعيات الإحباط، جريدة «الأخبار» اللبنانية، (٢١/٥/٢٠١١)، عدد ١٤٠٨ .
٨. ليوبيل، مارك. لماذا تخشى نيجيريا من هجوم قد يشن على إيران، قناة BBC العربية، (٨/٥/٢٠١٢)،
- http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2012/05/120508_nigeria_iran.shtml
٩. مركز الإعلام العربي: «تظاهرة شيعية» في إسطنبول: أكبر مجمع ديني وثقافي في أوروبا، مركز الإعلام العربي، (١٣/٨/٢٠٠٩)،
- Arabinfocenter.net
١٠. قصير، قاسم. «حزب الله» من ١٩٨٢ - ٢٠١١: هكذا أصبح لاعباً أساسياً، جريدة «السفير» اللبنانية، (٤/٧/٢٠٠١)، عدد ١١٩٢٧ .
١١. قناة العربية: خبيران: أمريكا في طريقها إلى انهيار مالي جديد، موقع قناة «العربية» الإخبارية، (١٧/١١/٢٠١٢)،
- <http://www.alarabiya.net/articles/2012/11/17/250111.html>
١٢. ياغي، مي. نتائج «الدعم الإيراني» للقضية الفلسطينية: الشيعة يتكاثرون في قطاع غزة، ميدل إيست أونلاين، (٦/٤/٢٠١١)،

<http://www.middle-east-online.com/?id=108165>

١٣. CNN: الشيعة في الإمارات: الاندماج في مجتمع متنوع، CNN العربية،
(٢٤/٤/٢٠٠٧)،

http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/3/26/shiite-emirates

١٤. CNN: الشيعة في سورية: حقوق دينية مصانة في مجتمع مصادر، CNN
العربية، (١/٥/٢٠٠٧)،

http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/4/2/shiite.syria/index.html

١٥. CNN: الشيعة في عمان: نموذج لأقلية ناجحة، CNN العربية،
(٢٥/٣/٢٠٠٧).

١٦. CNN: الشيعة في مصر: متهمون رسمياً ومعزولون شعبياً، CNN العربية،
(٢٧/٤/٢٠٠٧)،

http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/4/5/shiite.egypt/index.html

١٧. CNN: شيعة الكويت: بين المشاركة والتمييز المذهبي، CNN العربية،
(١٣/٤/٢٠٠٧)،

http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/3/15/shiite-kuwait

١٨. CNN: شيعة قطر: الانسجام مع الأكثرية، CNN العربية،
(٢٤/٤/٢٠٠٧)،

http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/3/29/shiite-qatar/index.html

Books, Studies, and Articles

- 1- Abbas, H., **Shiism and sectarian conflict in Pakistan: Identity politics, Iranian influence, and tit-for-tat violence**, (2010), Combating Terrorism Center at West Point, USA.
- 2- Ahmed, C., Networks of Islamic NGOs in Sub-Saharan Africa: Bilal Muslim Mission, African Muslim Agency (Direct Aid), and al-Haramayn, **Journal of Eastern African Studies**, (2009), Vol. 3, No. 3, pp. 426-437.
- 3- Ahmed, M., Shi'i political activism in Pakistan, **Studies in Contemporary Islam**, (2003), Vol. 5, No. 1-2, pp. 57 - 71.
- 4- Ajemian, P., Resistance beyond time and space: Hezbollah's media campaigns, **Arab Media & Society**, (Spring 2008), No. 5.
- 5- Anthony III, D. H., Islam in Dar es Salam, Tanzania, **Studies in Contemporary Islam**, (2002), Vol. 4, No. 2, pp. 23 - 47.
- 6- Barzegar, K., Iran's foreign policy strategy after Saddam, **The Washington Quarterly**, (2010), Vol. 33, No. 1, pp. 173 - 189.
- 7- Barzegar, K., **The Shia factor in Iran foreign policy**, (November 2008), Center for Strategic Research, Iran.
<http://www.csr.ir/departments.aspx?lng=en&abtid=07&depid=74&semid=1421>
- 8- Baylouny, A., M., Not your father's Islamist TV: Changing programming on Hizbullah's al-Manar, **Arab Media & Society**, (Fall 2009), No. 9.
- 9- Choksy, J. K., Iran takes on the world, **Current Trends in Islamist Ideology**, (2011), Vol. 11, pp. 62 - 90.

- 10- Chubin, S., Iran's power in context, **Survival**, (2009), Vol 51, No. 1, pp. 165 - 190.
- 11- Eisenstadt, M. *et al*, Iran's influence in Iraq: Countering Tehran's whole-of-government approach, **Policy Focus**, (2011), Washington Institute for Near East Policy, No. 111.
- 12- Elad-Altman, I., The Sunni-Shi'a conversion controversy, **Current Trends in Islamist Ideology**, (2007), Vol. 5, pp. 1 - 10.
- 13- FAOSTAT, **Food and Agriculture Organization of the United Nations**, <http://faostat.fao.org/site/550/default.aspx#ancor>.
- 14- Flanigan, S., T.; Abdel-Samad, N., **Hizbollah's social jihad: Nonprofits as resistance organizations**, (2011), Middle East Policy Council, USA.
- 15- Formichi, C., «**Tradition**» and «**Authenticity**»: **Husayni compassion in Indonesia (Jakarta, Bandung, and Bangkulu)**, (2012), working paper series No. 126, South East Research Center, Hong Kong.
- 16- Fuller, G. E., The Hizballah - Iran connection: Model for sunni resistance, **The Washington Quarterly**, (2006 - 07), Vol. 30, No. 1, pp. 139 - 150.
- 17- Fuller, G. E.; Francke, R. R., **The Arab Shi'a: The forgotten Muslims**, (1999), St. Martin's Press, New York.
- 18- Gordon, G.; Blackman, R. (editor), **Advocacy toolkit: Understanding advocacy**, (2002), Tearfund, UK.
- 19- Goyushov, A., Islamic revival in Azerbaijan, **Current Trends in Islamist Ideology**, (2008), Vol. 7, pp. 66 - 81.
- 20- Haji-Yousefi, A. M., Whose agenda is served by the idea of a Shia Crescent?, **Alternatives: Turkish Journal of International Relations**, (2009), Vol. 8, No. 1, pp. 114-135.
- 21- Haqqani, H. , **Pakistan between mosque and military**, (2005), Carnegie Endowment for International Peace.
- 22- Hazran, Y., The Shiite community in Lebanon: From marginalization to Ascendancy, **Middle East Brief**, (2009), No. 37.
- 23- Himelfarb, S. & *et al*, Media as global diplomat, **Special Report**, (2009), United States Institute of Peace, No. 226.
- 24- Hunzai, I., Conflict dynamics in Gilgit-Baltistan, **Special Re-**

- port, (2013), United States Institute of Peace, No. 321.
- 25- Kagan, F. W., *et al*, **Iranian influence in the Levant, Egypt, Iraq, and Afghanistan**, (2012), The American Enterprise Institute and the Institute for the Study of War, USA.
- 26- Kramer, M., «Syria's Alawis and Shi'ism», in «**Shi'ism, Resistance, and Revolution**», ed. Martin Kramer, (1987), Westview Press, Colorado, pp. 237-54. <http://www.martinkramer.org/sandbox/reader/archives/syria-alawis-and-shiism/>.
- 27- Lisnyansky, D., Tashayu (conversion to Shiism) in Central Asia and Russia, **Current Trends in Islamic Ideology**, (2009), Vol. 8, pp. 108 - 117.
- 28- Lyme, R. F., **Hizb'Allah's communication strategy: Making friends and intimidating enemies**, (2009), Danish Institute for International Studies, DIIS report 2009:19.
- 29- Majidiyar, A.; Alfoneh, A., Iranian influence in Afghanistan: Imam Khomeini Relief Committee, **Middle Eastern Outlook**, (2010), No. 4.
- 30- Ma'oz, M., The «Shi'i Crescent»: Myth and reality, (November 2007), **Analysis Paper**, The Saban Center for Middle East Policy, No. 15.
- 31- Nader, A.; Laha, J., **Iran's balancing act in Afghanistan**, (2011), National Defense Research Institute, Occasional Paper, Rand Corporation, USA.
- 32- Nakash, Y., **Reaching for power: The Shi'a in the modern Arab world**, (2006), Princeton University Press, New Jersey.
- 33- Naquvi, M. A., The responsibility of American Shia, **Islamic Insights**, (July 2011), USA.
- 34- Nasr, V., Regional implications of Shi'a revival in Iraq, **The Washington Quarterly**, (2004), Vol. 27, No. 3, pp. 7 - 24.
- 35- Nasr, V., When the Shiites rise, **Foreign Affairs**, (2006), Vol. 85, No. 4.
- 36- Nelson, F.; Brady, D. W.; Snibbe, A. C., Learn to love lobbying, **Stanford Social innovation Review**, (2007), Vol. 5, No. 2, pp. 56-63.
- 37- Rashid, A., **Pakistan on the brink: The future of Pakistan**,

- Afghanistan and the West**, (2012), Allen Lane, USA.
- 38- Rubin, b., Iran: The rise of a regional power, **The Middle East Review of International Affairs**, (2006), September.
 - 39- Rubin, M., Africa: Iran's final frontier?, **Middle Eastern Outlook**, (2013), No. 2.
 - 40- Searce, D.; Kasper, G.; Grant, H. M., Working wikily, **Stanford Social innovation Review**, (2010), Vol. 8, No. 3, pp. 30-37.
 - 41- Slavin, B., Mullahs, money, and militias: How Iran exerts its influence in the Middle East, (June 2008), **Special Report**, United States Institute of Peace, No. 206.
 - 42- PEW, **Mapping the global Muslim population: A report on the size and distribution of the world's Muslim population**, (October 2009), Pew Research Center, Washington DC.
 - 43- Szayna, T. S. (editor), **Identifying potential ethnic conflict: Application of a process model**, (2000), National Defense Research Institute, RAND Corporation, USA.
 - 44- Takim, L., **Preserving or extending boundaries: The black Shi'is of America**, (2010),
<http://www.ltakim.com/articles/BlackShiis.pdf>
 - 45- Tapscott, D.; Williams, A. D., **Wikinomics: How mass collaboration changes everything**, Expanded edition, (2008), Portfolio, USA.
 - 46- Telhami, S., **2008 annual Arab public opinion poll, Survey of the Anwar Sadat Chair of Peace and Development**, (2008), University of Maryland.
 - 47- Telhami, S., **2011 annual Arab public opinion poll, Survey of the Anwar Sadat Chair of Peace and Development**, (2011), University of Maryland.
 - 48- Terdman, M., History of Bilal Muslim Mission - Kenya (8/2/2010), Africa - Land of People (blog),
<http://africalap.blogspot.com/2010/02/history-of-bilal-mission-kenya.html>
 - 49- Terhalle, M., Are the Shia rising, **Middle East Policy**, (2007), Vol. XIV, No. 2, pp. 69-83.

- 50- **The World Fact Book**, Central Intelligence Agency online publication, (2013),
<https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/index.html>
- 51- Zulkifli, **The Struggle of the Shi'is in Indonesia**, (2009), Leiden University.

Reports:

- 1- Asgari, S. M., **Islam: Reviewing Shiite-Sunni relations in India** - An interview (by Abedin, M.), Religioscope , (12/1/2011),
http://religion.info/english/interviews/article_513.shtml#.Ucsppfk-3Bid
- 2- Ciezadlo, A., **A profile of Nasrallah**, (15/8/2006), Jafariya News website,
http://www.jafariyanews.com/articles/2k6/15aug_Nasrallah_pro-file.htm
- 3- Daily News and Analysis, **Talaq rights proposed for Shia women**, (Nov 5, 2006).
<http://www.dnaindia.com/india/1062327/report-talaq-rights-proposed-for-shia-women>
- 4- Haider, S., **Shia's of Kashmir: Socio-political dilemmas**, (23/6/2010), Kashmir Shia forum, (posted by Ansari, S. A.)
<http://forum.shiasofkashmir.com/viewtopic.php?p=874&sid=a8a345.9053879933466988916d22e2ee>
- 5- Jawad, A., **The Saudi factor: Latest raid on Shia gathering in Malaysia, Islamic Insights**, (31/5/2011).
<http://islamicinsights.com/news/international-news/the-saudi-factor-latest-raid-on-shia-gathering-in-malaysia.html>
- 6- Nishapuri, A., **Shia Muslim dynasties and countries in Islamic history**, World Forum Shia, (10/10/2012),
<http://worldshiaforum.wordpress.com/2012/10/10/shia-muslim-dynasties-and-countries-in-islamic-history-by-abdul-nishapuri>
- 7- O'Mahony, A., **The rise of the Shia, The Tablet** (29/7/2006),
<http://www.thetablet.co.uk/article/8322>

- 8- Peyrouse, S., Shiism in Central Asia: The religious, political, and geopolitical factors, *Central Asia-Caucasus Analyst*, (2009), Vol. 11, No. 10, pp. 9 – 11.
- 9- Pham, J. P., Shi'a in Senegal: Iran's growing reach into Africa, **Family Security Matters**, (18/2/2010),
http://www.familysecuritymatters.org/publications/id.5541/pub_detail.asp
- 10- Rubin, M., **Iran to assist Burmese Muslims**, (7/2/2013), American Enterprise Institute,
<http://www.aei.org/article/foreign-and-defense-policy/regional/middle-east-and-north-africa/iran-to-assist-burmese-muslims>
- 11- Sabir, S., Census reveals new statistics about North American Shias, **Islamic Insights**, (27/7/2008),
<http://islamicinsights.com/news/community-affairs/census-reveals-new-statistics-about-north-american-shias.html>
- 12- Thaiss, G., Muharram rituals and the carnivalesque in Trinidad, **ISIM Review**, (1999), International Institute for the Study of Islam in the Modern World, No. 3, pp. 38.
- 13- The Times of India, **Shia women too can initiate divorce**, (Nov 6, 2006).
http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2006-11-06/lucknow/27799200_1_model-nikahnama-new-nikahnama-shia-personal-law-board
- 14- Thompson, K. (editor), **A look at the Caribbean and its people and culture**, (2010), New Africa Press.